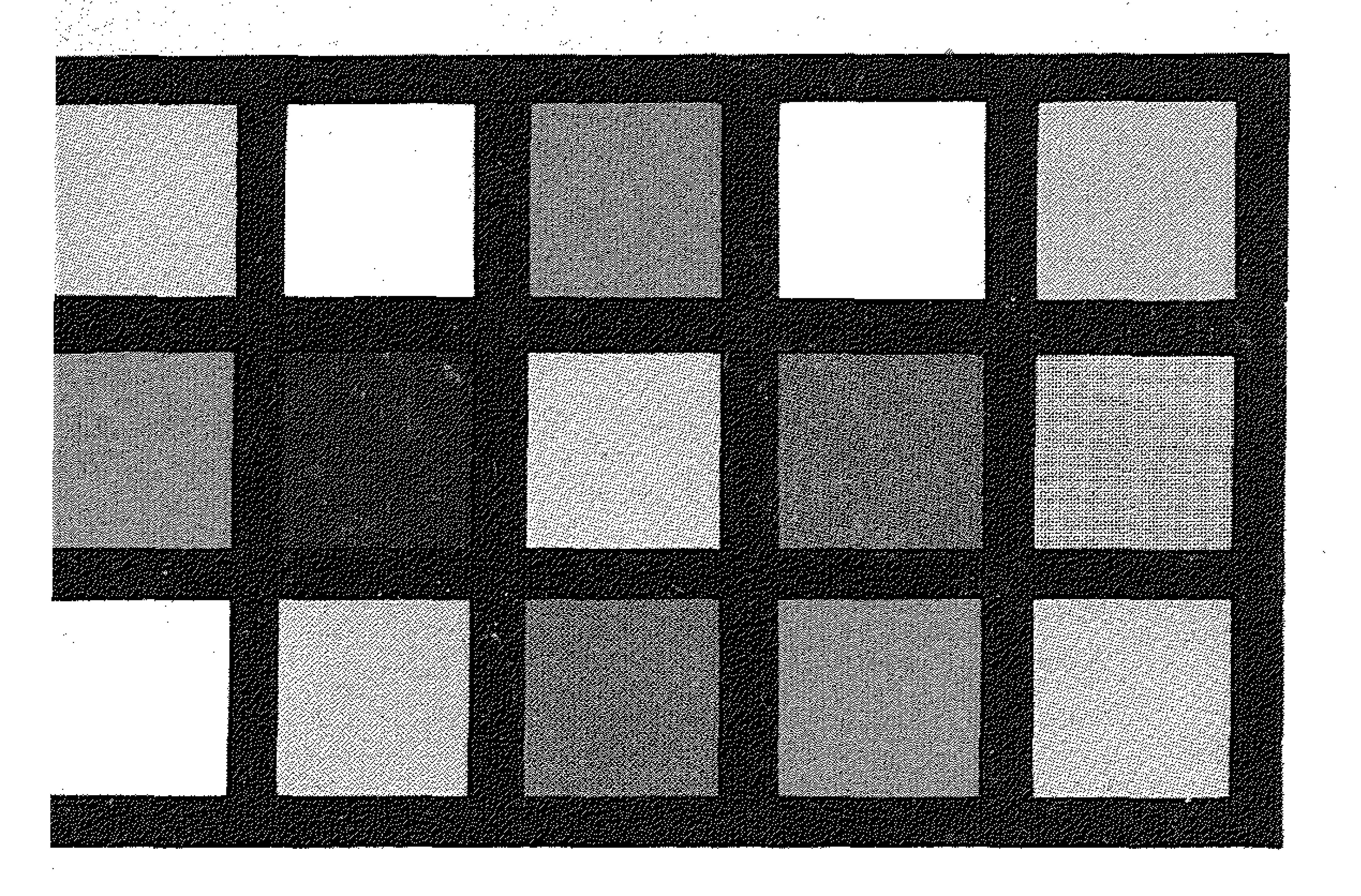
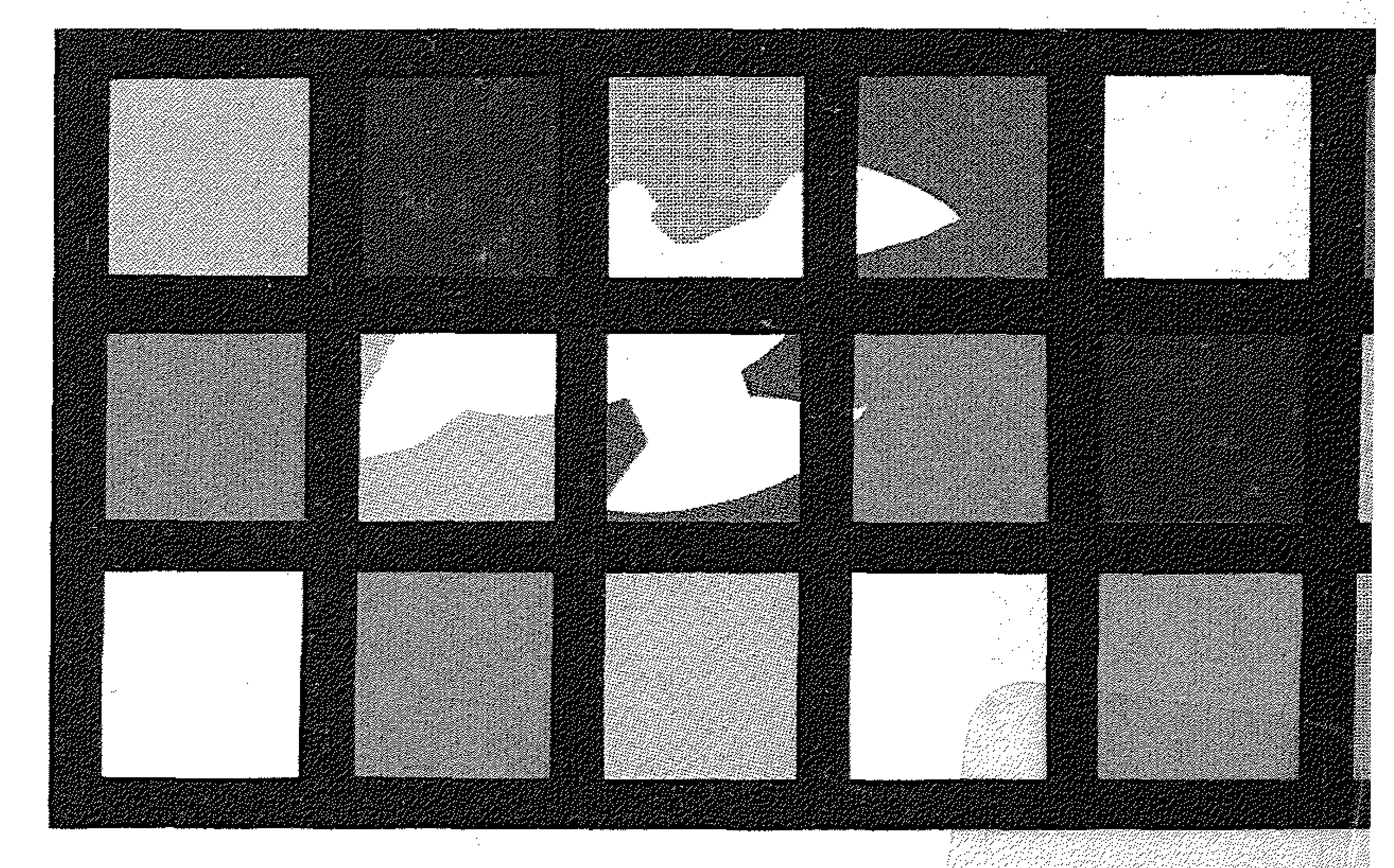
نزع السلاح.. مستقبل الإنسانية





بقلم بوريس باتسانوف
وفلاديمير إيفانوف
تعريب وتعليق خيري حماد



نزع السلاح ... مستقبل الإنسانية

بقلم : بوريس باتسانوف
و
فلاديمير إيفانوف

تعريب وتعليق : خيري حماد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٤

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

DISARMAMENT| MANKIND'S FUTURE

by

Boris Batsanov and Vladimir Ivanov

تقدمة المعرب

« يحاول تجار الموت في العالم ؛ بيع الناس الفكرة القـــائلة بأن لا أمل فى نزع السلاح ، وانه أمر غير عملى ، ولكننا نقول من الناحية الأخرى ان هنـــاك آمالا كبيرة معلقة على نزع الســلاح ، لأنه أمر واقعى وممكن ، وان كنا لا ننكر أن واقع نزع السلاح ، يمثل شكلا من أشكال الواقع • فهو ليس بالمفهــوم المطلق ، بل انه مجموعة من بعض التحركات الدبلوماتية . وهو ليس باللغة الحافلة بالاستعارات التى يســتخدمها الدعاة فى مؤتمراتهم كما يستعملها الوعاظ فى مواعظهم • فنزع الســلاح واقع اذا دعم بالنضـــال الواقعى من الدول المحبة للســـلام ، وبنضال الجماهير العريضة لتعزيز السلام ؛ وبالجهود التى لا تكل ولا تمل من جانب جميع المنظمات والرجال الشرفاء لتبيان الأخطار التى يتعرض لهـا الجنس البشرى من أحتمال نشوب الحرب النووية ، ولشرح الطريقة التى يمكن بها تنفيذ نزع السلاح •

بمثل هذه العبارة لخص مؤلفا هذا الكتاب الانســـانى الرائع ، تصورهما لموضوعه ؛ أى « نزع السلاح الشامل والكامل مســـتقبل الانسانية » ، وان كانا قد عرضا فى جوانبه المختلفة وفى فصـــوله المتعددة • رؤياهما لما يحققه نزع السلاح فى العالم من ضـــمان لهـــذا المستقبل ؛ ومن تقدم حثيث الخطى فى البناء الاقتصادى والاجتماعى ؛ وفى تسخير الموارد التى تنفق فى كل عام بددا على سباق التسلح ، لخدمة

التقـدم الحضارى ، والقضاء على التخلف · ولا شك فى أن هذا الكتاب الذى يؤلف دراسة علمية فذة وقيمة لقدرات العلم والتقنية والهندسة . ولثروات العالم الطبيعية غير المكتشفة والمستغلة ؛ يحسر النقاب بوضوح عن أهمية نزع السلاح من ناحية ، وعن موقف النظامين العـالميين منه ، ومن قضايا السلام والحرية فى العالم من الناحية الأخرى ·

يركز الكتاب فى مجموعه على عـدد من النقاط المهمة ؛ والأسئلة الكثيرة التى تشغل أذهان الشعوب كلها ؛ ويثير تساؤلاتها · فهـو فى مجموعه محاولة صادقة وأصيلة لاستشفاف الغد . وتصور احتمالات المستقبل وهو يضم أفكارا صدرت عن العلماء والمهندسين وخبراء الكهرباء والرى ، والقادة السياسيين الذين ينادون بالسـلام الدائم على الأرض ، بعد أن سجلت عجلة التاريخ روائع المنجزات العلمية والتقنية . وهذه المنجزات لا يمكن أن تستمر وتسير قدما الا اذا تحقق السلام وسـاد فى كل مكان فى العالم · ومن هنا يكون هذا الكتاب دراسة للمشـكلات التى تعترض طريق تحقيق السلام العالمى ؛ بوأسطة نزع السلاح الشامل والكامل ، وكيفية التغلب عليها ، والتطلعات الانسـانية المرتكزة على هذا التحقيق .

ويركز المؤلفان اكثر ما يركزان فى كتابهما الرائع على النقـاط التالية :

أولا : تملك القوى الامبريالية فى العالم الأسلحة النووية ، كمـا تملكها القوى العالمية الداعية للسلام والحرية ؛ وهناك أصابع على الزناد ؛ تقف على أهبة لاشعال نيران الحرب النووية · ولذا فان النضال العـالمى يجب أن يتجه الى وضع حد للرعب الذى يسيطر على العالم من وجـود هذا الوضع · فلا يكفى أن تكون الشعوب ، حتى ولو كانت كلها ، ضـد الحرب ، مع ازالة هذا الرعب النووى ، طالما ان الامبريالية العـالمية التى تمثل مصالح القلة من المحتكرين على الصـعيد العالمى ؛ تملك الأسلحة النووية الرهيبة · فلو كانت هـذه الأسلحة فى أيدى الشعوب بدلا من أن تكون فى أيدى هذه القلة ، لما بقيت هذه الأسلحة حتى الآن ؛ وذلك لأن الشعوب تقف موقفا صادقا أصلا من رغبتها فى ازالتها من الوجود · ومن هنا يتركز الواجب الأول على الجماهير فى كل مكان وعلى أوسـع نطاق ؛ فى أن تناضل باصرار وشمول يصلان حد الثورة اذا تطلب الأمر، ضد خطر الحرب وسباق التسلح ، وفى سبيل تحقيق نزع السـلاح الشامل والكامل · فالصراع من أجل السلام صورة من أهم صور الصراع الانسانى من أجل بقاء الانسـانية ووجودها .

ثانيا : شهدت الانسانية فى الحقب الأخيرة ثورة ضخمة فى العلم والتقنية والهندسة ، وبات لزاما على الانسان أن يفكر بأسلوب جديد ؛ اذ ان المستقبل يصنع من جديد ؛ وهو يولد الآن من مخاض الحاضر وآلامه . ويتطلب المستوى الجديد للقوى الانتاجية ، بعد أن اكتسب طابعه العالمى ، تنظيما جديدا للعلاقات العالمية والحياة الدولية . ويتطلب هذا التنظيم أول ما يتطلب محو الاستعمار فى العالم محوا كاملا ، وتعايشا سلميا بين الدول المختلفة فى أنظمتها الاجتماعية والاقتصادية ، والتكافؤ بينها ، والقضاء على التخلف والعدوان على حقوق الشعوب فى أوطانها وحرياتها ، والوصول الى نزع السلاح الشامل والكامل . وتكون هذه الظواهر ، لمصلحة كافة البلاد والشعوب جميعهم ، ولذا فهى تتطلب العمل لا مجرد التصور .

ثالثا : يتركز على تنفيذ نزع السلاح الشامل والكامل ، وضع برنامج اقتصادى على الصعيد العالمى ؛ يحدد الطرق التى ستستخدم فيها الأموال المتوافرة من وقف سباق التسلح فى تطوير العالم اقتصاديا ؛ وضمان التنمية السريعة للبلاد المتخلفة ، ودفعها فى طريق النمو والتقدم والحضارة . فهناك واجبات كثيرة تواجه الجنس البشرى على هذا الصعيد ، وفى مقدمتها تأمين الرى للأرض ، والصرف للمستنقعات ، وحفر الأقنية وخلق المزيد من الطاقة المحركة والقدرات الصناعية . ولو كرس الجنس البشرى جهوده وموارده كلها لأداء هذه الواجبات ، بدلا من الاشتباك فى الحرب ، فان المستحيل يتحول الى ممكن . ولو أن العمل بدأ جادا فى استغلال الموارد المائية للأنهار فى البلاد المتخلفة ؛ فان معنى جديدا لا بد أن يخلق للسياسات الخارجية والعلاقات الدولية ؛ بعد أن بات الانسان مسيطرا على الطبيعة بصورة تفضل سيطرته عليها فى الماضى ، اذ انه يملك قوى أكبر ووسائل أكثر للسيطرة على تنمية المجتمع وعلى الشئون الدولية .

رابعا : تمثل المصالح الانوية للاحتكارات العاملة فى صناعات الأسلحة العقبة الأولى فى طريق نزع السلاح ، اذ أن مصالحها تستند الى أساس واحد ؛ وهو جنون سباق التسلح اعدادا للحرب الجديدة . ومن هنا يكون الواجب الأول للشعوب عزل « الوحوش » الذين ينادون بالتسلح ؛ والسعى الى تحويل الكثيرين عن ايمانهم بلا عملية نزع السلاح فالانسان الذى اكتشف أدق أسرار المادة ، ووصل الى الفضاء الخارجى ، واخترع أكثر الأجهزة دقة وعلما ؛ وابتكر وسائل الضغط العالى فى نقل الكهرباء الى مسافات بعيدة للغاية ، واخترع أدق وأعقد المركبات

الكيماوية ، وشيد المصانع الآلية الذاتية ؛ والعقول الالكترونية الحاسبة لا يمكن أن يظل متمسكا الى الأبد ؛ بالنظام الدولى العتيــق الذى تحل فيه المشكلات الدولية عن طريق الحرب ٠

خامسا : لا بد أن يعقب اجراء نزع السلاح ؛ وما يتطلبه من رقابة دولية صارمة وفعالة ، بنظام آخر للرقابة على تنفيذ البرنامج الاقتصادى لهذا النزع . فعلى الأمم المتحدة أن تمارس الرقابة الدقيقة على الأموال المتوفرة من نزع السلاح ، وكيفية تسليمها الى الحكومات المعنية بالبرنامج وتنفيذه ، للتأكد من أن العمل يدور بنجاح ودقة فى المشروعات التى يتضمنها هذا البرنامج ، كاقامة السدود والحواجز ؛ وشق مشروعات الرى ، واقامة المصانع ٠ وعليها أن تتأكد مما اذا كانت الدول كلهـــا تنفذ التزاماتها التى تفرضها الاتفاقات الدولية ٠ ولا شك فى أن هــذه الرقابة يجب أن تتضمن وجود محاسبة دقيقة وفعالة للانفاق الذى تقوم به الدول على الأغراض السلمية من الموارد التى تبدد الآن على ســباق التسلح ٠ فلو التزمت دولة كبرى كالولايات المتحدة مثلا بتخصـــيص عشرين فى المائة من نفقاتها العسكرية الحالية لمساعدة الدول المتخلفـة على القضاء على تخلفها ؛ فان من الضرورى مراقبة الطريقة التى ينفــذ فيها هـــذا الالتزام والتأكد فى الوقت ذاته قدر الامكان من أن الثمانين فى المائة الباقية من الموازنة العسكرية الأمريكية الواهنة تنفق على الغايات السلمية الصحيحة ٠

سادسا : لا يمثل نزع السلاح حلما طوبائيا يتعلق به الواهمون كما يدعى أنصار سباق التسلح ؛ ودعاة النزعة الحربيـــة ٠ فهؤلاء لا يعيشون فى واقع الحياة الراهنة ، ولا يرون القوة الهائلة المتزايدة لحماة السلام والمدافعين عنــــه ٠ فلقد بات الناس يدركون الآن وبمنتهى الوضوح ان المثل الأعلى والمضىء للتقدم الانسانى يتجسد فى اقامة سلام دائم على الأرض ، يكون نتيجة طبيعية لنزع السلاح الشامل والكامل: ولكن هذا النزع لا يتحقق الا عن طريق النضال ٠ لأن هناك قـــوى عالمية ما زالت تعمل وستعمل فى المستقبل ؛ وبكل طاقاتها لمنع تحـول التطلع المثالى الى واقع ، مدفوعة الى ذلك بنزعاتها الشريرة ومصالحهـــا الاستغلالية ٠ ولا شك فى أن هؤلاء ما زالوا يعيشون فى الماضى دون أن يفهموا أهمية النضال الراهن من أجل بناء الغد المشرق ٠ فالبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، يعتمد أول ما يعتمد على أن السلام والتعايش السلمى يمكن أن يضمنا عن طريق عقد اتفـــاق بين الدول حول نزع السلاح الشامل والكامل ؛ وحول الاتفاق على تعاونها ضمن اطار التنافس

الاقتصادى بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى ؛ وهو التنافس الذى لأبد أن يشمل أيضا الكفاح للتغلب على التخلف الاقتصادى فى البلاد النامية .

سابعا : يتحتم على الانسان أن يناضل من أجل السلام وتسوية المشاكل الدولية واحترام الحقوق السيادية للدول والحقوق الطبيعية للشعوب فى أوطانها ، والتصفية الشاملة لجميع صور الاستعمار والعدوان . فليس فى وسع أحد أن يوفق بين التعايش السلمى للمذهبيات فى الصراع بين نزع السلاح وبين النزعة العسكرية ؛ ولا بين العدوان والاغتصاب وسياسات القهر وبين حق الشعوب فى الحرية الكاملة فى أوطانها .وبالرغم من الايمان بامكان تحقيق التعايش السلمى، الا ان هذا التعايش لا يمكن أن يقوم بين الحرب والسلام . فليس ثمة وسيلة أخرى غير نضال الشعوب الطويل والعنيف والمتعدد الجوانب لتحقيق النصر لارادتها فى تحقيق الحرية ؛ ولاخراج الاستعمار بجميع صوره وأشكاله من جميع قواعده . ولا يمكن الحاق الهزيمة بالاستعمار على الصعيد السياسى ، دون تحطيمه خلقيا وتعويقه . ومن هنا تكون الضرورة ماسة ، نظرا لوجود قوى العدوان والنزعة العسكرية ، وانتشارها فى كثير من أنحاء العالم ؛ الى توحيد القوى المحبة للسلام ، للوصول الى الهدف الرئيسى وهو منع الحرب النووية الحرارية؛ وضمان السلام العالمى ، ونزع السلاح الشامل .

ثامنا : لا تعنى الدعوة الى التعايش السلمى ونزع السلاح السماح ببقاء الأوضاع المستندة الى العدوان والاغتصاب ، والاستعمار الاستيطانى؛ واستغلال الشعوب والاعتداء على حقوقها الطبيعية . ومن الواضح أن التعايش السلمى يفترض أول ما يفترض احترام الحقوق السيادية لكل شعب ، واحترام حق كل شعب فى أن يعيش حرا فى وطنه ، وتحرير هذا الوطن اذا كان مغتصبا ، وأن يعيش الشعب فى ظل النظام الذى يختاره . فبقاء الاستعمار فى أى مكان ؛ وعدم تمسك الدول باحترام سيادة الدول الأخرى والتدخل فى شئونها ، واستمرار الاستغلال الاقتصادى فى ظل نظام الاستعمار الجديد ، كلها مظاهر ، تؤدى فى النهاية الى أزمات دولية حادة تهدد السلام العالمى بالخطر .

ومن هنا يكون صراع الشعوب لتحرير أوطانها من الاستعمار فى مختلف صوره ، كصراع شعب فلسطين لاسترداد وطنه وحقه فى تقرير مصيره ، وصراع شعب فيتنام للقضاء على العدوان الأمريكى على أراضيه،

وصراع شعوب موزمبيق وأنجولا وغينيا المسماة بالبرتغـالية لتحرير أوطانها من الاستعمار البرتغالى • وصراع شـعوب جنوب افريقيـا وروديسـيا وافريقية الجنـوبية الغربية للقضـاء على التمييز العنصرى وسيادة الرجل الأبيض الممثل للأقلية المستعمرة ، وصراع شعوب أمريكا اللاتينية للقضاء على نظام الاستعمار الجديد الممثـل فى السـيطرة الاقتصادية ؛ صراع حر وعادل وحق • فهو لا يتعارض مع التعـايش السلمى لأن من أهم شروط هذا التعايش ، أن يتـوافر التكافؤ بين الشعوب ؛ وأن تحقق هذه الشعوب حريتها الكاملة •

تاسعا : يخلق نزع السلاح الشامل والكامل ؛ أفضل الأوضـاع لوجود التنافس السلمى الاقتصـادى بين النظامين العالميين ، ويكون مفيدا ونافعا لجميع الشعوب • ولا شك فى أن البرنامج الاقتصادى يحقق الوصول الى أحسن النتائج والمنجزات فى ميادين العلم والتقنية ، كما يؤدى الى أفضـل الأوضـاع المـادية والتقنية الجديدة بالنسبة الى تطوير المجتمع الانسانى وتنميته •

عاشرا : يتطلب وجود الأسلحة الصاروخية — النووية فى العـالم اتسـاع ميدان النضال ضد الحرب ، وتغيير طبيعته . فلو حدث ونشبت الحرب النووية — الصاروخية لأى سبب من الأسباب ؛ فلن يخلص أحد من أذى هذه الحرب ؛ مهما كانت الطبقة التى ينتمى اليها • فليس فى مكنة أى عالم ، كما يقول الكتاب ؛ أن يخترع قنبلة ذرية ؛ لا تقتل الا العمال أو الرأسماليين • ومن هنا تبرز المصلحة المشتركة للانسانية ، وتتجسد فى النضال من أجل السلام • واذا ما اتحدت الانسـانية فى هذا النضال ، ولم تبق الا الفئة المستغلة لسباق التسلح خارجها ، فانها تمثل قوة جبارة تستطيع فرض ارادتها على احتكارات صناعة الأسلحة •

أحد عشر : تقف الامبريالية الى جانب الرجعية فى كل مجال وميدان ويعنى هذا ان من المستحيل تحقيق التطلعات الديموقراطية ؛ بما فيهـا تلك التى تقوم فى شكل علاقات ديمقراطية بين الدول فى ظل الامبريالية لكن تحقيقها يتطلب كفاحـا شـاقا طويلا • ولمـا كانت الامبرياليـة والديمقراطية تتعارضان كل التعارض • فان حركة الشعوب الهادفة الى التقدم والديمقراطية هى المنتصرة فى النهـاية على الرجعية والامبريالية • ولقد بات حق الشعوب فى تقرير مصيرها واقعا قائما ، وان كان هناك واقع آخر ، وهو ان الامبريالية ما زالت قوية نسبيا فى بلاد عدة • ويقوم بين هذين الواقعين عهد طويل من الثورات التحررية الوطنية والاجتماعية•

فالحيـــاة تمثل عملية تطورية تمر بفترات يتعايش فيها الماضى والحاضر والمستقبل . لكن الغد المشرق القائم على الحرية والتقدم ، والسلام والعدل ، هو الذى يتبلج بضوئه على الجنس البشرى قاطبة .

هذه بعض وجهات النظر الأساســية التى يحسر هذا الكتاب الذى أقدمه الى المكتبة العربية النقاب عنها ، وهى نظرات تتلخص فى الايمان الكامل بأن نزع السلاح هو مستقبل الانسانية . وفى أن السلام والتقدم حتميان فى العملية التــاريخية التى يشــهدها تطور الانسان فى هذا العالم .

ولعلى أكون فى تعريب هذا الكتاب القيم تعريبا أمينا صادقا قـــد أسهمت فى اطـــلاع القــارىء العربى على بعض القضــايا التى تهم كل انسان مهما كان اتجاهه ، يعيش فى وطننا العـــربى الذى يشترك اشتراكا فعالا فى بناء الغد المشرق للانسانية .

القاهرة فى ٣ أكتوبر ١٩٦٩

خيرى حماد

مقدمة المؤلفين

أوقف كثير من المؤلفين مؤلفاتهم على بحث المشكلات التى يتولى هذا الكتاب درسها ؛ وما زال عدد هذه المؤلفات آخذا فى التزايد · ولا شك فى أن هذه الحقيقة تقيم الدليل على أهمية موضوعه · ولقد ركز مؤلفا الكتاب اهتمامهما على دراســـة المشروعات الهندســـية والعلمية المتعلقة بمختلف القارات . ولقد تبلور الكثير من هذه المشروعات دون أن يكون ثمة أمل كبير فى الافادة منها فى المســـتقبل القريب · وقد يعتبرهـــا بعض أدعيـــاء العلم من المتحذلقين ؛ انحرافات أو خروجا على المألوف ؛ ولكنها بالرغم مما قد تنطوى عليه من الشـــذوذ ، تعين العـــلم والتقنية والفن على التقدم ؛ أكثر من المخطوطات التى تطلبت سنوات طويلة من الجهود المضنية التى تنحسر فى النهاية فعلا عن تكرار تصميمات معروفة؛ أو طلاء زائف لبعض الحماقات القائمة ·

ولو شئنا التعميم لقلنا ان المشـــكلات التى يناقشها هذا الكتاب هى صورة من صور العثرات التى تسد طريق التقدم الاجتماعى وســـبل تطوير الفكر الاجتماعى · ولا شك فى ان هذه المشكلات تجتذب النـــاس وترعبهم فى وقت واحد · فلا يمكن للمرء أن يتجاهلها ، بل عليـــه أن يعالجها ، وأن يكون علاجه لها اليوم ان لم يكن غدا · ولا بد من اخـــراج تلك القوى الاجتماعية فى العـــالم ؛ التى تقف فى طريق التقدم ؛ من المسرح التاريخى كعدوة لجميع الشعوب ، بل للانسانية كلها ·

وليس هذا الكتاب الا ملخصا مقبولا للأفكار التى تطرح الآن علنا فى كل مكان بعد أن اكتسبت اطراء الجميع حتى من الخصوم المكشوفين. واذا كانت هذه الأفكار تنتشر بهذه السرعة فى كل مكان فى العالم ، فان هذا يعنى أن الأوضاع غدت ناضجة لانتشارها .

ونحن لم نحاول أن ندرس دراسة شاملة جميع نواحى المشكلات التى يعالجها هذا الكتاب . فلقد اكتفينا بلمس بعض هذه المشكلات لمسا رقيقا ؛ أو ناقشناها بكثير من التصميم . وعرضنا بعضها الآخر كقضايا أو أسئلة لا يقدم الكتاب عنها ردا أو حلا . ومع ذلك فقد تكون الأسئلة أكثر أهمية من الردود التافهة أو المبتذلة ، اذ أن فى وسعها أن تستفز العقل ، وتستحثه على البحث ، وأحيانا هى فوق طاقات أولئك الذين كانوا أول من حاول مناقشة هذه المشكلات . وهذا وحده يمثل شيئا ولا سيما فى القضايا التى تعتبر واضحة وصريحة أو على العكس مجرد خيال ووهم .

المؤلفان

استهلال

لعل مما يثير الدهشة أو الاستغراب ؛ اذا كان كل ما نقوله فى هذا الكتاب ؛ مجرد خيال أو أساطير . فهل من الممكن أن يكون كل ما يحبه الناس من حاضر ومن مستقبل للحضارة الانسانية ؛ ومن وطن وأسرة وأطفال ، ومهن عزيزة ؛ قد فقد معناه ؟ وهل يمكن لشىء من هذا أن يكون قد حدث بدقة فى وقت كان الانسان فيه قد تسلل الى أعمق أسرار الطبيعة ، ونفذ اليها ، وكانت فيه أمم عدة قد اكتسبت حرياتها الاجتماعية والقومية ؟

ولقد كتب مورجان (١) العالم الأمريكى البارز قبل نحو من مائة عام يقول ... «ليس الزمن الذى مر منذ بدأت الحضارة الا مجرد شطر من العهد الذى مضى على الوجود الانسانى ، والا مجرد شطر آخر من العصور التى لا بد من مرورها فى المستقبل .

ولقد حسب العلماء عمر الكوكب الذى نعيش عليه وقدروه بنحو من خمسة آلاف مليون سنة ؛ وهو عمر يقل فى الغالب عن نصف

---

(١) لويس هنرى مورجان (١٨١٨ ـ ١٨٨١) ـ كاتب امريكى ولد فى نيويورك ، وعمل فى المحاماة . كتب دراسة عن القبائل الهندية الحمراء بعد ان عاش فيها ليدرس طباعها وعاداتها . ومن بين كتبه البارزة أيضا «الناسج الامريكى» وكتاب «المجتمع القديم» وكتاب «الحياة البيئية للهنود الحمر» . المعرب .

عمره الحقيقى . ويقدر عمر الجنس الانســــانى ؛ أو على الأصح عمر الانسان صاحب العقل بما يتردد بين خمسين وسبعين ألف سنة . وفى وسع الانسان أن يتطلع الى ملايين الأجيال فى المستقبل . ولو اننـــا درسنا ما حققه تقدم الصناعة والعلم فى غضون المائة الى المائة والخمسين سنة الماضية ؛ فليس فى وسع أى خيال مهما كان خصبا ؛ أن يرســـم صورة تقريبية لما سيكون عليه المجتمع الانسانى بعد مائة عام من هذا التاريخ .

ولقد بين عالم الطبيعة البريطانى وحامل جائزة نوبل جورج طومسون فى كتابه « المستقبل المتوقع » ، وبطريقة محــددة ، استمدها من العلوم التطبيقية ، ان جميع الأوضاع اللازمة لوجود الناس ستتغير تغيرا جذريا باتجاه الأفضل وفى فترة قصـــيرة ، اذا أمكن الحفـــاظ على السلام فى العالم ؛ وان فى الامكان العثور على حلول لجميع المشكلات المحتملة فى ميادين الطاقة والمواد الأولية والغذاء ؛ وحفظ الصـــحة والتعليم . وأكد أن الاكتشافات فى المستقبل ستتجاوز طاقة كل ما نعتبره من الاستحالات المطلقة فى هذه الأيام .

ويقدر العلماء ان الانجازات الحـديثة فى ميـادين العلم والهندسة لا تقل فى أهميتها التاريخية عن اكتشاف النار أو ظهور الزراعة . وهم يرون ان الوقت لم يعد بعيدا ؛ عندما يصبح الانسان قادرا بوجه خـاص على التحكم فى العمليات الطبيعية . ويصل سيميونون ؛ العالم السوفياتى فى الكيمياء وحامل جائزة نوبل ، الى النتيجة التالية .. « تصل سيطرة الانسان على الطبيعة الى آفاق غير متوقعة . فهناك لأول مرة فى التاريخ احتمال فعلى للقدرة على سد جميع المتطلبات المادية والروحية لكل انسان على وجه البسيطة » .

ومع ذلك ، وهنا يكمن عنصر المأساة فى عصرنا هذا ، يقف العالم الآن على مفترق طريقين ، الطريق المؤدية الى الحيـــاة ؛ وتلك المؤدية الى الموت الذرى . ولسنا فى حاجة الى القول بأن النـــاس لا يرغبون فى اختيار طريق الموت . وبالرغم من أنهم قد قطعوا أحلك العهـــود ظلاما وأقساها فى تاريخهم ؛ الا أنهم أخذوا يواجهون الآن مخاطر تهـــدد وجودهم .

فمن المعروف أن قنبلة هيدروجينية ضخمة واحدة ؛ تحمل قـــوة تفجيرية أقوى وأشد من تلك التى حملها جميع العتاد المستخدم فى الحروب السابقة وبينها الحربان الأولى والثانية .

ولقد تم انتاج قنابل تحمل مائة ميجاتون · وفى وسع صـــاروخ واحد من عابرات القارات ، يحمل مثل هذا الرأس النووى الحرارى بمثل هذه الطـاقة الحربية أن يدمر جميع الأهداف العسكرية والصـــناعية فى منطقة تتسـع عدة ألوف من الكيلو مترات المربعة ، تدميرا كاملا وشاملا ، فى حين قد تشمل المنطقة المعرضة للاشعاعات الخطرة والناشئة عن مثـل هذا التفجير ، مئات الألوف من الكيلو مترات المربعة · وفى وســع أى صـــاروخ عصرى من عابرات القـــارات (J. C. B. M.) يتمتع بطاقة قاذفة تتفوق بأصناف عدة على طاقة أكبر محطة لتوليد الكهرباء المائيـة (كمحطة براتسك على نهر أنجـــارا التى تبلغ قوتها (٣ر٦٠٠ر٠٠٠) كيلو واط ساعة) ؛ أن يحمل رأسا نووية الى أية نقطة فى العالم ·

ويقـدر العلماء أنه فى حالة استخدام أكوام الأسلحة النووية التى تم تجميعها ، فان ما يتردد بين سبعمائة وثمانمائة مليون من البشر أو نحوا من ٢٥ فى المائة من سكان العالم ، سيتعرضون للفناء والابادة ، نتيجة الضربة النووية الأولى وحدها .

ويتضح من هذا أن العالم يتأرجح على براميل من البارود ، ملأى بالأسلحة النووية الحرارية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل ·

ومع ذلك فان سباق التسلح النووى فى العالم ، ما زال قائما على قدم وساق ، وذلك بالرغم من أنه قد فقد كل معنى له حتى من وجهة نظر التكنيك العسكرى · فليست الســـاعة فى حاجة عند طرقها أو كسرها الا الى ضربة واحدة من مطرقة صـغيرة · ولو انك شــددت من ضربة المطرقة ، فان هذا التشديد لن يفعل فى الساعة أكثر مما فعلته بها فى الضربة الأولى · وينطبق نفس القول أيضـــا على الأســـلحة النووية التكتيكية · ولو حدث وتفجر نحو مائة رأس نووى من عيار ميجاتونين فى فترة قصيرة فى سماء دولة تتردد مساحتها بين ثلاثمائة وخمسمائة ألف كيلو متر مربع ؛ فان هــذه الانفجارات ســتحيل مناطقها الصناعية والادارية الى أنقاض ، وتجعل من أراضيها كلها صحراء تخلو من الحيــاة وملوثة بالاشــعاعات الذرية والنووية(١) · ويدرك الوزراء والمستشارون والجنرالات العسكريون وأمراء البحر وضباط الأركان وجميع العلمــاء والمخططين الذين يكرسون جميع جهودهم لتحسين الأســاليب والخطـط

---

(١) تبلغ مساحة المملكة المتحدة التى تضم بريطانيا وايرلندة الشمالية نحوا من ٢٤٤ ألف كيلومتر مربع ، كما تبلغ مساحة المانيا الاتحادية نحوا من ٢٤٨ ألف كيلومتر مربع ، ومساحة فرنسا نحوا من ٥٥٢ ألف كيلومتر مربع ·

العسكرية التكنيكية فى الدول الغربية جميع هـذه الحقـائق ، ومع ذلك فهم يركزون جميع جهودهم على الاسراع فى سباق التسلح · ولقد بلغ مجموع اتفاق جميع الدول على الأهداف العسكرية فى عام ١٩٦٥ نحوا من ١٣٠ ألف مليون دولار ؛ انفقت الدول الأعضاء فى الحلف الأطلسى وحدها منها نحوا من خمسة وسبعين ألف مليون · وفى وسـعنا أن نقول على سبيل المقارنة ان الانفاق الحربى المباشر من جميع الدول فى الحقبة التى سبقت الحـرب العالمية الثانية بلغت نحوا من أربعـة آلاف مليون دولار ليس الا ·

ويخلص المرء من مطالعته للصحف البورجوازية فى البلاد الأعضاء فى الحلف الأطلسى الى الانطباع بأن ليس ثمة ما هو أكثر أهمية من انشاء « قوة نووية متعددة الأطراف » لدول حلف الأطلسى : تحشد الغواصات النووية الحاملة لصواريخ بولاريس على مقربة من الفاتيكان والقدس ومكة والمدينة ، أو تزود جيش ألمانيا الاتحادية بالأسلحة النووية بأى سبيل من السبل · ويلقى هذا الضجيج المنطوى على النوايا الشريرة ، كل دعم من الدوائر المغالية فى نواياها العدوانية فى الولايات المتحدة التى تمثل دعامة النزعات العسكرية والاستعمارية والرجعية فى العالم كله ·

وليس الشيوعيون وحدهم الذين يدركون أهمية الحفاظ على السلام· فلقد عبر البابا يوحنا الثالث عشر فى شهر أبريل من عام ١٩٦٣ فى رسالة وجهها الى العالم ؛ عن هذا الادراك ؛ كما شارك فى التعبير عنه الرئيس الأمريكى السابق جون كيندى فى خطاب ألقاه فى احدى الجامعات الأمريكية ، والمؤتمر الاسلامى الذى عقد فى بغداد فى عام ١٩٦٢؛ ومؤتمر القمة لرؤساء الدول والحكومات اللامنحازة الذى عقد فى القاهرة فى عام ١٩٦٤ · ومع ذلك ما زال العدوان الأمريكى الامبريالى فى فيتنام والتدخل الأمريكى المسلح فى الشـــئون الداخلية لشعب جمهورية الدومنيكان ؛ وأعمال العصابات التى يقوم بهـا الامبرياليون فى الكونجـو وغيرها من أجزاء العالم ، تمثل الطبيعة الشريرة لأعداء السلام ·

ولا يعتبر الشعب السوفياتى الحرب أمرا حتميا ، ولكنه يرى فيها احتمالا قائما · فقد تندلع نيران الحـرب النووية الحرارية فجـأة ، بل بصـورة عارضة وخارج اطار النوايا الذاتية لحكومات الدول الامبريالية · وبينت أزمة البحر الكاريبى فى خريف عام ١٩٦٢ ؛ غرابة الشفير الذى يفصل العالم اليوم عن الحرب النووية الحرارية · ولو قدر ونشبت حـرب جديدة ؛ فانها ستعنى حتما نهاية الامبريالية ؛ اذ ان أحداث فيتنام الراهنة

تؤكد هذه الحقيقة · ولكن مئات الملايين من الناس ، سيواجهون الدمار والفناء ؛ كما ستواجه أهم مراكز الحضارة فى العـــالم الدمار · ولا شك فى أن العميان والمقامرين المتهورين هم الذين لا يرون هذه الحقائق ·

ولايمكن الحفاظ على الســـلام فى العـالم ، اذا لم تضمن الحقوق المتساوية لجميع الدول والأمم ، صغيرها وكبيرها · ولم يعد النضال من أجل الســلام الآن معزولا عن النضال من أجــل السيادة ، كمـا لم يعد الاستعمار قديمه وجديده ؛ مفصولا عن خطر العدوان المسلح ؛ وانتهاك السيادة والحرية ·

وعلى جميع العاقلين المكافحين الذين يقدرون أهمية السلام والحياة ؛ أن يكرسوا جميع جهودهم للنضال ومكافحة احتمال نشوب الحرب النووية الحرارية · فهذا الاحتمال يمثل فى الوقت نفسه المشكلة الكبرى التى تواجه العالم ، وذلك لأن فى وسع الأمم أن تحل جميع المشكلات الأخرى التى تواجهها فى أوضاع السلام ·

وكتب جى طومسون(١) يقول ·· «ليس ثمة مايدعو الى توقع حدوث ضرر لايمكن اصلاحه فى الارض من الناحية المادية لملايين السنين القادمة »· ثم مضى يقول متهكماً : « ·· فمن العسير ابادة جنس من المخلوقات توطدت أقدامه · ولا شك فى أن جهود الانسان لقتل الجنس البشرى وابادته ؛ لن تكون أكبر نجاحا من آثار ميكروبات الطاعون أو جراثيم الأنفلونزا · وفى وسع الانسان حتى مع وجود هذه الأدمغة الراهنـــة للعباقرة من الناس أن يتوقع مستقبلا رائعا » .

وليس توقع المستقبل الرائع بالحلم الطوبائى فلقد أكدته التبدلات التى وقعت فى الحياة الاجتماعية للأمم · ولو أننا قارنا بين الوضع العالمى الراهن وبين ماكانت عليه الاوضـــاع العالمية قبل خمسين أو مائة عام ، لوجدنا بمنتهى الوضوح ان التبدلات التى وقعت فى حياة المجتمع شاملة ومهمة فى كل جانب من الجوانب ، ولاتقل أهمية وشمولا عن تلك التى وقعت فى علوم الطبيعة وفى الصناعة ·

ولقد وقعت الثورات الصناعية فى القرن التاسع عشر أول ماوقعت

---

(١) السير جورج باجيت طومسون (١٨٩٢ ــ   ) · عالم طبيعى بريطانى ــ درس فى كمبريدج ، عمل فى القوة الجوية ــ وقام ببحوث كثيرة فى علم الطيران · أصبح أستاذا للفلسفة الطبيعية فى جامعة لندن نال جائزة نوبل للفيزياء فى عام ١٩٣٧ · من أشهر مؤلفاته «الذرة» و «الالكترونات ــ نظرية وتطبيقا» و «وحى العلم» · المعرب ·

فى اكثر البلاد الرأسمالية تقدما فى أوروبا ، ثم عادت فوقعت فى الولايات المتحدة واليابان · ولقد خلفت الكهرباء وآلات الديزل ؛ الآلات والمحركات البخارية والسفن والقاطرات البخارية · وكلها فى خدمة الانسان وكان الاستخدام العملى لجميع هذه الاكتشافات محصورا فى البداية فى مجال ضيق للغاية ؛ وعمل على توسيع استغلال الانسان للانسان ؛ وعلى تعميق الفجوة القائمة بين الدول والأمم ، وهى الهوة التى طفت على السطح بالنسبة الى الاغلبية الغالبة من شعوب البلاد المضطهدة ·

وسرعان مابدأت عملية التحولات الاجتماعية الهائلة · ودخل العالم فى عصر من المفاهيم الجديدة كمفاهيم « الاشتراكية » و « تقرير الشعوب لمصيرها » و « الخطط » ؛ و « التعاون » و « التعايش السلمى » ، و «القضاء على الرأسمالية ونزع السلاح الشامل والكامل» و «السبوتنيك»، « ورواد الفضاء » ، وهلم جرا ·

وشهدت الحقب القليلة الأخيرة ظهور ثورة ضخمة فى ميادين العلم والهندسة ؛ أخذت تبرز بوضوح أمام أعيننا · ولا شك فى أن هذه الثورة فاقت كل ما سبقها من ثورات فى أهميتها ومداها · ولقد كان الاختراع الواحد أو الاختراعان يمثلان فى الماضى القوة الحافزة للثورات الصناعية ؛ كاختراع الآلة البخارية مثلا ؛ أو المغزل أو آلة الضغط الداخلى أو الكهرباء ولقد فتح ادخال هذه الآلات فى عالم الانتاج آفاقا جديدة فى تطوير بعض الفروع الأساسية فى الصناعة والنقل والوصول بها الى ذرا جديده · وسرعان ما امتدت التبدلات الى فروع جديدة بصورة متدرجة ، ولكنها لم تؤثر تأثيرا شاملا على الاقتصاد ككل ، وظلت محصورة فى مجموعة من البلاد النامية والمتطورة · وكان هذا هو الاسلوب الذى تحققت فيه تنمية القوى الانتاجية حتى أواسط القرن الذى نعيش فيه ·

ولكن تبدلات جذرية وقعت بعد هذا التاريخ · فلقد دفع العلم الحديث بسيل متدفق وواسع من الاكتشافات والاختراعات الى ميدان الانتاج · وخطت هندسة الفضاء والصناعات الكيماوية والقوى المحركة خطوات واسعة فى هذا الميدان · وتحققت أعظم الاكتشافات فى علوم الرياضة والطبيعة والعلوم النووية والحياتية . وتم الوصول الى صور جديدة من المواد الأولية ومن المصادر الجديدة للطاقة ؛ كما تم تطوير عمليات تقنية جديدة ، كما يجرى التحول الى التألية فى عمليات كثيرة من عمليات السلوك الذهنى ·

ولا شك فى أن هذه الابتكارات كلها قد تركت أثرا ضخما على

الانتاج وعلى حياة الشعوب . وبات العلم الآن يمثل دورا أكبر فى حياة المجتمع . ولم تعد البحوث العلمية الآن مقتصرة على بعض المشروعات الفردية أو الشركات أو المعاهد ، وانما باتت تتحقق الآن على الصعيد القومى ، بل على الصعيد الدولى أيضا .

ونحن لا ننكر ان البلاد الأكثر تقدما فى مجال الصناعة ، مازالت حتى الآن تحتل المكان الأول فى الانتفاع من ثورة الصناعة والهندسة . ولكن هذه الثورة ؛ لا تستطيع الجمود عند هذا الحد .

ولا بد أن تتحول الثورة الراهنة فى العلم والهندسة الى رأس مال ضخم بل موجود لدى جميع البلاد والشعوب بلا استثناء . ولا بد أن تؤدى الى فيض عالمى ورفاه شاملين . وألا يقتصر خيرها على رخاء صفوة مختارة من الناس . فلقد بتنا نعيش فى عهد من النهوض بالنسبة الى الجنس البشرى كله . ولقد أخذت الشعوب تدرك أكثر فأكثر أن المنجزات المادية والتقنية ومجالات التقدم الاجتماعى متوافرة للجميع ، وان ليس فى الامكان وقف عجلة التقدم على الاطلاق .

ترى ما الذى يحتاجه الناس الآن ؟

انهم فى حاجة أولا الى الحفاظ على التعايش السلمى بين الدول ، وان يضمنوا عدم الاستيقاظ ذات صباح ، ليجدوا ان الشمس قد كسفت وأن أسلحة الدمار الشامل تمطر الجنس البشرى بوابلها . لتدفن تحت هذا الوابل ، كل ما حققته الحضارة من منجزات ؛ وتطمر معها آمال غالبية هذا الجنس التى لم يمض طويل وقت على تحررها من أصفاد النير الاستعمارى وأغلاله .

وهم فى حاجة ثانيا الى أن يفيدوا عقلانيا من جميع القوى البشرية وتجاربها ومعرفتها ؛ وكل ما حققته العلوم الاجتماعية والطبيعية من منجزات ؛ فى كبح جماح المقامرين والمعتدين المتهورين الذين لا يرعون الا ولا ذمة ، وليخلقوا عالما يخلو من الأسلحة والحروب عن طريق الجهود المتضافرة لجميع الشعوب .

وكتب جون بيرنال (١) ، العالم البريطانى المعروف والرئيس

---

(١) جون بيرنال (١٨٠١ –   ) عالم طبيعى بريطانى – عمل أستاذا فى كمبردج – عمل مستشارا علميا للقيادة العسكرية المشتركة ابان الحرب العالمية الثانية – نال جائزة لينين فى عام ١٩٥٣ – من اشهر كتبه «العالم والجسد والشيطان» و «العمل الاجتماعى للعلم» و «الحرية من الحاجة» و «العلم فى التاريخ»   – المعرب –

السابق للجنة التنفيذية لمجلس السلام العالمي في كتابه الرائع ٠٠٠٠ « عالم بلا حرب » ، يقول : « لا شك في ان عملية « الوفرة » أكثر قدرة على النجاح من أية عملية عسكرية أخرى في أية حرب من الحروب ،ولكنها في حاجة كأية عملية عسكرية ثانية الى التفكير والتخطيط ؛ والتنفيذ ، لا عن طريق الفكر وحده ، بل مع النية الصادقة والحماسة والحيوية » ٠

ويسود الاضطراب والارتباك العالم كله في الوقت الحاضر ٠ فلقد أصاب التحول كل شيء فيه تقريبا ؛ وشرعت بعض أوضاعه في تكييف نفسها لتتلاءم مع الصورة الجديدة ٠ ولقد نهضت شعوب عدة ؛ لتباشر حياة نشطة حافلة بالواجبات والحاجات الملحة ٠ وتضم هذه الواجبات أكثر المشكلات الدولية الحاحا ، كتأمين الغذاء ومكافحة المجاعة والفقر ؛ والدمار الاقتصادي والافتقار الكلي للسلع الضرورية ٠ ويكرس ملايين الناس بصورة طبيعية . كل جهد لديهم ، لمواجهة هذه الواجبات والوقوف ندا لأدائها ٠ وقد يقول هؤلاء ٠٠٠ وما الخير في التفكير في المشكلات العالمية العامة ، وفي نزع السلاح الشامل والكامل على الصعيد العالمي ؛ في حين يتحتم على الشعوب التي تطحنها الفاقة الوصول الى ذرا الحضارة المعاصرة ؟ أو ليس من الخير لهذه الشعوب أن تركز على الحاجات الفورية الملحة ؟ فقد لا تكون ثمة جدوى في « النظريات العالمية » ولا سيما نظرات الاشتراكيين الطوبائيين من أمثال توماس مور (١) وكمبانيلا (٢) وسان سيمون (٣) وفورير (٤) الذي مازالت أفكارهم حية حتى الآن تطل عبر غياهب القرون وظلماتها ٠

---

(١) توماس مور - (١٧٧٩ - ١٨٥٢) - شاعر انجليزي رومانسي ٠ يعتبر من أوائل الطوبائيين الاشتراكيين ٠ ولد في ايرلندة ولكنه عاش في انجلترا حيث درس الحقوق ٠ من أشهر كتبه «رحلات بحثا عن الحقيقة» ٠

(٢) توماس كامبانيلا (١٥٦٨ - ١٦٣٩) - فيلسوف ايطالي ٠ ولد في كالابريا ٠ عاصر السير فرانسيس بيكون وكان مثله يحاول ان يثبت ان للفلسفة اسسها وقواعدها٠ سجنته حكومة كالابريا بتهمة التآمر عليها ليصبح حاكما لها ٠ ومن أشهر كتبه «الفلسفة العقلية» وكتاب «الحواس والعودة الى الخيال» ٠

(٣) سان سيمون (١٧٦٠ - ١٨٢٥) فيلسوف وكاتب فرنسي ومن الاشتراكيين الأول٠ حارب مع الامريكيين في حرب الاستقلال - وضع عددا من المشروعات الاشتراكية الطوبائية التي ترمي الى اصلاح المجتمع على أسس اشتراكية ٠ نشرت مؤلفاته كلها في ٤٧ مجلدا ٠

(٤) فرانسوا - ماري فورير (١٧٧٢ - ١٨٧٣) - كاتب اشتراكي فرنسي - طاف كثيرا في فرنسا وهولندة والمانيا ٠ من أشهر كتبه «نظرية حركات أربع والمصير العام» وقد لخص فيها نظرياته في تطوير المجتمع ٠ - المعرب -

حقا ، ان مثل هذه الشكوك ؛ لم تعد ضرورية ؛ فلم يعد عصرنـــا مقتصراً على ضرورة معالجة المشكلات المحدودة والملحة وحدها ؛ وانمـــا هو عصر معالجة المشكلات العامة أيضـــا • فمن الضرورى تأكيد جميع التفصيلات المهمة والحيوية والتفكير فى القضايا التى تهم الجنس البشرى كله •

ولا شك فى أن الأفكار المتعلقة بالســـلام والتقدم ، والعزيزة على قلوب جميع الأشراف فى العالم ، تفقد كل معنى لها ، اذا لم تتحـول الى تطلعات عامة ومشتركة ، وتغدو ، الايمان ، والالهام ، والفكر السائد والهدف فى النضال الذى تخوضه الجماهير •

ولهذا فليس من الاصطناع فى أى حال من الأحوال أن نبين اليـــوم وبمنتهى الوضوح والواقعية والعملية ، الفرص المتوافرة امام الجنس البشرى • لتمكين الشـعوب من التطلع الى المستقبل ورؤية الطرق المتاحة لهـا ؛ والتفكير فيما يجب عمله فى ظـــل الأوضاع العصرية ، بالنسبة الى جميع الشعوب ؛ وكيف يتحقق هذا العمل ، وحمل الناس على التفكير فى أسباب التقاعس عن القيام به •

ومن الصحيح اننا فى عملنا هذا نستكشف مجاهل الغيب الى حـــد ما ؛ أو نحاول استقراء عالم المستقبل • ولكن لم لا نفعل ذلك ؟ فلقـــد ارتقت الحياة بكل ما تتميز به من حيوية ونشاط وها نحن نواجـــه من المشكلات الآن ما كان الكثيرون يعتبرونها حتى الأمس قضية من قضايا المستقبل البعيد •وهاقد بات حاضرنا الآن هو عين مستقبلنا غدا • وعلينا أن نفكر الآن بأسلوب جديد ، لا على الصـــــعيد القومى فحسب بل على الصعيد العالمى أيضا •

١ في قصر الأمم ...

ما زالت لجنة نزع السلاح التابعة للامم المتحدة تجتمع منذ سنوات عدة في جنيف في قصر الامم · وتغطي الرسوم الضخمة التي رسمها بشيء من التجريدية الفنان الاسباني سيرت (١) ، والمكرسة للسلام والعلم والتقدم والصداقة بين شعوب القارات كلها ، سقف القاعة التي تعقد فيها اجتماعات هذه اللجنة وجدرانها ·

وتجتمع اللجنة التي تضم ممثلي ثماني عشرة دولة ، عدة أشهر في السنة ، وتحولت اجتماعاتها الى حدث من الاحداث في هذه المدينة الهادئة والى مصدر من مصادر الدخل بل الى لوحة رسم دولية ·

ويمثل المشتركون في اللجنة أناسا من مختلف الصور · فبعضهم يعتبرون بالطبع من الاحرار، أو انهم يؤثرون على الأصح اعتبارهم كذلك· وهم يؤثرون الوصول الى نزع سلاح متدرج ومتأن ، ولذا فهم يعتبرون التدرج والاوضاع غير المقررة أهم من نزع السلاح نفسه · وهم لا يكادون يبدءون أعمالهم حتى يروحون في أغراق أنفسهم في جميع صور التفاصيل ،

(١) خوزيه سيرت ولد عام ١٨٠٢ معماري اسباني المولد وأمريكي الجنسية · عمل في الفن التجريدي وأقام عددا من الابنية الرائعة ومنها عدد من السفارات الامريكية في الخارج وجامعة هارفارد ومتحف فرنسي · — المعرب —

وفى حل جميع المشكلات الثـــانوية • وهم يستلهمون فى عملهم ، فكرة اغراق أنفسهم فى العمل ، ولكنهم لا يحلون كما كان الوضع فى عصـبة الأمم السابقة أيا من المشكلات الرئيسية لنزع السلاح التى تؤدى بدورها الى حل ألوف القضايا والمشكلات الثـــانوية • وما زالت تعبيرات هؤلاء السادة المنطوية على الجزالة ، ميـالة الى محـاولة التأثير على الآخرين فى بعض الأحيان ، وما زالت ابتساماتهم المداهنة ، تميل الى خلق جـو من المرح، كما تدفع الاسئلة — التى يوجهونها — الآخرين الى التفكير، كما لايزال المصباح الخافت لنظرياتهم العســكرية الليبرالية ، كسيف الضـوء فى وضح النهار • ولقد قابلنا فى جنيف أيضا وفى أجهزة لجنة نزع السلاح، أناسا كانوا يعملون فى الأجهزة المماثلة لعصبة الأمم السابقة ، وكانوا متميزين بالنشاط والنزعة الشكية •

وتضم اللجنة أيضا أناسا آخرين ، لا يمثل نزع السلاح لهم مجرد تعبير خال من كل معنى ومضمون ، ولا يتخذون منه مجرد ذريعة للزيف والنفاق ، وانما يمثل مشكلة ملحة وجد حيوية • وهم يحاولون ، الخروج على الهدوء المتجمد الآسن فى أعمال اللجنة ، والشروع فى مناقشات حادة وخطيرة . ولكن لما كنا لا نحاول وضع رواية عن أعمال اللجنة ، فليست ثمة حاجة الى الغوص فى تحليل الشخصيات •

ولقد انقضت ثلاث سنوات على لجنة جنيف وهى غارقة فىمناقشاتها لوثيقتين اثنتين ليس الا • وأولى هاتين الوثيقتين مســودة معاهدة نزع السلاح الشامل والكامل التى قدمها الاتحاد السوفياتى • ولو اننا اعتبرنا نزع السلاح احتمالا واقعيا وحقيقيا فى التطور الاجتماعى ، فان فى وسعنا أن نقول ان هذه الوثيقة تحـدد طريق المستقبل للجنس البشرى • وفى وسعنا أن نعرف بما يعهد فى صياغات الوثائق من تحديد للمعانى خال من كل عاطفة ، عن طريق هـذه الوثيقة حقيقة ما يخبئه المســتقبل للكرة الارضية التى نعيش فيها وما يجب أن يكون عليه هذا المستقبل •

وتنص المسودة السوفياتية على زوال جميع القوات المسلحة باستثناء بعض الوحـــدات التى حددتها المسودة من الوجود الى الأبد بعد خمس سنوات من وضع معاهدة نزع السلاح الشامل والكامل موضع التنفيذ ، كما تنص على منع بعثها من جديد فى أية صورة من الصور ، وعلى اختفاء جميع الجيوش والأساطيل البحرية والقوات الجوية من العالم • وسيتحول الشبان الذين انتزعوا من حقول الدراسات والاعمال السلمية ، والضباط والقادة العسكريون ، وخبراء الحرب فى جميع الميـــادين والمجـالات الى الاعمال النافعة على الصعيدين الاجتماعى والسلمى • وسيتوقف التدريب

العسكرى ، كما ستلغى جميع قوانين التجنيد • وستحال وزارات الحرب وهيئات الاركان العامة ، وكل ما تضمه من أدوات وأجهزة الى المتاحف التى يجب أن تمت اليها •

ولو تحقق المشروع السوفياتى ، لتم تدمير أكوام جميع الأسـلحة ولا سيما النووية والهيـدروجينية والكيماوية والحياتية والاشعاعية ، ولتوقف انتاجها • وسيكون مصير الصـواريخ المعدة لاطـلاق الاسلحة النووية ونقلها الى أهـدافها ، اما التـدمير ، أو الخضوع لرقابة دقيقة لاستخدامها فى الغايات السلمية ، سواء فى رحلات الفضاء أو للنقل الى مسافات بعيدة • وستغدو الطائرات الحربية صـورة من صور الماضى • ويخيم السلام على الطرق البحرية ، وتتعرض الغواصات والبوارج الحربية اما للتحول الى « خردة » أو الى سـد الاحتياجات السلمية • وستصفى القواعد العسـكرية التى احتفظت بها بعض الدول الكبرى مدة طويلة بعد الحرب •

وستصهر الدبابات والمـدافع والهـاونات وغـيرها من الاسلحة التقليدية ، ليعاد استخدامها فى الاغراض السلمية •

ولن يجد الناس أنفسـهم مجبرين على دفـع ضرائب مباشرة أو لا مباشرة باهظة لتمويل الاغراض الحربية •

وستتحول المثل السامية للبشرية عن قيـام عالم يخلو من الحروب ومن الاسلحة التى تبدو الآن مجرد شطحات من الخيال الى واقع بل الى وجود يومى •

وستحتفظ الدول بمجرد وحدات صغيرة ومحدودة للغاية من الشرطة أو من المتطوعين المزودين بالاسلحة الصغيرة للحفاظ على الامن والنظام ، ولأداء بعض الواجبات ـ عندما يتطلب الأمر ـ المتعلقة بالحفاظ على السلام والامن فى ظل ميثاق الامم المتحدة •

وينص المشروع السوفياتى على أن تسير جميع اجراءات نزع السلاح فى كل مرحلة من المراحل ، جنبا الى جنب مع اجراءات من الرقابة الدولية الفعالة ضمن اطار الامم المتحدة • فالمبدأ الذى يستند اليه هـذا المشروع هو ضمان نزع السلاح الشـامل والكامل فى ظـل رقابة عامة وشاملة ودقيقة للغاية •

ولكن ما السبيل الى الشروع فى نزع السلاح ؟ وما المراحل التى

يتم تنفيذه فيها ، اذا أخذنا في عين الاعتبار ، الاوضاع الراهنة السائدة للعلاقات الدولية • والمواقع الاستراتيجية للدول ؟

ينص المشروع السوفياتي المستند الى فكرة كان الرئيس الفرنسي ديجول قد تقدم بها في البداية على وجوب تدمير جميع وسائل نقل الاسلحة النووية في السنتين الاوليين من تنفيذ نزع السلاح ، وبينها الصواريخ العابرة للقارات وغيرها ، والطائرات والسفن والغواصات والمدافع المختلفة(١) • ولابد في الوقت نفسه من تصفية جميع القواعد العسكرية القائمة في أراض أجنبية ، وسحب جميع القوات الحربية من الاراضي الاجنبية مهما كانت أسباب وجودها ومبرراته ، وسواء أكانت بقصد الاحتلال ، أم لأي هدف آخر •

ومن العسير على المرء أن يحمل على محمل الجد ، اعتراضات الدول الغربية الكبرى على اغلاق القواعد العسكرية البريطانية في ليبيا أو القواعد العسكرية الامريكية في الفلبين مثلا ، تحت ستار الادعاء بأن هذه القواعد تهدف الى الدفاع عن حرية ليبيا والفلبين واستقلالهما ، أو عن «العالم الحر» بوجه عام •

ياله من قول هراء !! فلقد حققت ليبيا والفلبين ومنذ عهد قريب للغاية ، وعلى حساب تضحياتهما العظيمة ، حريتهما واستقلالهما وبعد استخلاصهما من براثن المستعمرين ، ولكن هؤلاء ما زالوا مصممين على «الدفاع» عن هذين البلدين ضد الليبيين وشعب الفلبين • ولا شك في ان هذه الحماية التي لا يطلبها أحد ، انما تستخدم الحجج الغريبة نفسها التي كان ملك انجلترا يلجأ الى استعمالها في نهاية القرن الثامن عشر

---

(١) ادعى ممثلو الدول الغربية في المناقشات التي جرت في قصر الامم في جنيف ان ازالة جميع ناقلات الاسلحة النووية ستضع حلفاء الولايات المتحدة الامريكية في وضع استراتيجي غير متكافىء مع حلفاء الاتحاد السوفياتي • وسرعان ما اعلنت الحكومة السوفياتية استعدادها للموافقة على استيفاء كميات محددة من الصواريخ عابرات القارات، وغيرها من الصواريخ التي تحمل اسلحة نووية تحت تصرف الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، وفوق أراضيهما لضمان وجود ما يسمى بالمظلة الجوية الى نهاية مدة نزع السلاح• على ان يضمن الاشراف الكامل على ما يتبقى من الصواريخ ومن رءوسها النووية الحربية • ورد الممثل الأمريكي على هذا التساهل من جانب الاتحاد السوفياتي ، باقتراح «تجميد» الوسائل الاستراتيجية لحمل الاسلحة النووية ، أي الاحتفاظ باعداد الموجود منها في المستوى الراهن • ولكن هذا الاقتراح الامريكي ، يمثل في الواقع خروجا صارخا على الصدق في المناداة بنزع السلاح •

لاقامة الدليل على «حقه الذى لا ينازع» فى أن تحتفظ بلاده ، « بريطانيا العظمى » بقواعدها العسكرية فى الولايات المتحدة ، بعد أن حققت هذه تحررها من السيطرة البريطانية الاستعمارية · ولقد برع توماس بين(١) فى الرد على بريطانيا نيابة عن الولايات المتحدة ، ولكن وقتا طويلا انقضى على العهد الذى كان فيه أهل وول ستريت (٢) ، يقرءون ما يكتبه توماس بين. فلقد ذكر هذا المناضل المشهور فى دفاعه عن حرية أمريكا فى كتيبه المعروف «المنطق» ، الذى أصدره فى عام ١٧٧٦ يقول ·· « وقد يزعم البعض ، ان بريطانيا ستتولى الدفاع عنا اذا اتفقنا معها · ولكن أتكون بريطانيا من الحمق ، بأن تحتفظ فى موانئنا بأسطولها لهذه الغاية ؟ ان المنطق يقول ان الدولة الكبرى التى ظلت تحاول حتى الآن اخضاعنا ، غير مؤهلة أكثر من غيرها من الدول ، للدفاع عنا · فقد يتنكر الاحتلال تحت ستار الصداقة ، وقد نخدع بعد مقاومتنا الباسلة والطويلة ، فندفع الى العبودية ·· واذا كان لنا بعد كل هذا أن نحمى أنفسنا ، فلم لا نقوم بذلك بأنفسنا ؟·· ولم يتولى غيرنا هذا الدفاع ؟»·

ولقد أقامت التجارب التى شهدتها السنوات الاخيرة مرات عدة الدليل على صحة الاستنتاجات التى توصل اليها توماس بين وهى ان القواعد العسكرية التى تقام على أراض أجنبية انما تؤدى الى انزال الظلم بالدول الضعيفة لا الى حماية حريتها واستقلالها ·

وقد نتساهل فنوافق دعاة الولايات المتحدة الامريكية على ادعاءاتهم بأن بلادهم تنشر أكثر من مليون ضابط وجندى يمثلون أكثر من أربعين فى المائة من قواتها المسلحة ، فى أكثر من ثلاثين دولة كما تحتفظ بنحو من ٥٤٠ قاعدة عسكرية ومراكز تدريب ومناورة وبالكثير من الاهداف العسكرية الاخرى فى بلاد أجنبية بقصد الحفاظ على السلام العالمى · ولكن · لا ، ان هذا التساهل مستحيل اذ اتضح لنا من الأحداث الأخيرة فى جنوب شرق آسيا والكونجو ، وجنوب شبه الجزيرة العربية وجمهورية الدومنيكان وغيرها ، ان وجود القوات الاجنبية فى أية بلاد لا يساعد على الحفاظ على السلام ، وانما يؤدى الى تفاقم التوترات الدولية ، ويؤدى الى

---

(١) توماس بين (١٧٣٧ ـ ١٨٠٩) ـ مؤلف وسياسى بريطانى ـ هاجر الى أمريكا ، من أشهر كتبه «المنطق» وقد ناقش فيه اسباب الحرب ضد أمريكا · عمل فى الجيش الأمريكى · وله كتاب «حقوق الانسان» وكتاب «عصر العقل» · عمل مع الثورة الفرنسية ثم سجنه روبسبير ، وعاد فهاجر ثانية الى أمريكا حيث مات فيها ·

(٢) وول ستريت حى المال ورجال الاعمال فى نيويورك · ـ المعرب ـ

مثول خطر فورى يهـدد سـلامة الدول وأمنهـا ، وحريتها واستقلالها القومى ·

وكان هذا هو السبب الذى دفع الحكومة السوفياتية الى أن تقترح فى شهر مايو من عام ١٩٦٥ ، على لجنة نزع السلاح التابعة للامم المتحدة، أن تقوم جميع الدول التى تملك قواعد عسكرية فى بلاد أجنبية لتصفية هذه القواعد فورا ، وبأن يعقد اتفاق فورى يقضى بسحب جميع القوات الاجنبية على التو من أراضى الدول الاخرى · ويعتبر هذا الاقتراح عنصرا مهما كل الاهمية فى برنامج نزع السلاح الشامل الذى تقـدم به الاتحاد السوفياتى ·

وينادى المشروع السوفياتى بخفض ضـخم فى المرحلة الاولى من مراحل نزع السلاح التى تمتد الى سنتين فى أعـداد القـوات المسلحة والاسلحة التقليدية لجميع الدول · ومن الطبيعى أن يؤثر هذا الخفض أول ما يؤثر على الدول الكبرى التى تملك أكبر الطاقات الحربية ، وذلك لأن الدول الفتية لا تملك جيوشا ضخمة ·

ويتصور المشروع منع الاسلحة النووية والكيماوية والحياتية والصور الاخرى من أسلحة الدمار الشـامل ، منعا كاملا فى المرحلة الثـانية من مراحل نزع السلاح التى قد تمتد الى عام ونصف عام ، كما يتصور وقف تصنيعها ، وتدمـير جميـع الاكداس المكدسة منهـا · ويقضى المشروع باستخدام المواد المتفجرة والباقية منهـا تحت تصرف الدول فى الاغراض السلمية وحدها ، وتحت اشراف دولى دقيق كل الدقة · وسيؤدى تخفيض آخر للقوات المسلحة والاسلحة التقليدية ، الى أن تغدو الدول ، فى نهاية المرحلة الثانية من مراحل نزع السلاح وهى لا تملك الا بقايا من جيوشها الراهنة ·

ويتضح من هذا ان جميع اجراءات نزع السلاح الرئيسية ستتحقق فى المرحلتين الأوليين · وستمثل المرحلة الثالثة التحول الى عالم منزوع السلاح · وستسود فى نهـاية السنة الخـامسة ، أى فى نهـاية المرحلة الثالثة من مراحل نزع السـلاح ، أوضاع تختفى فيها الحرب من حياة المجتمع الانسانى الى الابد ·

ويصبح نزع السلاح الشامل والكامل حقيقة واقعة . وقد يكون هناك من يعتقد ان نزع السلاح يمكن أن يتحقق بأسلوب مختلف · فقد يكون هناك من يظن على سبيل المثال ان لابد فى بداية نزع السلاح من

الوصول الى اتفاق على المنع الكامل للاسلحة النووية الحرارية لا مجرد وسائل حملها ، وتدمير الموجود منها • ولا شك فى ان مثل هذا الاسلوب، يصل بالعالم الى النتيجة نفسها • فالمشروع الذى نتحدث عنه يحمل طابع وآثار المحادثات السابقة التى دارت فى أجهزة الامم المتحدة • ولكن الاقتراحات السوفياتية السابقة والملحة بمنع الاسلحة الحرارية النووية فورا ، والتى سبق أن قدمتها الحكومة السوفياتية فى المراحل السابقة من المفاوضات ، كانت ترفض من الدول الغربية •

وليس المشروع السوفياتى الذى نتحدث عنه هنا الا محاولة للتوفيق بين مواقف الاطراف المعنية كلها ، وهو توفيق يستند الى القرارات الجماعية التى اتخذتها الامم المتحدة حول الحاجة الى الوصول الى نزع السلاح الشامل والكامل بأسرع وقت ممكن • ومن الصحيح أن يقال على أى حال ، ان هذه القرارات قد اتخذت منذ عام ١٩٥٨ •

ويبدأ معارضو المشروع السوفياتى لنزع السلاح الشامل والكامل معارضتهم باثارة مخالفتهم للحدود الزمنية لنزع السلاح واقتراح الاشراف على الاسلحة نفسها • وهم يدعون أن ليس فى وسعهم أى فى وسع الدول الغربية أن يشرعوا فى نزع السلاح اذا لم يتحقق هذا الاشراف • ولكن هذا الادعاء ليس الا مجرد ذريعة ، بل محاولة لوضع العراقيل فى طريق نزع السلاح • ولقد أعلنت الحكومة السوفياتية المرة تلو المرة انه اذا قبلت اقتراحاتها الخاصة بنزع السلاح ، فانها على «استعداد لقبول أية اقتراحات من جانب الغرب حول موضوع الرقابة الدولية » • ولكن الولايات المتحدة ، وغيرها من الدول الغربية الاعضاء فى الحلف الاطلسى لم ترد بشىء على هذه البيانات الواضحة الصريحة • ولهذا علينا ألا ننسى أن مسودة المشروع السوفياتى تشترط أيضا أن تكون جميع اجراءات نزع السلاح التى يطلب تنفيذها فى كل مرحلة ، مصحوبة بقدر من الرقابة الدولية الفعالة • وفى امكان منظمة دولية وفعالة لنزع السلاح أن تمارس مثل هذه الرقابة على أن تتألف المنظمة من ممثلين عن جميع الدول الموقعة على معاهدة نزع السلاح • وستكون هذه المنظمة مسئولة عن التحقق من تنفيذ المعاهدة والتزاماتها من جانب كل دولة ، مسجلة استكمال الاجراءات المتفق عليها فى كل مرحلة من مراحل نزع السلاح ، وعن تقديم التقارير الى الدول الموقعة على المعاهدة ، والى مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة • ولا بد أن يكون للمنظمة مجلس رقابة دائم العمل يضم مفتشين مهمتهم التثبت الدائم الشامل من تنفيذ اجراءات نزع

السلاح فى جميع البـــلاد • وتؤخذ قرارات المجلس بأغلبية الاصوات ، ودون اشتراط الاجماع أو حق النقض (الفيتو) • وتعرض هـذا الاقتراح الايجابى المنطقى ايضا لمؤامرة صــمت من جانب دول حلف الأطلسى • ولأسباب محددة كل التحديد •

ويدعى معارضو المعـــاهدة ان الرقابة يجب أن تفرض على جميع أسلحة الدول ، دون اكتراث بطبيعة اجراءات نزع السلاح ومداها ، أى على جميع الاسلحة والمنشئات الصـــاروخية والاسلحة النووية التى تملكها الدول المحبة للسلام ، وايا كان موقعها • ويعنى هذا أيضا ، انهم يطالبون بالرقابة دون اكتراث بنزع السلاح ، أى ضمن اطـــار عملية خفض فى الاسلحة • ومع ذلك فان ثلاثة فى المـائة من مجمـــوع الاسلحة النووية الموجودة فى العالم الآن ، كافية لتدمير بلاد كالولايات المتحدة • ويتضح من هذا ان الخفض فى التسلح لم يعد يحقق الحـــل للمشكلة فى هذه الايام •

فلا يمكن تحقيق الرقابة الكاملة الا اذا تحقق نزع السلاح الشامل• وهذا منطق واضح وصريح، ولكنه لا يبدو مؤثرا علىعقول الدول الأعضاء فى الحلف الاطلسى • وكل ما يقترحونه تحت ستار الرقابة ليس الا مجرد تجسس بمعنى الكلمة ، وهدف هذا التجسس تسهيل أمر العدوان • وقد يبدو تعبير «الرقابة على التسلح» نزيها وشريفا ، وقد يتساءل الانسان فى الشارع •• «ولم لا نفرض الرقابة ؟» • ويستغل دعاة سباق التسلح ومخططو الحرب النووية الوقائية هذه النقطة تمـــام الاستغلال • ويقول ممثلو بعض الدول الكبرى فى محادثات جنيف ان ليس فى وسعهم الموافقة على نزع السلاح ، اذا لم يعرفوا مسبقا ما يملكه أعداؤهم المتوقعون من أسلحة ، وأين يخزنونها • ولهذا لا بد ، كما يقولون ، من فرض الرقابة على الاسلحة لا على نزع السلاح •

ونحن لا ننكر ان الدول الغربية لا تعرف حقيقة ما تملــكه الدول المحبة للسلام من أسلحة ، ولا أين تختزنها • ولكن هذا الوضـــع يفرض كابحا على النزعة العدوانية ، وذلك لأن من المهم للغاية للمعتدين بالنسبة الى الأسلحة الصـــاروخية النووية ، أن يعرفوا أين توجد هذه الأسلحة ليحددوا المنشئات الدفاعية التى يجب أن توجه اليهـــا ضربتهم النووية الاولى أو الثانية • ولا شك فى أن الرقابة على الاســـلحة تســـاعد الدول المعتدية على أداء هذه الواجبـات التجسسية الصريحة والمكشوفة • ومن الواضح وضوحا مطلقا ان ليس لهـــذه الاجراءات أى شأن مهما كان أو

علاقة بنزع السلاح • ولا شك أيضا فى انها مناقضة كل التناقض لفكرة نزع السلاح •

ومع ذلك ، فلنفرض أن تسلح الدول الكبرى قد خفض بنسبة النصف ، وان احتمالات حمل الاسلحة النووية الحرارية وبينها القواعد فى أراضى البلاد الاخرى قد ألغيت وأزيلت من الوجود ، وان الرقابة الدولية الفعالة قد فرضت على جميع اجراءات نزع السلاح • ان خطر نشوب الحرب ولا سيما النووية الحرارية ، سيقل الى حد كبير فى هذه الحالة • وسيكون هذا الوضع فى الوقت نفسه ، بدأية مشجعة ، لتحقيق المزيد من الشمول والاتساع فى الرقابة على نزع السلاح انسجاما مع المرحلتين الثانية والثالثة اللتين يقترحهما المشروع السوفياتى • ولا شك فى أن قصر مدة نزع السلاح ، سيضمن السرعة والاستمرار للعملية ، وستكون اجراءات الرقابة متزامنة ومتماثلة مع اجراءات نزع السلاح • ولا حاجة بنا الى القول بأن هذا يوطد أقدام السلام ويضمن الأمن للجميع ولا يغير الافتقار المؤقت الى معرفة الاسلحة الموجودة أثناء فترة الانتقال القصيرة ، من الواقع الراهن طالما ان الدول لا تملك مثل هذه المعلومات فى الوقت الحاضر • ولا شك فى أن هذا يشجع على وجود السلام ، طالما انه يكبح جماح المعتدين ويمنعهم من الهجوم •

وليس من العسير علينا أن نفهم أن الوضع لا يمكن أن يعتبر مأمونا فى الوقت الحاضر ، طالما ان الجانبين المتواجهين ، يملكان ترسانات نووية هائلة ، تقف على قدم الاستعداد للشروع فى الحرب النووية •

أهناك ما هو أوضح من هذا ؟ ولكن المنطق الذى يستطيع طلاب المدارس الثانوية فهمه بسهولة ، لا يلعب الا دورا تافها فى تفكير بعض الدول الكبرى فى موضوع نزع السلاح • وليس هذا بالامر العارض على أى حال •

ولقد تقدم الاتحاد السوفياتى بمشروعه من عقد معاهدة لنزع السلاح الشامل والكامل ، على النحو الذى بيناه ، الى مؤتمر جنيف فى الرابع عشر من مارس من عام ١٩٦٢ • وكتبت الصحف الغربية فى تلك الأيام تقول ان « قنبلة السلام » قد تفجرت فى قصر الأمم فى جنيف • أو هناك خير فى تفجير «قنبلة للسلام» وسط أناس حزموا أمرهم وهم يجتمعون على حل مشكلة نزع السلاح ؟ ولكن الارتباك الطويل الواضح سيطر على الوفود الغربية فى المؤتمر • وجرت المحاولات الفورية لتسليم المشكلة الى اللجان الفرعية « والخبراء » ، لدراستها • وكان من الواضح ان

الدوائر ذات النفوذ فى البلاد الغربية لم ترض عن المشروع السوفياتى • واكتفت المجلات والصحف المرتبطة بحكومات هذه البلاد ، بالاشارة الى المشروع اشارات عابرة •

وكان رد فعل الغرب على المشروع السوفياتى ان «جنيف لم تأت بشيء جديد وان السوفيات يعزفون اسطوانة قديمة » • ولكن الحديث عن عدم وجود «شيء جديد» أسلوب بال وقديم كثيرا ما استخدمه خصوم نزع السلاح ، ليعكسوا مخاوفهم وافتقارهم الى أية حجج قوية ومهمة . فهو يعكس محاولات اناس تافهين مغرورين للسخرية من المنطق ولتصوير الآمال العريضة التى يعلقونها على سلطان الصحافة وخضوعها لاحتكارات مشروعات صناعات السلاح الضخمة •

ولكن الدوائر الغربية العدوانية لم تكتف بالرد على المشروع السوفياتى بابتسامة ساخرة ليس الا • فلقد رفع العسكريون عقائرهم يطالبون بتوسيع سباق التسلح ، وصناعة الاسلحة بما فيها الاسلحة النووية الحرارية • فلقد تخلى جيلباتريك مساعد وزير الدفاع الامريكى آنذاك فى الخامس عشر من مارس من عام ١٩٦٢ ، أى فى اليوم نفسه الذى تلا تقديم المشروع السوفياتى فى جنيف ، عن جميع الكياسات الدبلوماتية وراح يعرض الحجج القديمة التى طالما نادت بها الدوائر الامريكية العدوانية •

وقال ان الحكومة الامريكية قد درست مطولا الواجبات التى تواجه الدفاع الامريكى فى فترة الخمس أو العشر سنوات القادمة • وأضاف انها أعدت بالنسبة الى هذه الواجبات برنامج خمس سنوات لا برنامج سنة واحدة • وكان من الواضح منذ البداية انه يحاول تحديد الطاقات التى لا بد للولايات المتحدة من امتلاكها •

وذكر ان من الضرورى أولا تحديد سلسلة الاهداف المعادية التى يتحتم على الولايات المتحدة أن توجه الضربة اليها أول ما توجه وبمنتهى الدقة ، وذلك كعمل انتقامى ، وأن تقرر أيضا درجة الوثوق من اصابة هذه الاهداف وقال ان بلاده حددت بعد ذلك تكاليف التأكد من احتمال توجيه هذه الضربة الثأرية بمختلف وسائل الحمل النووى •

وقال جيلباتريك ، ان بلاده حاولت بوجه عام العثور على سبل تحقيق أهدافها بأقل ما يمكن من التكاليف • ولكنها لم تسع الى البحث عن سبيل واحد يستطيع أن يضمن لها كل شيء وفورا ، وانما سعت

عوضا عن ذلك الى البحث عن مجموعة من السبل ، لا سيما وان تقرير السبيل الاكثر فاعلية بالنسبة الى كل هدف يعتمد على عدة عوامل تفرضها طبيعة الهدف نفسه ، كما يفرضها مدى المعلومات المتوافرة عن موقع كل هدف على انفراد • وكانت الخطوة الثانية تقدير تكاليف اضافة عدد من الاهداف الاخرى الى هذه المجموعة ، والتثبت من النفقات التى تفرضها زيادة درجة احتمالات تحطيم هذه الاهداف وقدرت الحكومة الامريكية أيضا ما تستطيع توفيره عن طريق التوفيق الى حد ما بين مدى امكانات تحقيق هذا الهدف • ولا شك فى أن هذا الطراز من الحسابات أعطى لأمريكا فكرة عن الانفاق المرتبط بالمستويات المختلفة للقوات اللازمة لتوجيه ضربة نووية •

حقا ان جيلباتريك يستحق التهنئة • فلقد أفضى ببعض الاسرار المتعلقة بأوجه نشاط الحكومة الامريكية فى ميدان نزع السلاح والرقابة على الأسلحة والذى يتولى القيادة فيه صديقه فوستر • فهو يريد معرفة الاهداف التى ينشد ضربها • وسرعان ما حذفت واشنطن الخدعة الشفوية التى فاه بها جيلباتريك عن «الضربة الثأرية» من البيان الرسمى الذى صدر عن واشنطن حول احتمال « المبادرة النووية من جانب الولايات المتحدة » • ويبدو ان جيلباتريك كان أول رسمى أمريكى يقدم الدليل على موقف أمريكا من الرقابة النووية ، ويحسر النقاب عن السياسة التى تتبعها القوى العسكرية التى تلعب دورا بارز الأهمية فى الولايات المتحدة فى هذه الايام • فلم تعد القضية تمثل خطة خمسية لنزع السلاح الشامل والكامل ، وانما خطة خمسية سرعان ما تحولت الى عشرية لتحقيق سباق يغذ سيره ويتصاعد على التسلح • ولم يعد الموضوع متعلقا بالرقابة على نزع السلاح ، وانما يتلخص فى استكشاف المنشئات الدفاعية التى تقيمها الدول المحبة للحرية ، وتحديد الاهداف التى توجه اليها الضربة النووية بدقة بالغة والاعداد الكامل والدقيق لتوجيه هذه الضربة • وتبين ان القضية لم تعد تعنى التعايش السلمى والتعاون بين الدول ، وانما باتت تعنى التأهب لحرب نووية حرارية •

واعتبر البيان الذى أصدره جيلباتريك ، عن حق ، تحديا صريحا ومكشوفا من جانب الدوائر العسكرية الأمريكية للأمم المتحدة فى موضوع نزع السلاح • ولكن ما قاله جيلباتريك آنذاك ، سرعان ما أصبح الشعار

الذى ينـــادى به بمنتهى الصراحة والوضــــوح كل من ماكنمارا(١) واديناور(٢) وفون هازيل(٣) ٠

ويبدو ان السياسة التى تتبعها الدول القيادية فى الحلف الاطلسى فى موضوع نزع السلاح ، ذات وجهين ، وجه يحمل طابع النزعة الحربية، ووجه يحمل ظاهرا طابع الميل الى السلام ٠ فلقد وصــل الى جنيف بعد شهر من الخطاب الذى ألقاه جيلباتريك ، رسول يحمل تعليمات جديدة الى الوفد الامريكى ٠ وقدمت الولايات المتــحدة وثيقة جديدة فى قصر الامم ، تحمل عنوانا مخادعا وهو «خطوط عريضة للنصـــوص الاساسية التى يجب أن تتضمنها معاهدة عن نزع السلاح الشامل والكامل فى عالم يسوده السلام » ٠ ولا شــك فى ان البنتاجون (٤) قد أقر هــذه الوثيقة قبل ارسالها ٠

ونحن لا ننكر ان تعبير «نزع السلاح الشامل والكامل» قد ظهر فى عنوان الوثيقة الامريكية ، ولكنه كان مصــحوبا بتحفــظ ذكى بارع وهو تعبير «فى عالم يسوده السلام» ٠ ترى ما الذى يعنيه هــذا التعبير الاخير أو هذا الشرط المسبق لنزع السلاح ؟

علينـــا ألا نضيع وقتنا فى الفرضيات المتعلقة بالسبب الذى أدى الى تسمية هذه الوثيقة «بالخطوط العريضة» ٠ أكان هذا السبب هو ان واضعى الوثيقة لم يرغبـــوا فى أن يلزموا الولايات المتــحدة الامريكية بمسودة معاهدة لنزع السلاح أو انهم أرادوا الاحتفــاظ لأنفسهم بمخرج يمكنهم من الشروع بجولة جديدة من المحادثات الحالية واقرت ؟ لا شك فى ان جنيف قد شهدت جميع صور الاضاليل والألاعيب ؟

وسنعرض هنا بعض الظواهر البارزة للخطوط الأمريكية العريضة . انها تتصور كالمشروع الســـوفياتى ، استكمال نزع الســـلاح فى ثلاث مراحل ، ولكنها أطول من الناحية الزمنية ٠ وكان كل ما قيــل فى هذا المشروع الامريكى عن المرحلة الثالثة وهى مرحلة نزع النســلاح الشــامل والكامل ، فى منتهى الغمــوض ، اذ لم يحــــدد موعد لهذه الرحلة ، بل اشترط المشروع انه فى حالة عجز الخبراء عن ابتكار وسائل التثبيت من

---

(١) وزير دفاع أمريكا فى تلك الأيام ٠

(٢) مستشار المانيا الغربية آنذاك ٠

(٣) الناطق الرسمى باسم حكومة المانيا الغربية ٠

(٤) مقر وزارة الدفاع الامريكية ٠

تدمير جميع الاسلحة النووية • فان الاستحالة ستكون نصيب حل مشكلة نزع السلاح الشامل والكامل • ويعنى هذا بعبـــارة أخرى ان واضعى « الخطوط العريضة » الأمريكية أرادوا تحويل المسئولية من الدبلوماتيين الامريكيين الى الخبراء الامريكيين • وان كان الجانبان يلقيـان الدعم من القوى نفسها تقريبا • ويحاول واضعو الخطوط العريضة التهرب والفرار من الحل الصريح الواضح لمشكلة نزع السلاح الشامل والكامل •

يضاف الى هذا ان شروط التـحول من مرحلة الى أخرى من مراحل نزع السلاح ، صيغت فى « الخطوط العريضة » ، بطريقة تضمن التسويف الى أجل غير مسمى حتى بالنسبة الى عملية نزع السلاح الجزئى •

ويمكن القول فعلا بأن الخطوط العريضة الأمريكية لا تتحدث الا عن خفض نسبى للأسلحة ، يتحقق عن طريق التسويف فى فترات طويلة •

ولا ينص المشروع الأمريكى أيضا على التدمير الكامل للأســـلحة النووية اذ انه بالاضافة الى «التحفظ العام» المتعلق بما «يكتشفه الخبراء» ، نص أيضا على الحفاظ على احتمال تزويد ما يسمى بالقوة الدولية المسلحة التى ستظل قائمة بعد اســتكمال نزع الســـلاح ، وبالاسلوب الامريكى المعروف ، بهذه الاسلحة النووية •

ويحافظ المشروع الأمريكى أيضـا على بقـاء القواعد العسكرية فى أراضى الدول الأجنبية ، كما يؤجل منع وجود الأسلحة النووية حتى فى هذه القواعد ، الى نهاية عملية نزع السلاح الشامل والكامل ، وهى نهاية لم تحدد لها أية مدة زمنية •

ويبدو ان جشع المخابرات الأمريكية قد عدل أو خفف بعض الشىء ظاهرا فى الصورة الاخيرة من الاقتراحات الامريكية • فلقـد نصت هذه الاقتراحات على اقامة مناطق مختـــارة للرقابة على الاسلحة (لا على نزع الســلاح) • وألا تكون هـذه الرقابة على البلاد كلها • ويتضح من هـذا الاقتراح أن جهاز المخابرات الامريكية يود الحصول فى المرحلة الاولى من مراحل تخفيض السلاح على معلومات مسبقة عن توزيع القـوات المسلحة بوجه عام والاسلحة فى جميع بلاد الدول المحبة للسـلام ، وأن يحصل بعد ذلك على معلومات دقيقة عن مواقع المنشئات العسكرية فى ثلاثين فى المائة من أراضيها • ولما كانت الاقتراحات الامريكية تشـترط أن تختار الدول الغربية نفسها مناطق « التثبت » هذه ، فانها ستختار حتما وعلى الفور المناطق التى يحظر دخولها على العملاء الاجانب والتى تمثل مراكز فى منتهى الاهمية للمعتدين طبعا •

ويقول الناس الآن أن فى وسع الاقمار الصناعية بالطبع أن تصور كل ما على الارض ، باستثناء العواطف البشرية فى الغالب • ولنسلم جدلا بهذه الفكرة ولكن لو كانت صحيحة ، ألا يحق لنا أن نتساءل عما كان يفعله جى • اوبرى ، الملحق العسكرى الامريكي وزميله البريطانى ان • نافيل ، ومعهما لفيف كبير من المعاونين فى سكة حديد سيبيريا عندما اعتقلوا فى شهر سبتمبر من عام ١٩٦٤ ، وهم يصورون المنشئات الدفاعية السوفياتية ؟ أكانوا يقومون بدور أقمار أرضية صناعية ؟ ، أم كانت وزارة الحربية الامريكية عاجزة عن تأمين الاموال لاطلاق قمر صناعى آخر ؟ • ويبدو ان الآلة تستطيع أن تعمل الكثير ، ولكن الانسان يستطيع أن يفعل أكثر منها •

ولا شك فى ان العقل البشرى ، لا تنضب قدراته على اختراع المفاهيم ، والافكار • فالخطوط العريضة الامريكية تشير الى ان فى الامكان وقف اجراءات نزع السلاح فى أية لحظة ، حتى ولو أمكن الوصول الى اتفاق على نزع السلاح • ويكفى على هذا الأساس أن يعلن ممثل أحد البلاد أنه غير راض عن سير عملية نزع السلاح • وآنذاك يستأنف السباق على التسلح بما فيه التسلح النووى ، وبحيوية ونشاط مضاعفين • فلم تذهب المعلومات التى سيجمعها متزمتو البنتاجون أثناء عملية « الرقابة على الأسلحة » بددا ودون فائدة ؟

وتدعو «الخطوط العريضة» فوق هذا الى انشاء قوة مسلحة دولية، تعطى الحق فى التدخل فى الشئون الداخلية للدول المستقلة ذات السيادة • وهل من المهم ، فى شيء ، ان كانت هذه الدول ذاتها لا توافق على تدخل الآخرين فى شئونها ؟

وهناك ما هو أدهى من هذا وأمر • فالخطوط العريضة تعلن وجود حاجة ملحة ومقدسة الى توسيع صلاحيات محكمة العدل الدولية الى الحد الذى يجعل قراراتها ملزمة لجميع الدول ، وذلك فى المرحلة الثانية من مراحل نزع السلاح بحيث تصبح قراراتها ملزمة فى جميع الخلافات التى قد تنشأ بين الدول ، دون استثناء •

وتتصور « الخطوط العريضة » أساليب أخرى للتدخل المباشر فى جانب الدول الامبريالية فى الشئون الداخلية للدول الاخرى كوضع «قواعد للسلوك الدولى» ، وفرض التفتيش السياسى على الدول فى صورة فرق للرقابة الدولية وهلم جرا • وهنا لا بد أن يثور التساؤل • فى ضوء

المأساة التي وقعت في الكونجو ، عن الدولة التي قد تغـــامر بأن تصبح ضحية مثل هذا الخداع الدنس ٠

أو يتحتم علينا بعد كل هذا أن نتحدث فعلا عن بعض «السخافات» الاخرى التي تضمنتها «الخطوط العريضة» الامريكية ، كمحـــاولة حـــل مشكلة الصواريخ العابرة للقارات فورا لمصلحة الولايات المتحدة الامريكية أي عن طريق تدميرها فورا منذ البداية ، بل حتى ، اذا شئنا الدقة في الوقت ، قبل البدء بعمليات نزع السلاح ٠

وفي وسعنا في ضوء هذا أن نرى ، ان وراء هـــذا المظهر الهادئ والسلمي للخطوط العريضة الأمريكية تكمن ألغام مختلفة منها المباشرة ، ومنها المؤقتة ، في أعماق مختلفة تهدف الى نسف نزع الســلاح الشــامل والكامل ٠

فهو يشير الى ان الاقتراحات الغربية لنزع السلاح ، لم تلق الدعم من ممثلي الدول المحايدة في لجنة الثماني عشرة دولة ٠ وهو يقيم الدليل على دهاء وزارة الخارجية الامريكية التي عملت كل ما في وسعها لاستبعاد ممثلي الدول الاعضاء من لجنة نزع السلاح هذه ٠

وللاقتراحات الأمريكية تاريخها الخاص بهـــا ٠ ففي عـــام ١٩٥٥ ، وعنـــدما كان رؤساء حـــكومات الدول الأربع يجتمعون في جنيف ، أعلن الرئيس ايزنهـــاور بمنتهى الصراحة ، ان الولايات المتحدة الأمريكية ٠ ستفرض على الاتحـــاد السوفياتي خوض سباق لا يطاق على التسلح ، بهدف عرقلة برامجه للتنمية الاقتصـــادية السلمية ، واحداث الارتباك فيـــه ٠ وأطلق اديناور مثـــل هذه التصريحات ٠ ونحن لا ننكر ان عشر سنوات قد انقضت منذ أطلق ايزنهاور تهديداته ، وان الجنرال قد تقـــاعد منذ ذلك التاريخ (١) ، وكذلك اديناور ، ولكن ســباق التسلح وصل مرحلة جديدة ولا تقل اتســـــاعا ٠ وتتساقط القـــذائف وقنابل النابالم المحرقة والغازات السامة على القوى الآمنة الوادعة في فيتنـــام ولاوس ٠ ولم تعد أوروبا تعيش حياة وادعة آمنة ٠ اذ ان دعاة الثأر من الألمان الغربيين وأصحاب النزعة العسكرية ٠ منهم الذين تدعمهم الدوائر العـــدوانية النزعة في الولايات المتـــحدة يهددون الأمن الأوربي عامة ، ويواصل الغرب نباحه عن صواريخ بولاريس وعن أسلحة حلف الأطلسي الذرية ، وعن تحـــويل البحر الأبيض المتوســـط الى عوامة « للصواريخ

(١) توفي كل من الرئيس السابق ايزنهاور والمستشار الالماني السابق اديناور في في السنوات الأخيرة ٠ — المعرب —

النووية العائمة » . ولا يجد المرء بين كل مائة كلمة تقال عن التسلح فى الصحافة الغربية أكثر من كلمة واحدة على الاكثر تقال عن نزع السلاح ٠

ولكن ما الذى حدث ابان المدة التى تزيد على عشر سنوات والتى انقضت منذ أطلق ايزنهاور تهديداته فى جنيف ؟ ونحن لا ننكر بالطبع ان الاتحاد السوفياتى وغيره من الدول الاشتراكية ، ينفق الكثير من الموارد على الأهداف الدفاعية لأنه وحلفاءه يواجهون هذا السلوك العدوانى من الدول الامبريالية ٠

وكان فى الامكان انفاق هذه الموارد التى تحتاج اليها البشرية فى الرفع من مستوى الشعوب ورخائهم ، وبناء المزيد من المدارس والمستشفيات ودور السينما ٠ ولكن الأمر الذى لا شك فيه أن أولئك الذين كانوا يرغبون فى الوصول بالاتحاد السوفياتى الى شفير الانهيار الاقتصادى أخطئوا الحساب ٠

فلقد حقق الاتحاد السوفياتى والبلاد الاشتراكية تقدما كبيرا فى ميدان التنافس السلمى مع البلاد الرأسمالية المتقدمة ، كما ان احتمالات المنافسة السلمية تثير القلق فى العواصم الغربية ٠ وحقق الاتحاد السوفياتى التفوق على الغرب فى ميدان الصواريخ وفى عدد من المجالات المهمة والحديثة فى ميادين الاسلحة النووية الحرارية وغيرها ٠

ترى أكان ايزنهاور يتوقع شيئا من هذا ؟ طبعا لا ٠ ويدعى الصحفيون الغربيون ان تقوية البلاد الاشتراكية هى التى تدفع « العالم الحر الى اتخاذ الاجراءات اللازمة ٠ لاستعادة التوازن » ٠ لقد اخطأ الجنرال فمرحى له !!

ويحتل تمثالا فرانكلين روزفلت وجون كيندى ، منزلة الشرف فى البيت الأبيض ، ولكن يبدو ان أكثر رؤساء أمريكا السابقين مكانة الآن، ثيودور روزفلت ، الذى نادى بسياسة « العصى الغليظة » مع الدول الضعيفة ٠ وكان الشعار الذى رفعه « تحدث بنعومة ، ولكن احمل معك عصى غليظة » ٠ ولكن العالم لم يعد الآن منطقة بوليسية يتحكم فيها سكان ذلك البيت الواقع على نهر بوتوماك فى أمريكا ٠

ومازال التوتر الدولى قائما ٠ فالأمر اليومى للدول الغربية ينطوى على قضية انتشار الأسلحة النووية وامتدادها الى البلاد الأخرى ، وفى مقدمتها ألمانيا الغربية ٠ أو هناك عقلاء عبر المحيط الأطلسى ؟ طبعا هناك

عقلاء · فلقد ذكر الصحفي الأمريكي المعروف جون جونتر (١) ان تمكين ألمانيا الغربية من انتاج الأسلحة النووية ، سيؤدي الى سير دول أخرى على هذا المنوال ، ويصبح في وسع باراجواي مثـــلا أن تتحدث عن قدرتها على اشعال نيران حرب عالمية ·

ولاشك في ان ينبوع الفصاحة في الكلم في قصر الأمم في جنيف والذي ينبثق باستمرار ، يتفوق في انتاجه وتدفقه حتى على « النافورة » المشهورة في بحيرة جنيف · ولكن لجنة الدول الثماني عشرة تعرضـت للتضليل والسـير في المتاهات نتيجة الجهود التي يبذلها حملة النزعة العسكرية من دول الحلف الأطلسي السياسي والعسكري · وهكذا فنحن نعود بأفكارنا الى تاريخ طويل ، هذا اذا اعتبرنا ان أربع سنوات هي بالطبع فترة طويلة · ولقـد قيل كل شيء بوجه عام عن مشروعات نزع السلاح ، في الجلسات الأولى التي عقدتها لجنة الثماني عشرة في جنيف· ولا يمل العقل البشري ولا يكل من ابتكار التركيبات التعبيرية الرائعة · ولذا فليس ثمة من سبب يدعو الى مواصلة هذه المحادثات التي لا تنقطع في جنيف ·

ولقد حسر المتظاهرون بالرغبة في نزع السلاح من رجال البنتاجون النقاب بوضوح عن أنفسهم كأعداء لنزع السلاح · ولكن هذا كان خيرا لا شرا ·

فالنضال من أجل السلام عامة ، ومن أجل نزع السلاح الكامل بوجه عام ، غدا في الأوضـــاع الراهنة ، المهمة المتفوقة والبالغة الأهمية التي تواجه جميع الدول المحبة للسلام والقوى المدافعة عنه ، بل تواجه كل انسان شريف على وجه البسيطة . وفي وسع الشعوب بقوتها الهائلة الضخمة أن توقف الجرى المحموم من جانب جواد الامبريالية النازع الى الحرب والمتجه الى الهاوية ، بل ان من واجبها أن تفعل ذلك ·

وهذه قضية لا تنطوي على منع الحرب فحسب ، وانما تتعلق أيضا بحل مشكلات أخرى ذات أهمية بالغة ·

---

(١) جون جونتر ولد عام ١٨٠١ ـ صحفي أمريكي ـ درس في جامعـة شيكاجو ، عمل مراسلات في الخارج في باريس وروما وجنيف وبرلين وموسكو وفيينا ولندن · وارتحل الى بلاد عدة ومنها الهند والصين واليابان وأمريكا اللاتينية · وضع عددا من الكتب ومنها «الخصلة الذهبية» و «داخل أوروبا» و «داخل آسيا» و «داخل أمريكا اللاتينية» و «لغز ماك ارثر» وغيرها كثير · ـ المعرب ـ

٢ الجانب الآخر للقضية

يعود سباق التسلح الذى تدينه الأمم المتحدة ، والذى تستنكره مئات الملايين من الناس فى طول العالم وعرضه الى ما تبديه بعض الجماعات الاجتماعية المحددة من تعصب · فالجماعات التى يهمها الاستمرار فى سباق التسلح هى تلك الاحتكارات للصناعات الحربية · وأولئك الذين يرغبون فى وقف التبدلات الاجتماعية الحتمية بقوة السلاح. ويعلن المطلعون على بواطن الأمور مثلا أن الكونجرس الأمريكى لا يستطيع تصديق أكثر الاتفاقات الدولية منطقا فى موضوع نزع السلاح الشامل والكامل ، الا اذا تعرض لضغط شديد وقوى من الرأى العام الأمريكى ويقول الشيخ كلارك فى كتابه « تقرير عن السلام العالمى » ، ان الآمال فى ابرام مجلس الشيوخ لمعاهدة فى موضوع نزع السلاح ، أو حتى الاتفاق عن حظر التجارب ، تظل ضئيلة الا اذا فرض الرأى العام الأمريكى ضغطا شديدا وحازما على المجلس · ولم تبرم معاهدة حظر التجارب على الأسلحة النووية فى المجالات الثلاثة الا بعد فرض مثل هذا الضغط وبعد تقديم كثير من التنازلات الى الدوائر العسكرية فى مختلف القضايا الأخرى ·

ويعنى سباق التسلح من الناحية الأولى ، حشد وسائل الحرب ، التى تعزز مثول الخطر فى نشوب الحرب ، كما يعنى من الناحية الأخرى ،

تحويل الكثير من القوى والموارد ، اللازمة لسد متطلبات السلام فى المجتمع ٠

وينفق الكثير من نسب مجمل الانتاج القومى فى البلاد الغربية للابقاء على الجيوش الضخمة وعلى سباق التسلح ٠ ولقد بلغ انفاق الولايات المتحدة المباشر على الشئون الحربية فى سنة ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ المالية نحوا من ٥٤ ألف مليون دولار ٠ كما ينتظر أن تصل أرقام عام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ الى نحو من ستين مليونا ٠ ويرصد نحوا من ثلاثة أرباع الموازنة الأمريكية للأهداف العسكرية ٠ ويعمل أكثر من ثلث علماء أمريكا ومهندسيها فى الصناعة الحربية ٠ وهذه بعض تفصيلات الحياة فى بلاد رأسمالية نموذجية ٠

وتصرف مئات الألوف من ملايين الدولارات على صناعة وسائل القتل البشرى ، ويؤدى هذا الانفاق ، الى مواجهة مئات الالوف من الناس على الكوكب الذى نعيش فيه خطر التضور جوعا فى أوقات السلام . ولا تعمل المشروعات الكبرى التى تنتج الأدوات الآلية ، والملابس والأحذية؛ جهد طاقتها ٠ كما أن بلادا كثيرة فى العالم ، فى حاجة ماسة الى انتاجها٠ وهناك فى البلاد الرأسمالية المتقدمة ، اعداد كبيرة من العمال المؤهلين والمهندسين الاقتصاديين والتقنيين ، والبناة المنشئين وعلماء الزراعة والمعلمين ، عاطلين عن العمل ، فى حين تحتاج الشعوب الأخرى الى معارفهم ومؤهلاتهم ٠ ووضع المهندسون مشروعات جريئة لتطوير مناطق بكاملها بل بلاد بأسرها ، وأجزاء كبيرة من قارات عظيمة ، تطويرا سليما ، ولكن هذه المشروعات تعامل وكأنها أكوام لا قيمة لها من الورق ، أو تستخدم من جانب الاحتكارات فى تضليل الجماهير وتمنيتها بالآمال البعيدة فى المستقبل ، فى حين أن الاحتمالات لوضعها موضع التنفيذ فى أوقات قريبة نسبيا قائمة الآن ٠ وما زال أصحاب النزعات العسكرية مصممين على ان يفرضوا على البشرية مخططاتهم لدفع عجلة سباق التسلح الى الامام ، والتقليل من فرض البناء الاقتصادى السلمى ٠

وتعرض البلاد المحبة للسلام من الناحية المقابلة مخططها الموجه ضد سباق التسلح ، وهو مخطط للبناء الاقتصادى السلمى والتعاون على مقياس عالمى واسع ٠

ومازلنا ندرس نزع السلاح حتى الآن من زاوية واحدة ، وهى تدمير ما لدى الدول من أجهزة حربية ٠ وسيضمن تنفيذ المشروع السوفياتى للسلاح الشامل والكامل الذى تحدثنا عنه سابقا التدمير الكامل للأجهزة

الحربية • كما يضمن للشعوب تطورها السلمي ، ويزيل من العالم الخوف من خطر الموت والدمار • وفي وسع النظامين الاجتماعيين والاقتصاديين المتعارضين أن يعرضا على الشعوب ما يتمتعان به من مزايا في الأوضاع السلمية • وسيمثل هذا العرض تنافسا اقتصاديا سلميا للدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة في أوضاع من التعايش السلمي ونزع السلاح •

ولكن هناك ناحية أخرى للمشكلة ، فلقد سبق لنا ان ذكرنا ان الدول تنفق تقريباً ما قيمته ١٣٠ ألف مليون دولار في السنة على سباق التسلح والابقاء على القوات المسلحة • ويضم هذا الانفاق المباشر على التسلح كما تعلنه الدول بصورة رسمية • ويعني هذا أن نحوا من ٦٥٠ ألف مليون دولار ـ تنفق على الأهداف العسكرية في غضون كل خمس سنوات أو نحوا من ٣٫٢٠٠٫٠٠٠ مليون دولار في غضون ٢٥ سنة بالمعدل الراهن • ويعادل المبلغ الأخير تقريباً مجموع قيمة الثروة التي يخلقها الجهد الانساني في هذه الأيام •

ويعني هذا ان في الامكان مضاعفة ثراء العالم على الأقل في غضون خمسة وعشرين عاماً عن طريق التوفير من نفقات التسلح ، ودون أخذ التوسع في اعادة انتاج الاقتصاد في عين الاعتبار • ولو استخدمت القوى والموارد المتوفرة من منع التسلح استخداما معقولا في الأهداف الانتاجية قبل كل شيء ، فان هذا سيؤمن تحقيق تطلعات لا نظير لها للجنس البشري •

ومازالت الثورة الصناعية والتقنية العلمية الجديدة ، التي كانت محصورة حتى الآن في البلاد المتقدمة صناعياً ، تستخدم حتى هذه اللحظة في البلاد الغربية في انتاج وسائل دمار الشعوب ، وتوسيع استغلال شعوب البلاد الأقل تنمية من جانب الاحتكارات الامبريالية • ولكن العلوم الالكترونية ، والأساليب الحديثة في التحليل الرياضي ، وعلوم الفضاء ، وعلوم الصواريخ ، والاستعمالات السلمية للطاقة النووية ، كلها قادرة على خلق أوضاع جديدة كل الجدة ، تضمن التقدم للمجتمع الانساني على صعيد عالمي شامل • وتعرض عمليات ارتياد الفضاء والسير فيه ، والتي بدأها الاتحاد السوفياتي ، الذرى العالية التي وصلت اليها العلوم الحديثة والهندسة والصناعة • وهناك أيضا ، الطاقات الضخمة للاكتشافات الجديدة التي يحتفظ بسريتها أو تلك التي يوشك على البدء بها والتي يمكن استخدامها في تحقيق التقدم السلمي •

ويؤكد لنا العلم الحديث ان الطبيعة سخية كل السخاء وان في

وسعها أن تؤمن الكثير من الغذاء والماء للجميع · وفى وسع الجنس البشرى ان يعرف الاسرار الخفية للكرة الأرضية التى تعيش عليها ، فهى أوسع وأغنى مما كان فى وسع الانسان فى الماضى ان يعرفه ، كما ان فى وسع البشرية فى الوقت نفسه ان تستخدم المعلومات التى تجمعت للحضارات الانسانية عبر التاريخ وان تستعمل الأساليب الصحيحة لانقاذ الأرض من الجوع والفقر والمرض فى فترة قصيرة من الوقت وضمان الزيادة السريعة فى الطاقة الانتاجية للعمالة ، ورفع مستويات الحياة فى جميع البلاد ، دون اغلاق الطريق فى وجه أى شعب أو أى بلاد ·

ولقد حلم الناس منذ مئات السنين بحياة الوفرة ، وهم يعيشون حياة الشقاء والفاقة . ولقد تصوروا وجود مثل هذه الحياة الوفيرة فى العالم الثانى ، كما برزت هذه الصورة فى التعاليم الطوبائية للاشتراكيين الأول · وانعكست احلام الشعوب هذه فى جنان الفردوس السماوى التى نادى بها المسيحيون وفى حياة السعادة الأخرى للمسلمين فى الدار الثانية وفى جميع الاديان الراهنة الأخرى ·

وها نحن نشهد الآن وللمرة الأولى فى تاريخ العبقرية الانسانية والعمل الانسانى ، ان العلم والهندسة قد تطورا الى ذلك الحد الذى حول أكثر الاحلام الى واقع ، وفى وقت قصير على هذه الأرض ·

وتدور عملية التجديد الرائع على هذه الأرض ، وفى هذا العالم · وبات أكثر من ثلث سكان الأرض يرفضون طريق الرأسمالية ، ويتخلون عنها الى الابد ليستعيضوا عنها بأسلوب التنمية الاشتراكى · وحطمت الشعوب المقهورة على أمرها أغلال الاستعمار ، وأقامت دولها القومية الخاصة بها ، وشرعت بنشاط وحيوية فى بناء الحياة الجديدة · وتطوف الاقمار الصناعية حول الأرض ، وتمكنت سفن الفضاء من اختراق مجال الكون · ولم يسبق للتاريخ ان شهد مثيلا لما يقع الآن ، ولا لما يمكن عمله لتحسين أوضاع الانسان على الكرة الأرضية · ويحمل المستقبل فى طيانه مجموعة من المعجزات الجديدة ، اذا كان الناس سيختارون طريقا جديداً ومعقولا لحل المشكلات الاجتماعية فى العالم ، وفى مقدمتها جميع المشكلات الدولية التى تشمل أول ما تشمل موضوع الحرب أو السلام ·

وستستخدم القوى الجديدة التى يملكها الانسان فى خدمة جميع الشعوب ، وعندما يسود النظام المعقول فى كل مكان على سطح الكرة الأرضية ، تصبح الوفرة فى كل المواد الغذائية الضرورية وسبل الحياة ،

وكذلك الازدهار العـام ، والرخاء لجميع الشعوب فى الأمور المضمونة ٠
ومع ذلك يمكن استخدام القوى نفسها في مواصلة سباق التسلح ، ويؤدى ذلك فى النهاية الى دمار المراكز الرئيسية والمناطق الحضارية ، والى قتل مئـات الملايين من النـــاس ٠ والحرب النووية الحضارية هى البديل عن التعايش السلمى بين الدول ، ولا شك أن من الواضح أين يقع الخيار فى مثل هذا الوضع ٠

وسيطلق نزع الســـلاح الكامل والشامل ، الموارد الضـخمة من عقالها لاستخدامها فى اقتصاد السلام ٠ ومن حق الدول نفسها أن تقرر الطريقة التى تستخدم فيها هذه الموارد . ولكن فى وسعنا اليوم على أى حال ، أن نرسم صورة للبرامج الاقتصادية السلمية الواسعة التى تؤدى الى تحقيق التحسين الجذرى فى مواقف جميع الدول صـغيرها وكبيرها ، وسواء أكانت من المتقدمة أم من المتأخرة اقتصادياً ٠

ووصلت الأوضاع المادية والتقنية فى النصف الثانى من القـرن العشرين الى مستوى بات فيه من الممكن درس المشــكلات الخاصة بالاقتصاد العالمى فى مجموعه ، بعد أخذ التفاعل بين مختلف المنـاطق بعين الاعتبار . ويجب أن يكون فى متناول جميع الدول والشـعوب الوصول الى مجمل ما حققته البشرية من معرفة والى الموارد المـادية التى تملكها حتى يكون فى وســع كل البلاد استخدام مواردها الطبيعية والبشرية لتحقيق التقدم فى اقتصادها السلمى بسرعة فائقة ، ضامنة فى الوقت نفسه التحسين اللازم فى رفـع رخاء الشعب وتحقيق رفاهه ولا شك فى أن اقتصاد العالم وتقنيته سيرتقيان فى هـذه الحالة الى ذرا لم يسبق لهما الوصول اليها ٠

ولا ريب أيضا فى أن الدول المستقلة الفتية التى حررت نفســها مؤخرا من أغلال الرأسمالية ، والبـلاد الاشتراكية ، والبلاد الرأسمالية الصناعية كلها مؤهلة للافادة من البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح .

ولابد أن يتركز البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح على الصعيد المادى التقنى أول ما يتركز على تنمية القوى الانتــاجية ، ورفع مســتوى التقنية ٠ ويتفق هذا مع المخطط العام لتنمية جميع البـلاد ، ولا ســيما بوجه خاص تلك التى كان الاستعمار قد أعاق تنميتها الاقتصــادية .
وكتب ادوارد مينديو عضو المجلس الاستعمارى البلجيكى قبيل اعــلان استقلال الكونجو أن الرجل الافريقى فى ليوبولد فيل (يحلم طول الوقت

بالآلات التى تثير دهشته بفاعليتها ، عندما يقارنها بالآلات الأولية التى يستخدمها) . ومن الواضح أن الافريقى فى ليوبولدفيل يعرف طبيعة العصر ، بدقة اكثر من معرفة جيلباتريك لها .

وتمثل المهمة الأولى بصورة دقيقة فى وضع جميع قوى الطبيعة فى خدمة الانسان فى كل مكان . وتشمل هذه القوى ، الطاقات المحركة للماء والبترول والغاز الطبيعى وجميع الثروات الطبيعية الأخرى .

ويمثل البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، المشعل العلمى بالنسبة الى تطلعات التنمية الاقتصادية لجميع البلاد ، والى التعاون الاقتصادى الدولى فى أوضاع نزع السلاح الشامل والكامل .

ويتطلب النضال من أجل التسليح الشامل والكامل ، كما يتطلب اطلاق سفن الفضاء كتمهيد ، الاستشفاف العلمى لآفاق الكون الواسعة برنامجا محددا للاجراءات التى يمكن تطبيقها لمصالح الدول فى عالم منزوع السلاح .

وأقرت الدورة السابعة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة فى شهر ديسمبر من عام ١٩٦٢ ، الاقتراح الذى تقدم به الاتحاد السوفياتى باصدار اعلان عن تحويل الموارد التى يوفرها نزع السلاح الى الأغراض السلمية وحثت الأمم المتحدة فى هذا الاعلان بمنتهى الجدية حكومات جميع الدول فى العالم على مضاعفة جهودها لتحقيق نزع السلاح الشامل والكامل تحت اشراف دولى مؤثر وفعال . وأعربت عن ايمانها الذى لا يتزعزع فى نصر مبادىء المنطق والعدل ، وفى خلق تلك الأوضاع العالمية التى تستبعد اخطار الحروب من حياة المجتمع الانسانى ، والتى تستبدل سباق التسلح الذى يستنزف الموارد الهائلة بالتعاون الشامل والمثمر بين جميع الدول لتحسين الحياة على الأرض واكد الاعلان ان نزع السلاح الشامل والكامل فى ظل الاشراف الدولى سيفيد الجنس البشرى كله .

ولم يحقق البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح منذ ذلك التـاريخ تقدما اكبر من التقدم الذى حققه نزع السلاح نفسـه . ولاشك فى ان اللوم فى ذلك يقع على القوى الامبريالية . ومع ذلك فان افكار البرنامج الاقتصـــادى لنزع السـلاح ، تدفع ألوعى الاجتماعى الى الانتشار فائزا بعدد متزايد من عقول الناس . ولقد بات تحقيق الدقة والاتقان للبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح يؤلف قضية ملحة . ويظهر التغيير الكبـير فى الاقتصاد العالمى الذى يمكن أن ينبع من نزع السلاح الشامل والكامل ، فى تلك البلاد التى تعمل على محـــو التخلف المتـــوارث من الحقبة الاستعمارية .

٣ مشكلة عالمية أخرى

حققت الأغلبية الغالبة من شعوب آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية تحررها الوطنى عن طريق النضال ، ووضعت بذلك حدا للرق الاستعمارى الكريه . ولكن الشعوب المتحررة لم تجد على شطئان استقلالها الوطنى الذى حصلت عليه بشق الأنفس ، المن والسلوى يهبطان من السماء كمكافأة على ما عانته فى الماضى من آلام ، وانما وجدت الفاقة والعوز والتخلف فى الانتاج - والنقص فى الأشخاص الفنيين والمدربين ، والنسبة العالية من وفيات الأطفال فى العالم .

وننقل هنا أرقاما من احصاءات الأمم المتحدة عن مجمل الدخل القومى للفرد بالنسبة الى بعض البلاد فى عام١٩٦٢ أو ١٩٦٣ بالدولارات الامريكية ..

الولايات المتحدة	٢٨ر٢	جمهورية مصر العربية	١٦٨
كندا	٥٩٣ر١	براجواى	١١٩
المانيا الغربية	٣٠٧ر١	الهند	٧٢
فرنسا	٢٧٠ر١	تنجانيقا	٦٠
بريطانيا	٢٤٧ر١	بورما	٤٩

ويتضح من هذا ان الدخل القومى بالنسبة الى الفرد فى البلاد النامية يكون بنسبة تتردد بين واحد من عشرة أو من عشرين من الدول

الرأسمالية ذات التنمية الصناعية العالية . ولقد اتسعت هذه الفجوة طيلة سنوات الحقبة الماضية .

ولكن هذه المعلومات الاحصائية لا تعكس الحقيقة كلها وذلك لأن الكثير من دخل البلاد المتخلفة اقتصاديا مازال يمضي الى جيوب الاحتكارات الأجنبية . ولقد أكد مندوب العراق الى مؤتمر التجارة والتنمية الدولية التابع للامم المتحدة في عام ١٩٦٤ ان « المأساة كلها تكمن في الحقيقة الواقعة وهي ان نصيبنا من السعر المطلق لكل برميل من البترول المكرر وهو أحد عشر دولارا تدفعها البلاد الصناعية لا تزيد على ٧٤ في المائة ، أي ٧ر٦ في المائة من السعر المبيع في حين تحصل البلاد الغنية على أكثر من ٩٠ في المائة تذهب الى جيوب ملوك البترول في العالم » . وقال جي . ويانو . وزير التجارة والصناعة في كينيا في نفس المؤتمر . « اننا نقرأ في الكتب والمؤلفات الأكاديمية والجامعية باستمرار ، عن توزيع الدخل القومي السنوي بنسبة ٣٠ دولارا أو ٦٠ دولارا أو مائة دولار — في البلاد النامية . وان كانت هذه الارقام لا تروى القصة كلها . . فهناك الملايين من الناس الذين لا دخل لهم على الاطلاق . وهم لا يعرفون المصدر الذي سيحصلون منه على وجبتهم التالية ، أو المكان الذي سيأوون اليه في ليلتهم الثانية . وهم لا يرون سنتا واحدا من الدخول الفردية التي نقرأ عنها في الكتب » .

ولا ريب في أن الجدول التالي يمثل دليلا آخر على المفارقة الصارخة بين الدول النامية المتقدمة وبين الدول الغنية .

انتاج القوة الكهربية بالنسبة الى الفرد في عام ١٩٦٣ (بالكيلوات ساعة) .

البلاد الرأسمالية		البلاد النامية	
كندا	٥١٩ر٦	الهند	٦٤
الولايات المتحدة	٦٣٦ر٥	العراق (١)	٥٢
بريطانيا	٢٢٣ر٣	الباكستان	٢٩
ألمانيا الغربية	٦٥٧ر٢	أندونيسيا	١٣
بلجيكا	٠٤٩ر٢	نيجيريا	١٧
اليابان	٦٠٨ر١	الحبشة (١)	٧

(١) أرقام عام ١٩٦٢ .

وتتحدث هذه الأرقام ببلاغة كاملة عن الفجوة الرهيبة بين مجموعتي دول العالم وذلك بالنسبة الى حجم الانتاج الصناعى ولا سيما على الصعيد التقني ويقينا اننا نجد الشطر الأكبر من مصادر الطاقة الكهربية المائية والبترول والغاز الطبيعي والمواد الصالحة للتفتيت الذرى فى البلاد النامية بوجه خاص ، بالاضافة الى احتمالات استخدام السولار وطاقات التيارات البحرية . ولكن اذا أتيح للموارد البترولية فى هذه البلاد أن تستغل حتى الآن ، فان استغلالها يكون فى الغالب فى الحفاظ على الأجهزة الصناعية فى البلاد الامبريالية وتزويدها بالطاقات اللازمة ، وهو التزويد الذى يؤمن القاعدة المادية لمركزها الممتاز فى النظام الاقتصادى الرأسمالى العالمى .

ونحن نجد فى البلاد غير الاشتراكية فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية عالما من الفاقة المباشرة ، كما نجد فى الوقت نفسه عالما من التضحية الوطنية بالذات والوعى المعتز بالكرامة القومية والانسانية ، ويعيش خمسا سكان العالم أى نحو من ١٣٠٠ مليون انسان فى هذه الدول التى أقيم الكثير منها على حطام الامبراطوريات الاستعمارية مؤخرا . ويؤلف الانفاق الحربى للدول الغربية الى حد كبير نصيبا مباشرا من الثروات التى يخلقها سكان البلاد النامية التى يمكن استخدامها فى تطوير اقتصادها السلمى (١) .

وكان نظام الاستعمار القديم ينهب هذه البلاد بصورة مكشوفة ، ويعمل على القضاء على كل ما يميز شعوبها من خصائص مميزة ، ويضطهد الملايين ويستغلهم . وكانت مصاصة الدماء الرأسمالية تمتص دماء الشعوب المستعبدة المنهوكة القوى فى قارات بكاملها . وقدر خبراء الاقتصاد الهنود ان بريطانيا سلبت منذ نهاية القرن ما يتردد بين عشرة وعشرين فى المائة من مجموع دخل الهند القومى . واغتصب المستعمرون من الكونجو البلجيكية السابقة أثناء حكمهم لها أكثر من خمسين فى المائة من دخلها القومى . وكان رد المستعمرين على نضال

---

(١) تعتبر الفكرة القائلة بان دافعى الضرائب من الامريكان هم الذين يؤمنون النفقات الحربية لبلادهم على سبيل المثال وان دافعى الضرائب من أهل المانيا الغربية أو بريطانيا يسددون فواتير حكومتيهما مجرد وهم خاطىء لا أساس له من الصحة . فلاشك فى ان اجزاء كبيرة من الموازنات الحربية للدول الغربية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالدخول التى تحصل عليها الاحتكارات الكبرى التى تقوم باستغلال سكان البلاد النامية وسرقة ثرواتهم . وتتمثل هذه الدخول فى تحويل أرباح الشركات الاجنبية من هذه البلاد وعدم التساوى فى تحويل النقد ، واستخدام الاسعار الاحتكارية وتكييفها ورسوم الشحن وهلم جرا .

الشعب من أجل حريته القومية التعذيب والسجن المؤبد والاعدام دون محاكمــة أو تحقيق ، وهو نفس ردهم الآن فى انجولا ، على كل مواطن يتعلم الابجدية .

ولقد عانت جميع هذه البلاد أشد العناء فى ظل الاستعمار الطاغى الذى لا يعرف اللين ولا الرحمة . وكان الحرمان من الحقوق والتمييز العنصرى ضد الشعوب الأصلية من أهل البلاد والاميــة بنسبة مائة فى المائة والامراض المنتشرة والنسبة المرتفعة للوفيات ، واستعمال الآلات والمعدات البدائية واقتصاد المحصول الواحد ، وعدم وجود العنــاصر الأولية المكونة للصناعة القوميــة ، والســيطرة من جانب الاحتكارات الأجنبية ووكالاتها وأجهزتها على التجـــارة الخارجية بل على التجـــارة الداخلية أيضا الى حد كبير ، وعلى المؤسسات المالية والنقدية والمصرفية ، كلها ظواهر ناشئة عن سياسة متعمدة يتبعها الامبرياليون الذين يعتبرون المستعمرات والبـــلاد الخـاضعة لهم مصـــادر للربح والثراء العـــاجل والسهل . وليس غريبا أن تكون هذه البلاد والحالة هذه ، بالرغم من توافر الموارد الطبيعية المجزية والــكثيرة فيهــا ، عاجزة حتى الآن عن تزويد سكانها بما يحتاجون اليه من غذاء ولباس ومأوى . وهم مجبرون نتيجة تعرضهم للنهب ، وبالرغم من حياة الفــاقة التى يعانونهــا على توفير الأموال لتمويل التنمية الاقتصادية فى البلاد الغربية الصناعية .

ولقد أسفر الاستغلال الطويل من جانب المستعمرين عن انتشار البطالة فى البلاد النامية ، وجعل من المستحيل عليها أن تفيد افادة كاملة من مواردها الطبيعية . ولقد قدر الاقتصاديون ان هذا وحده ، يؤدى الى خســارة سنوية تتردد بين سبعين ألف مليون ومائة ألف مليون دولار فى الطاقة الانتاجية المحتملة ونحو من ســتين الى ثمــانين فى المائة من الدخل القومى فى هذه البلاد .

ولقد تمكنت شعوب معظم البلاد المستعمرة تقريبا من طرد الطغاة الأجانب من بلادها ، ومن رفع راياتها القومية لتخفق فى سمائها ، ولحق التغيير أيضا بالأوضاع الدولية والسياسية لشعوب ما يســمى بالبلاد التابعة وفى طليعتها بلاد أمريكا اللاتينية .

واقامت الشعوب بعد أن أصبحت المتحكمة فى مصــائرها الأدلة المقنعة على أن ليست هناك شعوب أدنى من غيرها ، أو دول أو أجناس متفــاوتة . ومع ذلك فما زال الطغاة والمستغلون الاســتعماريون ذوو الصلات الوثيقة بالعســكريين ، حتى هذه اللحظة يحاولون اهتبــال كل

فرصـــة ، للابقاء على البــلاد التى كانت تتعرض لطغيانهم وظلمهم فى الماضى فى نفس أوضاعها السابقة من التخلف والشقاء .

وحققت الدول الحديثة ذات السيادة حريتها السياسية ، ولكن هذا التحقيق لا يكون كافيا لاطعام شعوبها أو تأمين الكساء لها . وعندما يفشل الحصول على الاستقلال الوطنى فى تحقيــق أى تغيير فى الحياة اليومية للشعب ، فان التنـاقض بين الادعاءات عن الاسـتقلال ، وبين الحقائق المرة للحيــاة لا بد أن تظهر عاجلا أو آجلا . ولا بد أن تكون السيادة الســياسية مؤدية الى بعث اقتصادى للشــعوب التى كانت تتعرض للظلم والاضطهاد .

ولم تؤد الانجازات المذهلة فى السيطرة على قوى الطبيعة وتحويل الحياة على سطح الأرض ، الى أى تغيير فى أوضاع معظم المستعمرات السابقة . ومازالت أوضاع سوء التغذية والمجاعة والفاقة والمرض هى المسيطرة فى كثير من البلاد والقارات ، وتفرض آثارها على ضحاياها بصورة مستمرة ، وتقول أرقام الامم المتحدة ان ٥٩ فى المائة من السكان فى العالم غير الاشتراكى يعانون من المجاعة ، فى حين لم تتعد هذه النسبة قبــل الحرب الاخيرة ٣١ فى المائة (١) ويقــول جى ميردال (٢) العــالم الاقتصادى السويدى المشهور : انه بالرغم مما وضـــعته البلاد المتقدمة جدا فى مجال التنمية من برامج فعالة ، فان الكيان الاقتصادى لــكل مجتمع انسانى خارج نطاق العالم السوفياتى ، قد انحط عما كان عليه فى عام ١٩١٣ بل حتى فى عام ١٩٠٠ (٣) .

وننقل هنا شطرا مما جاء فى تقرير المجلس الاجتماعى والاقتصادى للامم المتحــدة فى عام ١٩٦٣ عن الأوضــاع الاجتماعيــة فى العــالم ، اذ قال .. « لم يظهر أى تحسن كبير وملحوظ بالنســبة الى الدخــل الشخصى والاستهلاك فى غضون الحقبة الأخيرة فى غالبية المناطق الريفية فى آسيا التى يصل فيها معدل الدخل الفردى الى ادنى حد فى العالم . فلقد ظل معدل الدخل الفردى فى كثير من هذه البلاد على حاله ، بل انه قد هبط فى بعضها . ولم يصل الانتاج الفردى للمــواد الغذائيــة الى

---

(١) «سكان العالم وموارده» ـ ١٩٥٦ ـ ص ٧ .

(٢) كارل جانر ميردال ولد عام ١٨٩٨ . عالم اقتصادى وسياسى سويدى . وأستاذ فى الاقتصاد السياسى . له كتب عدة ومنها كتاب «تكاليف الحياة فى السويد» و «مشكلة السكان» و «العنصر السياسى فى التنمية الاقتصادية» .

(٣) كتاب «التنمية والتخلف» ـ لجى ميردال ـ ١٩٥٦ ـ ص ٣ ـ المعرب ـ

المستوى الذى كان عليه قبل الحرب » . ويصل الاقتصاديون الذين يدرسون الأوضاع فى افريقيا والكثير من بلاد أمريكا اللاتينية الى نفس الاستنتاجات .

وتواجه شعوب الدول الحديثة المستقلة اليوم مشكلة جديدة أكثر تعقيدا ، وان كانت فى الأصل من المشكلات التاريخية القديمة ، وهى الحصول على الاستقلال الاقتصادى ، واللحاق بركب البلاد الأكثر تقدما فى معايير التنمية الاقتصادية . ولا ريب فى ان هذه المهمة ستقرر على أى حال ، والى حد كبير سير التطور التاريخى لهذه الدول فى غضون الحقب القليلة القادمة .

وما زال الهرم المتسلسل للأمم والشعوب والقبائل الذى تحتل البلاد الامبريالية الثرية قمته ، وتحتل الشعوب الفقيرة والدول المعذبة والمضطهدة قعره ، ارثا انتقل من النظام السابق العلاقات الدولية . ولابد من تحطيم هذا الهرم لمصلحة السلام والاستقلال الدولى والتقدم الاجتماعى ويجب ألا يتأخر وقوع هذا ، بل لابد من وقوعه على الفور .

ويصور ما سلف ذكره الطرفين المتباعدين من العالم الرأسمالى . ترى كيف تنعكس هذه الصورة فى خيالات الناس ؟

وأطلق «العالم الثالث» عقيرته معبرا عن سخطه فى المؤتمر العالمى للتجارة والتنمية الذى عقدته الامم المتحدة فى جنيف فى عام ١٩٦٤ . وكانت هذه العقيرة صادرة عن بلاد مختلفة تبعد بعدا كبيرا عن بعضها البعض كالجزائر وجمهورية مالاجاشى ومالى والباكستان وبورما وأندونيسيا والارجنتين وغيرها . وكانت تضم الملكيات والجمهوريات والبلاد التى تسير على النظام الرأسمالى وأخرى تسير فى النهج اللارأسمالى للتنمية ، وثالثة حققت استقلالها قبل أمد قصير للغاية ، ولا يزيد ما تملكه على شعار خاص بها . ومع ذلك كانت هذه البلاد كلها تشترك فى ظاهرة واحدة خاصة توحدها وتفصل بينها وبين العالم الرأسمالى . وهذه الظاهرة هى تخلفها الاقتصادى الطويل جدا واصرارها على التخلص من نظام الاضطهاد الامبريالى ومن عمليات السلب التى مازالت قائمة .

وتبذل البلاد المتحررة من النير الاستعمارى جهودها البالغة للتغلب على التخلف الاقتصادى . وارتفع مجمل الانتاج فى هذه البلاد بنسبة

سنوية بلغت أربعة فى المائة بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦٠ مقابل نسبة واحد فى المائة قبل الحرب العالمية الثانية . ومع ذلك تحتاج البلاد النامية مع هذا المعدل فى النمو الى ما يتردد بين ١٧ و ١٨ سنة لمضاعفة مجمل الانتاج الحالى والى ما بين ٨٠ و ١٠٠ فى المائة للوصول الى المعدل الراهن للانتاج فى البلاد الرأسمالية المتقدمة النمو . ونحن نشير هنا الى مجمل الانتاج لا الى معدل الانتاج الفردى . فستحتاج البلاد الغنية فى ضوء المعدلات الراهنة لتنميتها الاقتصادية الى عدة قرون حتى تصل الى المستوى الراهن لانتاج الفرد .

واتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٦١ قرارا أعلن ان حقبة الستينات ستكون « حقبة للتنمية » ، وفرضت على الدول الأعضاء أن تحقق فى نهاية هذه الحقبة زيادة سنوية قدرها خمسة فى المائة على الأقل فى الدخل القومى للبلاد النامية . وكان هذا التحديد متواضعا فى حد ذاته ، ولكن العالمين ببواطن الأمور رأوا فيه واجبا متعذرا على التحقيق الا اذا وقعت تبدلات كبيرة وجادة فى مواقع البلاد النامية فى نظام العلاقات الاقتصادية العالمية التى ولدتها الامبريالية . وليس العدوان الأمريكى فى فيتنام وتدخل الدول الكبرى الاستعمارية فى شئون الكونجو الداخلية الا محاولتين للحفاظ على الأوضاع الراهنة بالقوة ، ولمنع الانهيار الكامل للرأسمالية وللحيلولة دون سير الشعوب المتخلفة فى طريق الحضارة .

ولقد وضع رأسمال الاحتكار الخطوط لتحديد نظام استغلال البلاد المتخلفة . ولم يعد هذا النظام قوميا فى طبيعته ، اذ اكتسب طبيعة عالمية الطابع ، يعززها كل ما تمثله أحلاف الاطلسى والمركزى وجنوب شرق آسيا من قوة ووزن . وها هم المستعمرون الجدد ، كما هو الوضع فى الكونجو يرغبون فى استخدام سلطان الدولة الغنية ومحاكمها وقواتها فى الدفاع عن ممتلكاتهم الأجنبية الواسعة فى تلك الدولة .

ولم تعد الأمم والشعوب التى وعت الآن الحياة الجديدة ، راغبة فى البقاء على حياتها السابقة فى فاقة ومجاعة . وهى ترغب فى أن تحتل مكانها المناسب فى هذا العالم ، وأن تكون قادرة على استخدام كل ما تؤمنه الحضارة الحديثة لشعوبها بحرية كاملة .

ولا شك فى انها على حق فى ذلك تماما . فلا يمكن أن تكون ثمة مساواة أو تكافؤ طالما ان الفجوة الرهيبة بين البلاد الامبريالية وبين

البلاد الأقل تنمية وتطورا فى مجال التنمية الاقتصادية ما زالت قائمة . ولم تعد راية الثراء القائمة على أساس القاعدة التى تقول بأن « من يملك يعطى ويجزى » ، تستهوى البلاد التى لا تملك والتى أفقرت افقارا رهيبا ، وستظل فقيرة نتيجة نهب الدول الامبريالية واستغلالها . وليست الخطب الجوفاء التى تلقى عن تصفية الاستعمار والديمقراطية البرلمانية للدول الغربية وعن الخطر المزعوم النابع من الاشتراكية الا مجرد زيف واصطناع يقصد منه التأثير على الشعوب المحرومة من الضرورات المجددة للحياة والعاجزة عن الخروج من الهاوية .

وتحلم الشعوب المحررة حديثا وتأمل فى اللحاق اقتصاديا بالبلاد المتقدمة جدا فى غضون حياة هذا الجيل .

والهدف العظيم وحده هو القادر على خلق الجهود العظيمة التى تبذل.

وهل كان فى وسع شعوب آسيا وافريقية أن تحقق الاستقلال السياسى والحرية القومية لو انها لم تكن لتقاتل بحماسة بالغة وبايمان عميق بقوتها الخاصة من أجل التحرر الكامل طيلة السنوات الطويلة المظلمة للحكم الاستعمارى ، رافضة الاقتناع ببعض الاصلاحات التافهة القليلة ؟ وها هى البلاد المحررة تواجه الآن مشكلات اقتصادية ضخمة . ولكن فى وسعها أن تختار الطريق الصحيح ، وأن تطبق أحسن الأساليب والسبل لمواجهة المشكلات الاقتصادية الراهنة والبعيدة المدى، مهما كان وضعها الراهن صعبا ؛ وذلك اذا حددت تطلعاتها الاقتصادية تحديدا شاملا وصحيحا .

واقترح لينين فى أكثر سنوات الحرب الأهلية حلوكة وادلهاما ، وسنوات الدمار الاقتصادى قسوة ، بوصفه مؤسس الدولة السوفياتية خطة جريئة للغاية ؛ لكهربة البلاد كلها . وحققت شعوب الاتحاد السوفياتى مستوحية أفكار لينين العظيمة الخطة الكبيرة لكهربة البلاد قبل موعدها المقرر . وذلك بالرغم من تراث التخلف الذى كان يسود البلاد ومن المتاعب التى وضعها العالم الرأسمالى كله فى طريقها ومعارضته . ولم يتلق الاتحاد السوفياتى ابان ذلك أية مساعدات اقتصادية ، من أية ناحية من النواحى . وكان الوضع الدولى أقل مواتاة للدولة السوفياتية الفتية آنذاك فى مواتاته الآن لدول افريقية وآسيا .

ويبدو هدف اللحاق بالبلاد المتقدمة النامية فى غضون جيل واحد على الصعيد الاقتصادى أسطوريا ، اذ ان هناك مسافة بعيدة لا بد أن تقطعها بلاد آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية قبل الوصول اليه . ولكن لو أمعنا النظر فى الوضع العالمى الراهن ، وأخذنا فى عين اعتبارنا

المستوى الحالى للعلم والهندسة والامكانات المتوافرة أمامهمـــا لتطوير الصناعة والزراعة ؛ يتضح لنا ان مهمة ازالة التخلف الاقتصـــادى فى البلاد المتحررة غدت ممكنة وميسورة فى حياة جيلنا الراهن ٠

وكانت مظاهر الفشل التى لحقت بالكثير من الثورات فى الماضى نابعة من التقليل من أهمية الجانب الاقتصادى ٠ وظل الحديث والأفكار عن المؤسسات البرلمانية والحرية والمساواة والاخاء ، مجرد كلمات جوفاء ، وأفكار تختلف اختلافا كبيرا عن الواقع ، الذى مل الناس منه ؛ وكانوا على حق فى مللهم ٠ وكان فى وسع الجماهير أن تفهم النكتة الساخرة فى الادعاء الزائف بأن المتشرد هو نفس الرجل الذى يتمتع بعين الحقوق المدنيـــة التى يتمتع بها روكفلر ٠

ويدعى الاقتصـــاديون البورجوازيون أن من المتعذر تزويد جميع الناس على ظهر البسيطة بكميات كافية من الغذاء ولا سيما فى المناطق المأهولة جدا بالسكان كالهند ٠ وهـــا نحن ندرج أرقام عام ١٩٦٣ عن المحاصيل فى مختلف البلاد بمئات الكيلو جرامات من الهيكتار الواحد ٠

المحاصيل الزراعية	البلاد النامية		البلاد الرأسمالية	
الحنطة	الهند	٨ر٣	هولنده	٤٢ر١
	المغرب(مراكش)	٧ر٢	بريطانيا	٣٩ر١
	العراق	٥ر١		
الأرز	سيام	١٥ر٥	اليابان	٥٢ر٤
	الهند	١٥ر٤	الولايات المتحدة	٤٤ر٤
الذرة	المكسيك	٩ر٤	الولايات المتحدة	٤٢ر٤
البطاطس	أمريكا اللاتينية	٥٠ – ٨٠	هولندة	٢٨٧
الفول السودانى	السنيغال	٩ر٠	اليابان	٢٣ر٦

ونظهر هذه الأرقام أن الحاجة الى الغذاء فى بعض البلاد تخضـــع الى أسباب محددة كل التحديد ، وان هذه الأسباب لا تمت الى التركيب الحياتى للسكان بل تخضع الى أوضاع حياتيـــة اجتماعيـــة وتقنية ٠

فالمعروف ان الهند تحتاج الى استيراد أربعة ملايين طن من الحنطة والأرز كل سنة من الولايات المتحدة وغيرها من البلاد لسد المتطلبات الغذائية الملحة لشعبها . ولقد قال افريل هاريمان ، المليونير والسياسى الأمريكى فى هذا الصدد ما نصه ... « تدفع الهند مائة مليون دولار عن كل مليون طن من القمح الذى تستورده من الولايات المتحدة ، فى حين أنها قادرة على زيادة انتاجها منه بنسبة مليون طن فى كل عام . هذا اذا أنشأت مصنعا آخر للأسمدة الكيماوية لا يكلفها أكثر من أربعة وأربعين مليونا من الدولارات » (١) .

وهناك مصدر احتياطى آخر لزيادة الانتاج فى البلاد النامية ؛ وهو التوسع فى رقعة الأرض المزروعة . ويقول ستامب وبآد وكيلوج وهم من أكبر العلماء ؛ ان فى الامكان مضاعفة الأراضى الصالحة للزراعة فى آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية وزيادة مساحتها بأكثر من ثمانمائة مليون هكتار . ولا شك فى أن التوسع فى الزراعة والرى واستصلاح الأراضى سيمكن العالم من زيادة حجم انتاجه الزراعى الحالى بخمسة أو ستة أضعاف فى عام ٢٠٠٠ ، ولن تزيد نسبة التضخم السكانى آنذاك على ضعف عدد السكان الحالى فى العالم .

ومع ذلك ، وبالرغم من الموارد الاحتياطية الهائلة الراهنة لتوسيع الانتاج الزراعى ؛ فان مستوى هذه الزيادة على صعيد الفرد ظل على حاله بين عامى ١٩٣٩ ، ١٩٥٩ ، بل هبط بنسبة واحد فى المائة فى افريقية وبنسبة اثنين فى المائة فى بلاد الشرق الأقصى .

ويؤثر التخلف الاقتصادى لهذه البلاد على جميع مجالات الحياة وآفاقها ، بما فيها المسرح الدولى ؛ ولا تعانى الجماعات العاملة وحدها فى هذه البلاد من هذا التخلف ومن الابقاء على الاستعمار قديمه وحديثه ، وانما يمتد العناء نفسه الى جميع الشعوب ، بل الى الاقتصاد العالمى والعلاقات الدولية أيضا . وليس فى وسعنا حتى أن نحلم بقيام سلام دائم ، وبتطور سريع فى اقتصاد البلاد النامية فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ؛ اذا لم يقض بالزوال على الظلم الاستعمارى ؛ وعلى الافتقار الى التكافؤ بين الدول فى العلاقات الدولية ، واذا لم يتحرر المجتمع الانسانى من الأعباء الثقيلة التى تفرضها النزعة العسكرية وسباق التسلح يضاف الى هذا من الناحية الأخرى أن توسيع السوق العالمية لتنسجم مع التطورات الحديثة فى العلم والهندسة ، لا يمكن أن يتحقق اذا لم

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز . عدد ٩ مارس ١٩٥٩ .

يصحبه تطوير سريع لاقتصاد هذه البلاد · والمزيد من التطوير بالتـــالى فى اقتصاد السلام فى بلاد الغرب الكبيرة التقدم والتنمية ·

وتؤيد الكتب الكثيرة التى صدرت فى بلاد الغرب بعد الحــرب العالمية الثانية الحقيقة الواقعة وهى ان التحليل للوضـــع العالمى الذى نعرضه هنا مشابه لما اضطر الكثيرون من المتزنى الفكر من ممثلى المعسكر الامبريالى الى الاعتراف به رغمــــا عنهم · ولقد اضـــطر يوجين بلاك ؛ الرأسمالى الأمريكى البارز والمدير التنفيذى السابق لبنك الانشاء والتعمير الدولى السابق الى التصريح بما يلى ··· « لا بد لى عند وصف الجزء الآخر من العالم المعاصر من أن أجمع فى مجموعة واحدة جميع بلاد القــــارة الآسيوية باستثناء اليابان واسرائيل · وجميع بلاد افريقية وغالبية بلاد أمريكا اللاتينية · فجميع هذه البلاد تشترك فى الفاقة المدقعة ؛ بل ان بعضها يسير فى طريق المزيد من الافقار · ولكن هناك عددا متزايدا من الناس فى ذلك الجزء من العــالم يرفضون الآن تصديق القــول بحتمية فقرهم ، وان مشيئة الله شاءت لهم هذا المصير . ولقد شرع هؤلاء فى تفهم الحقيقة الواضحة وهى ان سلطان الانسان على الطبيعة عظيم ، وان فى وسعهم أن يتحكموا فى دولهم ؛ والى حد كبير ، بأسلوب أو بآخر ؛ فى مصائرهم · وبالرغم من أن أولئك الذين تفهموا هذه الحقيقة ما زالوا يمثلون أقلية فى غالبية هذه البلاد ؛ وبالرغم من ان هذه الأقلية ما زالت قليلة ومعـــدومة الحول والطول فى بعض الحــــالات الا أن هؤلاء الناس والمجموعات التى تضمهم يتلهفون على قيادة التحرك الجديد على الطرق الجديدة ، وقد ظهروا فى كل مكان وباتوا تواقين للحصـــول على نفس القدرات التقنية التى ساعدت الجزء الآخر من العالم ، على تحقيق الثراء والقوة · وتحاول هذه الطلائع وقياداتها تحقيق نفس الانجازات التى حققها الاصلاح والنهضة لأوروبا فى بلادها ؛ وان تنفذ فى غضون الحقب القليلة القادمة الى جميع التحولات الاقتصادية والاجتماعية التى اســـتغرق تحقيقها فى الجانب الآخر من العالم قرنا بكامله أو يزيد · وهى تحــاول أن تنقل شعوبها الى مرحلة النهضة دون ابطاء أو تأخير » ·

ولم يصدر هذا القول عن أحد الشيوعيين وانما صدر عن رجـــل رأسمالى بارز · ولسنا نشك فى أن يوجين بلاك ، يحاول فى قوله هذا أن يجمع بين الحقيقة والأســـطورة ، ولا يميز الدول المغايرة للدول الرأسمالية وهى البلاد الاشتراكية النامية اقتصاديا ؛ عن غيرها · ولكن أعمال التخريب المذهبية من هذا الطراز لا تخدع حتى السذج من الناس فلقد تطورت الدول الرأسمالية على حساب المستعمرات ، وهى تحـــاول

حتى الآن أن تحيا الى حد كبير عن طريق استغلال البلاد الأخرى . وأقامت الدول الاشتراكية بعد أن تحررت من طغيان الامبريالية الدليل الأول على أن في وسع الشعوب المتحررة من العبودية الامبريالية والاستغلال ؛ أن تحقق الكثير بجهود عمالها وأهلها .

وذكر ادلاى ستيفنسون ، رئيس الوفد الأمريكى الأسبق فى الامم المتحدة ؛ فى تعليق سابق له على الوضع فى البلاد الآسيوية فقال .. « ان المشكلة الأساسية التى تواجهها معظم المناطق المتخلفة التى استقلت حديثا هى كيفية تحقيق الوعود التى منت ثوراتها بها شعوبها ؛ وكيف تكافح الأمية وتعمل على تحسين الصحة العامة ، وكيف تنمى مواردها الأولية وتستصلح أراضيها البور ، وكيف تحسن انتاج السلع الزراعية والسلع الاستهلاكية ؛ وكيف تستطيع بالاختصار ، تحقيق ثورة صناعية متأخرة عن موعدها ؛ وتحسين ظروف شعوبها وأوضاعها ، بسرعة ؛ وذلك بالرغم من ضآلة رءوس الأموال المحلية الموجودة تحت تصرفها وضيق المواد الأولية اللازمة لذلك .

وأضاف ستيفنسون قائلا ... « انها واجبات ضخمة ؛ وهذا أقل ما يقال فيها ، وليس من الغريب والحالة هذه اذا كانت منجزات الاتحاد السوفياتى المذهلة فى ظروف مماثلة قد اجتذبت الاعجاب وأثارت الفضول لدى الناس جميعا » (١) .

ولقد عرض كل من بلاك وستيفنسون تقييما صحيحا بوجه عام عن بعض المظاهر والاتجاهات الرئيسية والصحيحة فى قصة التطور العالمى . فما زالت البلاد المتحررة من النير الاستعمارى ، فقيرة كما كانت فى السابق ، ولكن ليس فى وسع أحد أن يوقف تحركها فى طريق المعرفة والتقدم والنور . فليس فى وسع الأمور أن تظل طويلا على حالها السابق .

ولقد أخذ الناس يعون وعيا متصاعدا ومتزايدا ؛ ان الصناعة والهندسة والعلم هى السبل الرئيسية لتحقيق التعمير والبناء فى المناطق المتخلفة والأقل تنمية . ولا شك فى أن الزراعة التى يعمل فيها أكثر من ثلاثة أرباع سكان العالم ؛ تعتبر أساسا لتنمية الصناعة ، وسوقا لمنتجاتها ؛ ومموّنا لها بالمواد الأولية والغذائية ؛ ومصدرا للاحتياطى المصدر لها والمطلوب لتقدمها الاقتصادى . ويمكن تصوير لباب المشكلة

(١) ادلاى ستيفنسون فى كتابه «نداء للعظمة» ـ نيويورك ص ٨٥ .

الاقتصادية على النحو التالى وهو تأمين الأساس العلمى والتقنى الجديد للزراعة وتزويدها بالآلات العصرية فى الوقت نفسه الذى يتحقق فيه التقدم الصناعى • ويتطلب هذا بدوره • تقدما سريعا فى الصناعة فى البلاد الصناعية المتقدمة من الناحية الأولى والبلاد الأقل تنمية من الناحية الثانية • ومن الصحيح أن يقال ان هذا يتطلب موارد ضخمة يستطيع العصر الراهن تأمينها لو توفرت له الشروط المطلوبة •

ولننظر الى افريقية أولا ••• كان الملايين من الافريقيين يتلقون الفتات الحضارى من موائد البلاد الاستعمارية الغنية والحافلة بالطعام وما زال الافريقيون الآن فى حاجة الى التعليم والتقدم ورأس المال ، وهى أسس لا يستطيعون بدونها تحقيق أى تقدم فى سبيل الوصول الى فرص الحياة الكبرى • ومع ذلك فان الدول الغنية ما زالت تنفق الثروات الضخمة على خزن الأسلحة • وما زالت الأموال الثمينة التى قد تنفق فى رفع مستوى افريقية وآسيا تبدد فى سباق التسلح •

ولقد سبق لنا أن تحدثنا عن البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، فلقد وضعت المسودة السوفياتية للاعلان عن التحول الى المتطلبات السلمية للموارد التى يحررها نزع السلاح ، والتى قدمت الى الدورة السابعة عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام ١٩٦٢ الأسس لدرسها والخطوط العريضة لهذا البرنامج • وسنعرض هنا بعض المقتطفات من هذا البرنامج التى تحسر النقاب عن لباب المفهوم القائل بالانتصار على التخلف الاقتصادى من جانب البلاد النامية الحديثة ، عن طريق نزع السلاح الشامل والكامل •

تقول مسودة الاعلان ••• « لو استخدم على سبيل المثال خمس الموارد التى تنفق على الأغراض الحربية من جانب الدول المنتمية الى التجمعات السياسية والعسكرية ؛ فى دفع عجلة التنمية الاقتصادية للبلاد الأقل تنمية ، فان هذا الاستخدام سيوفر عشرين ألف مليون دولار فى السنة لهذا الهدف أو خمسمائة ألف مليون دولار فى مدة خمس وعشرين سنة . وتقول التقديرات الراهنة ان استخدام هذا المبلغ بالاضافة الى الجهود والموارد المحلية لكل بلاد ، سيكون كافيا لتمكين جميع البلاد المتخلفة اقتصاديا فى العالم من التغلب على تخلفها الاقتصادى والدنو من المستوى الراهن للانتاج الصناعى فى البلاد المتقدمة كبريطانيا وفرنسا فى غضون الجيل الحالى أى بين عشرين وخمسة وعشرين عاما •

وسيكون فى الامكان عن طريق هـــذه الموارد اقامة ما يتردد بين ثلاثين وأربعين مركزا صناعيا ذا أهمية عالمية ومستندا الى قاعدة محركة قوية في البلاد الأقل تنمية فى آســيا وأفريقية • وأمريكا اللاتينية • وسيكون من الضرورى تسخير الموارد الوفيرة لهذه البلاد من القوة المائية والبترولية والغازية ومن الخامات المعدنية الحديدية وغير الحديدية ، ومن ثرواتها الطبيعية الأخرى واستعمالها على اوسع نطاق • وســيكون فى قدرة التنمية الصــناعية استغلال المناطق الزراعية المجاورة على أساس تقنى عصرى • وعلى الدول المعنية أن تحدد المجالات المهمة ، وأن تصفها حسب الأولوية •

•• وسيؤمن نزع الســلاح وتحويل الموارد الهائلة الى الحاجات السلمية ، المجال الفسيح لتطوير التعاون الســلمى بين الدول على أسس من المساواة والتكافؤ ولمصلحة جميع المعنيين • ولاشك فى ان توسيع التجارة الدولية والعون المتبادل سيعود بالخير والنفع على جميع البلاد كبيرها وصغيرها ، وســواء آكانت متخلفة أم رفيعة التنمية الصناعية ، وسيضمن نمو الانتاج ، ويؤمن فرص العمل لمزيد من ملايين العمال » •

ومن هنا كان الاتجاه الأســاسى للبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح فى هذا المجال ، خلق ما يتردد بين ثلاثين وأربعين مركزا صناعيا متساوى الاعتماد على الطاقة ومتكافىء الأهمية العالمية • فى بلاد آســيا وأفريقية وأمريكا اللاتينيــة • ويمكن لهـــذه المراكز أن تكون قاعدة لتنمية الموارد المحلية من الطاقة الكهربية المائية ، والطاقة البترولية أو الغازية ، ومن التعــدين ، والثروات الطبيعية الأخرى • وستؤمن هـــذه المراكز أيضا الفرصـــة لتحويل المناطق المجاورة من زراعية وتعدينية الى الأساس المادى والتقنى العصرى ، ولتغيير التقسيم الحالى للعـــالم الى مناطق صـــناعية قوية ودول فقيرة التنمية تغييرا جذريا •

وتقول مسودة الاعلان السوفياتى •• « وليست هـــذه المشروعات مجرد أوهام لا فائدة ترجى منها ، وانما هى تقديرات واقعيـــة • ولقد

قام عدد كبير من العلماء البارزين باعدادها ، فى ضوء الانجازات الأخيرة فى ميادين العلم والتقنية . ولا شك فى ان تحقيقها يغير الوضع الاقتصادى والثقافى للمناطق التى مازالت متخلفة فى العـــالم ، تغييرا جذريا وفى أسرع وقت ممكن . وستنشأ فى هذه المنــاطق مراكز جديدة للثقافة ، ومؤسسات تعليمية ، ومعــاهد للبحوث . وستحظى كل بلاد فى العالم بوجود مهندسيها من أبنائها ومعهم رجال التقنية والعمال الفنيون ورجال الاقتصاد ، والاخصائيون الزراعيون ، والاخصائيون باصلاح الأراضى ، والأطباء والمدرسون » .

ولنعد الآن الى المشروعات التى أشارت اليها الوثيقة السوفياتية . ترى ما هذه المشروعات .. ؟

٤ التطلعات الاقتصادية
فى جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط

علينا أن نلقى نظرة أولا على خريطة الشرق الأقصى فى آسيا وهى المنطقة التى يأهلها أكثر من خمس الجنس البشرى • فالاساطير تحيط بالأنهار العظمى التى تنساب فى هذه المنطقة وهى الميكونج والكنج وبراهمابوترا والسند ، والتى تعتبر مقدسة ، كما انها لعبت دورا بارزا فى حياة مئات الملايين من الناس • فهناك بالاضافة الى الطاقة المائية فى هذه المناطق ، موارد معدنية ضخمة تحتشد فيها كالبترول فى أندونيسيا والهند ، والحديد والمنجنيز والخامات المعدنية الأخرى فى الهند وبورما وأندونيسيا والفلبين وأفغانستان والبوكسيت فى الملايو وسيام وأندونيسيا وهلم جرا • وهناك عدة مشروعات هندسية لتسخير أنهار جنوب شرق آسيا ، وتنمية الثروات القومية فى هذه المنطقة الفسيحة الأرجاء •

وتعتبر الهند أوسع البلاد فى هذه المنطقة وأكبرها • وتعتبر مصادر الطاقة الرئيسية فى هذه البلاد فى الوقت الحاضر ، العمل البدنى للشعب والقوة العضلية للحيوانات ، والسماد الطبيعى الجاف الصالح للاحتراق • وما زالت المواقد المشيدة من الطين الجاف والتى يشعل فيها روث الأبقار

الجاف ، والمحاريث الخشـــبية الثقيلة التى تجرها الجواميس ، والتى لا تكاد تخدش سطح الأرض ، وعربات الريكشا التى تنقل المارة ، الصورة النموذجية العامة فى معظم مناطق البلاد · ويعكس تخلف الهند فى الطاقة المحركة ، صورة التخلف الاقتصادى العام فى البلاد · ويصح هذا القول أيضا بالنسبة الى عدد آخر من البلاد التى هى أقل تنمية اقتصادية · ويقول اى · ايدجيرتون ان العمل اليدوى وطاقة الحيوانات الأليفة يؤلفان خمسين فى المائة من الطاقة المســـتخدمة فى الانتاج فى آســـيا وأربعين فى المائة من الطــاقة فى أفريقية و ٣٥ فى المائة فى بلاد أمريكا اللاتينية ، فى حين تمثل الطاقة الميكانيكية فى أمريكا الشمالية ٩٧ر٥ فى المائة من مجموع الطاقة المستعملة وفى أوروبا ٩٤ر١ فى المائة ·

ويمثل مصدر الطاقة النابعة من الروث الطبيعى كارثة للزراعة ، وللفلاحين الذين يؤلفون غالبية السكان فى البلاد · ويتم احراق نحو من ٢٢٥ مليون طن من الروث الجاف و ١٥ مليون متر مكعب من الخشـــب أو ما يعادل مائة مليون طن من الوقود فى كل عام . ويحرم هذا التربة من أسمدة عضوية لها قيمتها ، كما ان قطع أشجار الغابات يضاعف من تآكل التربة ·

وكان الاستهلاك الفردى ــ للطاقة فى الهنـد وبورما وســـيلان والفلبين عنـد انتهاء حـــكم بريطانيا الاستعمارى ، أدنى من مســـتوى الاستهلاك فى أى بلاد فى العالم ، أى ٣٥ر٠ من الطن من الوقود فىالسـنة ، فى حين كان هذا المعدل فى الولايات المتحدة ١٨ر٨ وفى كندا ٥٥ر٧ وفى بريطانيا ٥٨ر٤ ، وذلك طبقا لاحصاءات عام ١٩٥٢ ·

ولم تتغير الصورة الا قليلا بالرغم من الجهود التى بذلتها الحكومات الوطنية ومن بعض الزيادات فى استهلاك الفحم والغاز والبترول والقوة الكهربية · ولم تزد حصة موارد الطاقة الصــناعية فى الهند فى فترة الخطتين الخمسيتين الأوليين فى الهند بعــد تحررها الا من ٦ر٣٣ الى ٤ر٣٩ · ولن يزيد الانتاج الفردى فى الطاقة الكهربية حتى فى نهــاية الخطة الخمسية الثالثة فى سنة ١٩٦٦ على ٩٥ كيلو واط ساعة · ويمكن القول على سبيل المقارنة ان على الانتاج الفردى هـــذا كان ٥٦٠٠ فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٦٣ و ٣٢٠٠ كيلو واط ســـاعة فى بريطانيا فى التاريخ نفسه ·

وتملك الهند مخزونات كبيرة من الفحم والبترول والغــاز الطبيعى وهناك احتمالات فى استعمال الطاقة الذرية أيضا فى مخزونات خامات

الثوريوم واليورانيوم فى البلاد والطاقة الشمسية والطاقات الناتجة من الرياح والتيارات البحرية .

وكان يقال لأمد طويل ان الهند فقيرة بمخزوناتها البترولية .

وظل الاخصائيون البريطانيون والأمريكيون ينقبون عن البترول دهرا طويلا ودون جدوى وظلت البلاد تبتاع ملايين الأطنان من البترول من الشركات البترولية فى الولايات المتحدة وبريطانيا .

ولم يعثر على البترول فى الهند الا فى عام ١٩٥٦ . وتم بمعونة الاخصائيين السوفيات والرومانيين اكتشاف عدد من آبار البترول الجديدة ذات طاقة انتاجية هائلة تقدر بعدة مئات ملايين الأطنان فى مقاطعة اسام القديمة المنتجة للبترول فى مشرق البلاد وفى مقاطعة كوجارات فى الغرب . وتعتزم الهند الاسراع فى استخراج زيتها ليصل المعدل السنوى الى عشرة ملايين طن فى عام ١٩٦٨ مقابل مائتى ألف فى عام ١٩٥٨ . واضطرت الاحتكارات البترولية الأجنبية الى خفض أسعار البترول الذى تصدره الى الهند .

وتبين ان هناك مناطق كثيرة فى الهند ، كوديان نهر الكنج البركانية فى الشمال ، وكمنطقة نهر كافيرى فى الجنوب ، وكولايات البنجاب وراجستان والبنجال الغربية والمناطق الاستوائية فى شبه الجزيرة : تبشر بوجود مخزونات بترولية كبيرة ويقدر العلماء مخزونات الهند البترولية بأربعة آلاف مليون طن . وتم اكتشاف مخزونات غنية من الغازالطبيعى أيضا فى ولايتى كوراجات والبنجاب. وكان جواهرلال نهرو قد بين ان المعونة السوفياتية لم تقتصر على مسح المناطق التى يحتمل العثور على البترول فيها فحسب ، وانما تعدت ذلك الى تدريب خبراء البترول الهنود أيضا .

وتعمل البلاد الاشتراكية أيضا على مساعدة الهند فى تطوير صناعة تكرير البترول القومية فى بلادها . وتم فى المدة بين عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٥ انشاء مصانع تملكها الدولة لتكرير البترول بمساعدة الاتحاد السوفياتى فى بارونى على الضفة الشرقية لنهر الكنج ، وفى كوجالى فى مقاطعة كوراجات . وقامت رومانيا بمساعدة الهند فى بناء مصنع لتكرير البترول تملكه الدولة فى جوهاتى فى المصبات الدنيا لنهر براهمابوترا . وستكون لهذه المشروعات مجموع الطاقة نفسها التى تملكها مصانع تكرير البترول الأربعة التى تمت للاحتكارات البترولية الأمريكية والبريطانية . وهكذا انتهى عهد السيطرة المطلقة للاحتكارات الأجنبية فى اقتصاد الهند البترولى . يضاف الى هذا ان البلاد وفرت قدرا هائلا من النقد الأجنبى

الذى كان عليها فى السابق ان تدفعه الى الخارج لاستيراد المنتجات البترولية بأسعار تصل الى ثلاثة أضعاف أسعار خامات البترول .

وفى وسع الهند أن تبنى مجمعات ضخمة من المصانع ذات الصلة بالصناعة البترولية ـ الكيماوية ، والتى تشمل مصانع الأسمدة الكيماوية التى تحتاج اليها البلاد كل الحاجة ، ومصانع المبيدات الحشرية ، والنباتات الصالحة لانتاج البلاستيك والصمغ الصناعى ، والمطاط الصناعى وغيرها ، فى المناطق التى تجرى فيها تنمية صناعة استخراج البترول وتكريره . ويعنى الاستخدام الواسع النطاق لموارد البترول والغاز الطبيعى القومية فى البلاد ، توفيرا ضخما فى المواد الغذائية التى كانت تستخدم فى الماضى كمواد أولية للصناعات الكيماوية . وفى الامكان عن طريق تنفيذ المشروع الذى يقضى بتحويل مخزونات فحمية ضخمة تحت الأرض الى غاز فى حوض نهر دامو دار، تأمين الكثير من الموارد لتنمية صناعة كيماوية حديثة . وفى وسع الغاز الناتج هناك أن يستخدم فى منطقة كلكتا الصناعية .

وتعتبر القوة المائية لأنهار الهند والمسماة « بالفحم الأبيض » ، المصدر الرئيسى للطاقة فيها . وهى مرتبطة فى الوقت نفسه مع مشروعات الرى . ولا شك فى أن الماء يؤلف ركن الحياة فى الشرق . ففى الامكان عن طريق تأمين السبل اللازمة ، ورى الأرض انتاج محصولين أو ثلاثة أو حتى أربعة محاصيل فى السنة . وسيكون فى قدرة الهند مع تطوير الصناعة وتنميتها ، تألية زراعتها ، والقيام بتنمية واسعة للرى وزراعة جميع الأراضى الصالحة للزراعة . وآنذاك ، وبدون الزيادة الاضافية فى المحاصيل عن طريق استخدام الأسمدة ، يرتفع انتاج الحبوب بمعدل يتراوح بين ضعفين ونصف الضعف وثلاثة اضعاف . وسيرتفع الانتاج الفردى للحبوب فى عام ١٩٨١ الى ما يتردد بين ٥ر١ و ٢ من الأضعاف .

هذه هى تقديرات الاقتصاديين الهنود أنفسهم . وتقول لجنة الطاقة المائية المركزية فى الهند أن موارد الطاقة المائية فى البلاد ، والصالحة للاستغلال تبلغ نحوا من ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٠٠ر٥٠ كيلو واط ساعة . وتكون القوة الخاصة بالهند وحدها من هذا المجموع ٤١ مليون كيلو واط ساعة ، اذ ان الطاقات المائية المحتملة لأنهار الحدود فى جبال الهملايا، تقتسم على أساس التناصف مع البلاد الأخرى .

وتكون أهمية موارد الطاقة المائية لاقتصاد الهند كبيرة للغاية ،

حتى ان الكثيرين من كبار الاقتصاديين الهنود يرون أن من الضرورى وضع البرامج والمشروعات للتنمية القومية لا ضـــمن اطار الدول فرادى بل على أســاس أحواض الأنهــار أيضا . وتفرض هندســـة الطاقات المحركة والصناعات الثقيلة والرى الآن نفوذا كبيرا على تطوير الاقتصاد الهندى، وان كانت الهند على الغالب بلادا زراعية . ولا تســـتخدم حتى الآن الا ٦ر٥ فى المائة من مجموع محمول مياه الأنهار الســنوى فى الهنــد فى اهداف الرى .

ووضع علماء الهند والبلاد الأخرى مشروعات انشائية هندسية مائية فى حوض نهر الكنج الذى يقيم فيه أكثر من ١٤٠ مليون انسان . وتنص هذه المشروعات على اقامة محطة كبرى لتوليد الطاقة الكهربية داخــل حدود الهنــد ونيبال على نهر الكنج واقامة أكثر من خمســين محطة أخرى على روافد النهر . وستبلغ طاقة هذه المحطات كلها نحوا من ١٣ مليون كيلو واط ، وبذلك يبلغ التوليد السنوى للقوة الكهربيــة نحوا من سبعين الف مليون كيلو واط ســاعة . ولعــل من الطريف أن نقول ان مجمل الطاقة الكهربية الناتجة عن جميع محطات توليد الطاقة فى الهند فى عام ١٩٦٣ لم تزد على ٠٠٠ر٧٠٠ر٢ كيلو واط (١) .

ولا شك فى أن اقامة محطات القوة المائية على نهر الكنج سيؤدى الى الاسراع فى تنمية الصناعات المعــدنية والكيماوية والهندســية والصناعات الخفيفة والغذائية ، وفى كهربة السكك الحديدية فى شمال الهند ونيبال ، كما تؤمن الكهرباء للمنافع العامة والزراعة . ولا شك فى أن رى نحو من ٠٠٠ر٥٠٠ر٦ هكتــار من الأرض ، ومنع الفيضانات المدمرة يمثلان جانبين أساسيين فى هذا المشروع .

وقام العلماء الهنود فى السنوات الأخيرة بدراســات واســـعة لاحتمالات استخدام موارد القوة المائية فى نهر براهما بوترا . وذكرت صحيفة بهاجيرات الهنــدية فى عددها الثالث لعــام ١٩٥٩ ، ان فى الامكان انشاء ٣٥ محطة من محطات القوة المائية على نهر براهما بوترا وروافده فى الهند والباكستان الشرقية . لانتاج ١٣ مليــون كيلو واط من القوة الكهربية . ولا شك فى أن انشاء محطات للقوة المائية فى

---

(١) يمكن القول على سبيل المقارنة ان طاقة محطة براتسك فى الاتحاد السوفياتى وهى اضخم محطة فى العالم تبلغ ٠٠٠ر٦٠٠ر٣ كيلوواط ، وان طاقة محطة جراند كولى على نهر كولومبيا ، وهى اكبر محطة فى الولايات المتحدة لاتزيد على مليونى كيلو واط .

الحوض الأدنى لنهر براهما بوترا ، الذى يقيم فيه أكثر من أربعين مليون انسان فى الهند وباكستان الشرقية ، والذى توجد فيه صناعة متطورة الى حد ما ، يمثل أهمية اقتصادية كبرى . ففى الامكان اقامة ما يتردد بين عشر وخمسة عشرة محطة مجموع طاقاتها نحوا من خمسة ملايين كيلو واط فى الحوض الأدنى لهذا النهر مع نظام لأجهزة الرى وقناة تجتاز دلتا براهما بوترا والكنج .

وتمثل الموارد المائية لنهر السند (الاندوسى) ، أكثر الموارد استغلالا فى أنهار جنوب شرق آسيا . وتنتشر اقنية الرى فوق أكثر من سبعة عشر ألف كيلو متر لتؤمن المياه لأكثر من ثلاثة عشر مليون هكتار من الأرض . وتؤمن أجهزة الرى ومنشئاته هذه ، مورد الحياة لأكثر من أربعين مليون باكستانى وعشرة ملايين هندى . ويتعقد المزيد من استغلال موارد هذا النهر من جراء المنازعات القائمة بين الهند وباكستان حول توزيع المياه . ولقد أدى تقسيم القارة الهندية الى دولتين الى أن أعالى نهر السند وروافده ، أصبحت فى جمهورية الهند فى حين غدت الأجزاء الوسطى والدنيا من النهر وروافده ، ومعظم منشئات توليد الطاقة فى أراضى باكستان ، التى تملك ٨٠ فى المائة تقريبا من موارد الحوض المائية .

ونحن لا ننكر فى ضوء المفاهيم العصرية ، ان الموارد المائية لنهر السند وفروعه ، لا تستغل استغلالا كافيا . فالطاقة المائية للنهر كافية لبناء محطات لتوليد الكهربا يتردد مجموع طاقتها بين ٩ و ١١ مليون كيلو واط بالاضافة الى تأمين مياه الرى لمساحات جديدة وضخمة من الأرض .

ويعتمد اقتصاد الباكستان الغربية فى المستقبل ، وأوضاع العيش لسكانها الى حد كبير على حالة انظمة الرى فى وادى نهر السند . فما زالت مقادير المحاصيل الزراعية الرئيسية فى هذه المنطقة تحتل أدنى المستويات فى العالم نسبة وذلك بالرغم من خصوبة التربة ، ومن حرارة الجو التى تجعل فى الامكان الحصول على محصولين فى السنة . يضاف الى هذا ان تزايد السكان هنا ، يبلغ ما بين الضعفين والثلاثة أضعاف لما تؤمنه الأرض من غذاء فى الأوضاع الراهنة . وبينما كانت الباكستان الغربية فى الماضى مكتفية بما تنتجه من مواد غذائية ، أصبح لزاما عليها مؤخرا أن تستورد ما يتردد بين خمسمائة وسبعمائة ألف طن من القمح فى السنة .

وستؤدى بعض المنشـــئات الهندسية المائية كالسدود والخزانات والأقنيـــة والآبار التى وضعت مخططاتها الى رى نحـــو من ثلاثة عشر مليون هكتار من الأرض فى الباكستان الغربية وذلك من مجموع خمسه وعشرين مليون هكتار من الأراضى الصالحة للأغراض الزراعية ، ومنهـــا ثمانية ملايين هكتار فى الحوض الأوســط لنهر الســند وأربعة آلاف هكتار فى حوضه الأدنى . ويعنى هذا مضـــاعفة الانتاج فى حوض الســند ، وحصــاد خمســة عشر الف طن أخــرى من الحنطة فى كل سنة (١) . ولكن تحقيق هذه المشروعات يتطلب ثلاثة آلاف مليون دولار، وهو أربعة أضعاف القدر اللازم من جميع الاستثمارات الرأسمالية التى أقرتها حكومة الباكستان فى موازنتها لعام ١٩٦٣ — ١٩٦٤ .

ويظهر مدى ما تســـتطيع المياه تحقيقه هنا فى مشروع تزويد صحراء راجستان فى غرب الهنــد بالمياه . ففى امكان قناة راجســتان بعد انشائها وطولها سبعمائة كيلو متر وحولها شبكة لتحويل الميـــاه وتوزيعهـــا الى الأقنية التى تؤمن ميـــاه الرى اللازمة لأكثر من مليـون وأربعمائة ألف هكتار من التربة الرملية أو الغرينية ، والتى لا توجد فيها الا نتف صغيرة من الأرض المزروعة ببعض النبـــاتات القصيرة والتى تخصص الى حد ما لزراعة الدخن (٢) . وفى وسع هذه الأراضى المروية أن تؤمن انتاج ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ طن من المحاصيل الزراعية بينها ستمائة الف طن من الحنطة و ١٫٢٠٠٫٠٠٠ من قصب السكر ومائتى ألف طن من النباتات الصالحة لانتاج الزيوت النباتية .

وفى وســع قاعدة المواد الأولية فى راجستان أن تؤمن الحـــاجات اللازمة لصناعة واسعة النطاق تنتج الأسمدة الصـــناعية والمعادن غير الحـــديدية ومواد البناء . ويقدر أن فى الامكان اسكان أكثر من مليون ونصف مليون من الناس فى منطقة البناء ، وتزويدهم بالأعمال اللازمة، وهو عامل مهم بالنسبة الى معدلات البطالة العالية فى الهند . وفى الامكان بنـــاء ست مدن وأربع وعشرين بلدة مع شبكة كثيرة التشـــابك من الطرق هناك .

ويتطلب انشاء قناة راجستان نحوا من ٢٧٠ مليون دولار وهو مبلغ يعادل تكاليف عشر طائرات أمريكية مقاتلة .

---

(١) يبلغ مجمل حجم الحنطة والارز اللذين تم جنيهما فى الباكستان فى عام ١٩٦٣ بنحو من ٢٢ مليون طن .

(٢) فى وسع القناة ان تؤمن المياه اللازمة لاكثر من خمسة ملايين هكتار من الارض .

ولا تكون الافادة المتشابكة من مواد الطاقة المائية ممكنة فى أحواض الأنهـــار الكبرى فى الهند وحدهـــا ، بل فى مناطق الهند الوســـطى والجنوبية أيضا حيث تكثر الأنهار الصغيرة .

ولا شك فى ان تجربة ولاية كيرالا عندما كان الشيوعيون يحكمونها بتأييد أغلبيـــة أعضـــاء المجلس التشريعى فيهـــا تبين الكثير . وتتبـــاين الثروات الطبيعية فى هذه الولايه الصغيرة التى تمتد الى مســـــافة ٦٥٠ كيلو مترا بين جاتا الغربية وبحر العرب . وتعتبر القوة المـــائية أهم مورد طبيعى فى هذه الولاية . فهناك اكثر من أربعين نهرا ، ينساب من سفوح الجبال التى تغطيها الغابات فى كيرالد باتجاه بحر العرب . وفى وســـع شـــلالات هذه الأنهر وجنادلها العديدة ، أن تضمن انشـــاء مولدات الطاقة الكهربائية ذات الأحجام الصغيرة التى تتردد طاقتهـــا بين عشرين وثلاثين الف كيلو واط ،، والتى تســـتطيع تأمين الطاقة الكهربيـــة لولاية كيرالا نفســـها وللمناطق الأخـــرى فى جنوب الهند . ولم تحصر الحـــكومة التى كان الشـــيوعيون يقدرون اهتمامها فى حل المشـــكلات النموذجية المعروفة كوضع القوانين اللازمة لتحديد الحد الأدنى لأجور العمال ، وتحديد العلاقات الانتاجية فى الزراعة ، وتنظيم شئون التعليم ووضع الســـــياسات الضريبية لمصلحة العاملين وغيرها ، وانما فكرت تفكيرا جادا فى المشروعات التى يؤمل منها الكثير ، ومنها وضع المخططات اللازمة والكاملة والشاملة ، لاستخدام الطاقة الكهربية المـــائية وغيرها من المـــوارد فى الولاية . ورســـمت المخططـــات الشـــــاملة للمنشـــئات الهندســـية المائيـــة فى الولاية ، وبدأ العمـــــل فى ٥ مشروعات للرى ــ ومنشئاته فى مناطق عدة . وأقيمت الادارات واللجان الخاصة بادارتها، كمـــا تم اعداد مكتب خاص من المهندسين الاستشاريين . وخول جبـــاة الضرائب بالمصادقة على انشاء المنشئات الصغيرة الخاصة بالرى ، مع السماح لهم بقطع الأشرطة الحمراء المعلنة لبدء العمل واختصار فترات الانتظار .

وتم وضع برنامج للانشاءات الكهربية ــ المائية على٢٨ نهرا رئيسيا من أنهر الولاية ، وقـــد وضعت التخطيطات لتنفيذه فى فترة تتردد بين ٢٥ وثلاثين عاما . ويبلغ مجموع الطاقة المقدرة للقوة الكهربية المائية فى ولاية كيرالا نحـــوا من مليون وثمانمائة ألف كيلوواط ، كما يبلغ مجموع مساحة الأراضى التى ستروى حديثا نحوا من٤٧٣ الف هكتار يمكن جنى الحصاد منها ثلاث مرات فى كل عام . ويعتبر هذا أمرا فى منتهى الأهمية

لكيرالا ، لأن مواردهـــا الراهنة من المواد الغذائية لا تســـد الا نحوا من أربعين فى المائة من متطلباتها · وكتب بى·اش فادهيا ناثان رئيس مهندسى حكومة كيرالا يقول .. « وسيكون فى الامكان عن طريق الزراعة المكثفـة زيادة انتاج المواد الغذائية الى مليونين وسبعمائة ألف طن من الأرز مقابل ثمانمائة ألف طن فى الوقت الحـاضر ، وتأمين الميـــاه للمناطق المدنيـــة والريفية التى يقيم فيها اثنا عشر مليونا من الناس، وزيادة مجموع طول الخطوط الملاحية الداخلية من ألف ميل فى الوقت الحاضر الى ٢٢٠٠ ميــل ويمكن تحقيق كل هذا فى غضون فترة تتردد بين ٢٥ وثلاثين عاما ، عن طريق الجهود المستمرة والمركزة ، شريطة أن تتوافر الوسائل اللازمة »·

وقدر الخبراء ان تمويل هذا البرنامج المخطط له فى كيرالا سـيكلف نحوا من ثمانمائة مليـون دولار وهو ثمن خمســـة طرادات من حـاملات الصواريخ ·

وسيؤمن انشاء محطـات التوليد الكهربائى من المـاء وقنوات الرى والمشروعات الصناعية المستندة الى محطات التوليد هذه ، فرص العمـــل لسكان الولاية ·

وتعتبر ولاية أوريسا أيضا كغيرها من مناطق الهند الكثيرة ، غنية بمواردها الطبيعية · وهى تقع فى الشمال الشرقى لشبه جزيرة الهنـد ، ويضاهى عدد سكانها ، سكان كندا بأسرها · وتم فى عام ١٩٤٥ اعـداد برنامج بتوجيه من اى· خوصلا ، الرئيس السابق للجنة المركزية الهندية لتوليد الطاقة المائية ، وذلك لتحويل ولاية أوريسا الى مركز للطاقة المحركة يعتبر من أكبر المراكز المولدة للطاقة فى الهند ، على أن تصل طاقة هـذا المركز نحوا من ١٨ مليون كيلوواط من الطاقة الكهربية المائية والحرارية· وتصور برنامج خوصلا اقامة عدد من المجمعات المركبة لمشروعات الهندسة المائية فى حوض نهر ماهاندى ، وعدة محطـــات لتوليد الكهرباء الحرارية فى منطقة تلشير حيث تقدر مخزونات الفحم فيها بنحــو من أربعين ألف مليون طن · ونص البرنامج بالاضافة الى اقامة عدد من محطـات توليد الكهرباء من المـــاء على رى أكثـــر من ٢٠٠ر٢٠٠ر٣ هيكتار من الأرض ، وتأمين المـلاحة النهرية فى أكثر من ١٦٠٠ كيلو متر من نهر ماهاندى ، وفروعه ، وشق ممر مائى الى كلكتا عبر مناطق غنية بالفحم والحديد الخام والمعادن الأخرى · وفى وسع ولاية أوريسا الجديدة بالاضافة الى ســـد حاجاتها من الكهرباء ان تؤمن الطاقة الكهربية للولايات الأربع المجـــاورة الأخرى وهى البنغال الغربية وبينهـــا رومادهايا ـ براديش واندهرا ـ

جرايديش والتى يبلغ تعداد سكانها كلها أكثر من مائة وخمسين مليونا من الناس ..

ولقد اعد هذا البرنامج منذ أكثر من عشرين عاما ، ولكن لم تقم حتى الآن من المحطات الكبرى الا محطة واحدة لتوليد الطاقة الكهربية من الماء ، قدرتها ٤٢٧ ألف كيلو واط فقط .

وفي وسع حوض نهر الميكونج ولاسيما فى الأجزاء الدنيا منه ان يلعب دورا ضخما فى تنمية القوى الانتاجية فى جنوب شرق آسيا . ويعتبر نهر الميكونج من ناحية طوله وغزارة مياهه واحدا من أكبر عشرة أنهار فى العالم . ويعيش أكثر من عشرين مليونا من السياميين واللاووسين والكمبوديين والفيتناميين على حوض نهر ميكونج الأدنى .

ولقد انقضى أكثر من حقبة من الزمن فى دراسة احتمالات الافادة من موارد الطاقة المائية فى نهر الميكونج . ولقد بدأت اللجنة الاقتصادية للأمم المتحدة المختصة بآسيا في دراسة مشروع نهر الميكونج منذ عام ١٩٥١ . وشرعت اللجنة فى سلسلة من التحقيقات . وقامت مجموعة من خبراء اللجنة فى عام ١٩٥٦ باتمام عملية مسح للحوض الأدنى للنهر . وأوصى تقرير اللجنة بتنفيذ خمسة مشروعات للهندسة المائية فى غاية الأهمية لتحقيق التنمية الاقتصادية فى البلاد الواقعة فى حوض النهر . وهذه المشروعات هى كما يلى :

١ ـ مشروع بامونج على الحدودبين لاوس وسيام وعلى بعد نحو من عشرين كيلو مترا الى الغرب من فيانتيان .

٢ ـ مشروع خيمارات الواقع فى قلب الحوض حيث ينحرف الميكونج عن حدود لاوس ـ سيام ويتوغل عميقا داخل أراضى لاوس نفسها .

٣ ـ مشروع خون فى منطقة شلالات خون المعروفة عند النقطة التى يعبر فيها النهر الحدود بين لاوس وكمبوديا .

٤ ـ مشروع سامبور .

٥ ـ مشروع تونيل ساب . والمشروعان الأخيران فى كمبوديا .

وأكد التقرير ان كلا من هذه المشروعات الخمسة ، يفيد بلدين أو ثلاثة بلاد على الأقل فى تلك المنطقة وأقامت حكومات البلاد المعنية فى شهر أكتوبر من عام ١٩٥٧ لجنة تنسيقية فى الحوض الأدنى لنهر الميكونج ،

لتؤدى دور الهيئة المركزية لتوجيه اعداد المشروعات والاشراف على الافادة من موارد مياه نهر الميكونج ٠

وتم نتيجة الاستقصاء الذى قامت به اللجنة اعداد خطة عامة للافادة افادة شاملة من طاقات الموارد المائية للنهر . وتضمنت هذه الخطة عشرة مشروعات لاقامة مؤسسات للهندسة المائية على النهر نفسه وستة عشر مشروعا على روافده . وكانت اقامة هذه المشروعات تعنى أولا انشاء شبكة من محطات توليد الكهرباء المائية فى البلاد المعنية ، مجموع طاقتها نحوا من ١٣ مليون كيلو واط ، فى حين أن عددا من المحطات الكبيرة كمحطات بامونج وخيمارات وسامبور وستونجرينج التى تتردد طاقة الواحدة منها بين ٦٠٠ الف كيلو واط و ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلو واط ، وبينها عدد من المحطات المتوسطة والصغيرة التى تتردد طاقتها بين عشرين ألف ومائة ألف كيلو واط .. وعنت هذه المشروعات ثانيا توسيع المناطق المروية بنحو من ٦٫٥٠٠٫٠٠٠ هكتار تضاف الى الخمسة ملايين وسبعمائة ألف هيكتار تروى حاليا فى حوض النهر . وعنت ثالثا تحسين الأوضاع الملاحية فى القسم الأدنى من النهر كما عنت رابعا السيطرة على الفيضان فى عدد من المناطق ، وعنت خامسا تأمين الأوضاع المواتية لتحسين عمليات صيد الأسماك فى كمبوديا .

ويمثل مشروع بامونج الحلقة الرئيسية فى مشروعات تنمية الطاقة الكهربية ــ المائية فى القسم الأدنى من حوض الميكونج . فهنا يتحول النهر شرقا عند تيانج كارنا ، ويخترق مضايق جبلية لينفذ منها الى سهل فسيح فى منطقة فيانتيان ٠ ويعنى انشاء سد ارتفاعه تسعون مترا وطوله نحو من كيلو متر واحد على النهر اقامة خزان ضخم يكفى لرى مائتى ألف هيكتار من الأرض فى لاوس وثمانمائة ألف هيكتار فى سيام ، وبناء محطة كهربية طاقتها ١٫٦٠٠٫٠٠٠ كيلو واط وتحسين الملاحة النهرية تحسينا كبيرا فى ٣٤٠ كيلو مترا من مجرى النهر . يضاف الى هذا ان مشروع بامونج يؤدى الى السماح بتنظيم مياه النهر فى جميع أقسامه ، من فيانتيان الى نقطة مصبه فى بحر الصين الجنوبى .

ويعتبر مشروع تونيل ساب فى كمبوديا على جانب كبير من الأهمية لأن تنفيذه يؤدى الى استعمال البحيرة العظمى فى كمبوديا كخزان كبير لمياه نهر الميكونج ، كما يؤدى الى الابقاء على مستوى المياه فى النهر عند حد معقول طيلة أيام السنة ويتميز نهر تونيل ساب الذى يربط بين الميكونج وبين البحيرة العظمى بظاهرة نادرة ، وهى أن المياه تنساب

بين شهري مايو وسبتمبر من كل عام من الميكونج الى البحيرة ؛ كما تنساب بين أكتوبر وابريل من البحيرة الى النهر • ويؤدى اقامة سد ضخم على نهر تونيل ساب يضم سدودا عدة الى حل الكثير من المشكلات فورا . فسيحول هذا السد فى الفترة الممطرة المبكرة ، اى بين يونيو واغسطس ، الى منع مياه الميكونج من الانسياب الى البحيرة، ويكون مستوى المياه فى الحوض الأدنى للنهر كافيا لدخول السفن من عابرات المحيطات فى النهر الى بنوم بينه • واذا ما ارتفعت المياه فى النهر الى حد الخطر ، كان فى الامكان تحويلها عن طريق رفع السدود الى البحيرة العظمى لحماية المناطق القريبة من الفيضانات المدمرة . وتستخدم المياه المتجمعة فى البحيرة ، ابان فصل الجفاف ، فى أعمال الرى وتحسين الأوضاع الملاحية . وستؤدى مؤسسات الهندسة المائية على نهر تونيل ساب ، والطاقة الكهربية فى نهر سامبور الى تمكين الناس . من تحويل أكثر من مليون هيكتار من الأرض الخصبة فى مصب الميكونج الى الرى الدائم • حيث يمكن اقامة محطات قوية للضخ لأعمال الرى والصرف .

ومازالت التحريات الخاصة بالهندسة المائية فى حوض الميكونج الأدنى سائرة فى طريقها حتى اليوم . وهناك تطلعات الى بناء كثير من السدود والحواجز والأقفال وأقنية التحويل التى لم ندرجها هنا . ولم نصد هنا الموارد المعدنية للمنطقة واحتمالات التنمية الصناعية فيها ، بالرغم من أن دراستها مازالت تدور على قدم وساق .

ويبين برنامج نهر الميكونج احتمالات اجراء مثل هذا الطراز من البحث والتقصيات بل جدواه بالنسبة الى البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح . وهو فى الوقت نفسه لا يصرف اهتمام الكثيرين من الاخصائيين عن أعمالهم اليومية . وتقوم مجموعة من المتحمسين بهذه الأعمال ذات الأهمية الدولية . ولم يجتز مخطط نهر الميكونج فى الواقع حدود مرحلة الدراسة ، ولم ينفذ المخطط بسبب الافتقار الى الأموال التى يستنزفها سباق التسلح والتى تغرق فى أعماقه التى لا نهاية لها (١) . وكيف يمكن لنا ان نتحدث عن اى طراز من العمل

---

(١) لم يجمع فى عضون ١٢ عاما وحتى مستهل عام ١٩٦٣ أكثر من ٣٦ مليون دولار لصندوق مشروع الميكونج ، فى حين يحتاج المشروع سبعمائة ألف مليون دولار كما تصور واضعوه . وهو مبلغ انفقت الولايات المتحدة أضعاف أضعافه ضد شعب فيتنام •

الخلاق فى المنطقة عندما يحيل المعتدون الأمريكيون أرض فيتنام الجنوبية الى منطقة يسيطر عليها الدمار ، والى ميدان للتجارب على احدث الأسلحة . وعندما يشنون غاراتهم على لاوس وكمبوديا المحايدتين ويهددون شعوب جنوب شرق آسيا بمزيد من التصاعد فى العمليات الحربية .

وليست الأمم المتحدة بالجهاز القادر على حل المشكلات الاقتصادية الخطيرة ، بكفاية وفاعلية . وليست الدراسات التى تقوم بهـا لمشروعات كمشروع الميكونج ، الا بقصد ايضاح طريق المستقبل للشعوب فى أحسن الحالات .

ومع ذلك فان قوة النهر هى مفتاح التنمية الصناعية للبلاد الواقعة فى حوضه . وفى الامكان استخدامها لتنمية الصناعات المستهلكة للطاقة التى يولدها النهر كاستخراج المعادن غير الحديدية كهربيا ، واستخدام المخزونات المحلية من القصدير والتونجستين والنحاس والرصاص وتحقيق التصنيع للمواد الكيماوية والورق والمصنوعات الخشبية وتعليب الصناعات الخفيفة والمواد الغذائية .

والشىء المهم هو ان مخطط نهر الميكونج كغيره من المشروعات المماثلة يتطلب التعاون السلمى بين عدد من الدول . ولقد تجاوزت القوى الانتاجية اليوم ، حدود الدول القومية ، واخذت تتحول الى المجال الدولى وتحمل طابعا عالميا . وتنشد الامبريالية استخدام هذا التحول كأساس فى سياسة استعباد البلاد والأمم المتخلفة لمصلحة الدول الامبريالية المسماة بالمتقدمة . ولكن الاستعمار اثبت من قبل افلاسه الاقتصادى ــ الاجتماعى ، عن طريق بقاء قارات واسعة ، فى وضع بدائى . ولا يمكن تنفيذ مشروع الميكونج أيضا عن طريق الأساليب الاستعمارية اذ ان الاستعمار يعنى العبودية وأعمال السخرة ، وان هذين الأمرين لم يعودا صالحين للقوى الانتاجية فى العصر الحاضر . والاسهام الطوعى والحر من جانب البلاد المشتركة فى مشروع الميكونج لمصلحة شعوب جنوب شرق آسيا ، هو وحده الذى يطلق ينابيع الجهود الخلاقة والتى لا تنضب للشعوب وحماستها للعمل . وهذا هو السبيل الوحيد للتغلب على الوف العقبات والمشاكل التى لا بد من ظهورها فى مثل هذا المشروع الضخم الهائل ، والتى سيستحيل حلها اذا كان القصد منها ارضاء المصالح الأنوية لمجموعة ضيقة من الناس .

وتتغير الأوضاع مع مضى الزمن . ولقد كان موضوع تقسيم مياه

الأنهر والسيطرة عليها المجال الفسيح للدبلوماتية والحروب في كثير من البلاد الافريقية والآسيوية ولا سيما حيث تسير هذه الأنهار « العابرة » . وكانت المياه في الماضي تخلق المشكلات بين الدول ، والاصطدامات بينها ، وبات لزاما على هذه المياه الآن أن توحد بينها بصلات ثابتة وقوية من الصداقة والسلام ·

ويبرز مشروع اساهان للتنمية في جزيرة سومطرة ، بين أبرز المشروعات القومية الاقتصادية في أندونيسيا · ويؤكد العلماء أن في وسع شلالات هذا النهر وجنادله ، أن تتحمل بناء خمس أو ست من محطات الطاقة الكهربية — المائية التي يبلغ مجموع طاقتها مليون كيلو واط وأن تؤمن خمسة آلاف مليون كيلو واط ساعة من الكهرباء الرخيصة الى المصانع التي تنتج الأسمدة الكيماوية ، والألومنيوم والسيلولوز والورق والسلع الأخرى التي تحتاج اليها اندونيسيا والبلاد الأخرى التي تبتاع منتجاتها .

ولقد بدىء العمل في انشاء محطة كهربية مائية في سيجورارجورا قوتها الأولية ١٢٠ ألف كيلو واط ، بمعونة الاتحاد السوفيتي على نهر اساهان . وتؤلف هذه المحطة جزءا من مشروع صناعي كبير ، اذ سيكون في امكانها تزويد الطاقة الكهربية لمصنع الألومنيوم بالاضافة الى مشروعات أخرى في سومطرة .

واذا استغلت الموارد المائية للطاقة الكهربية في اندونيسيا والمقدرة بنحو من عشرين مليون كيلو واط ، فانها تستطيع خلق المتطلبات الأولية لتصنيع واسع النطاق وتقدم زراعي في البلاد . وتؤمن المخططات والمشروعات الاقتصادية التي يجرى بحثها في اندونيسيا تنمية الصناعات المعدنية في جاوه وجنوب سومطرة ، وكاليمنتان ، وصناعة الاسمنت في شمال سومطرة ، وشرق كاليمانتان وجنوب سولاويسي ، وصناعة كيماوية في سومطرة وجاوه وغيرهما من الجزر .

وتقدم البلاد الاشتراكية معونة كبيرة الى اندونيسيا في تنمية الصناعات التي سبق ذكرها وصناعات تمت الى فروع أخرى كالبترول واستخراج الفحم وبناء السفن والمواد الغذائية والنقل .

وهناك مشروعات في سيلان قد لا تكون كبيرة للغاية ، ولكنها على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة الى اقتصاد البلاد . فلقد خلفه المستعمرون البرتغاليون والهولانديون والبريطانيون الذين تعاقبوا على

حكم الجزيرة منذ القرن السادس عشر ارثا بالغ الخطـــورة · فليست فى البلاد أية صناعة متطورة ، وهى مرغمة على اســتيراد ثلاثة أرباع حاجاتها من المواد الغذائية .

ولا تزيد مساحة الأراضى الصالحة للزراعة فى الجزيرة على ربع أراضيها ، ولذا لا يمكن تنمية الزراعة فى باقى أراضيها الجرداء ، دون تامين وسائل الرى ، ودون انشاء الخزانات لتجميع المياه التى تسقطها الأمطار أثناء الفصل المطر .

ولقد شرعت دائرة الرى فى سيلان منذ عدة سنوات فى دراسة أوضــاع الأنهــار الرئيسية فى البــلاد لاعداد المشروعات اللازمة للافادة الكاملة من موارد الأراضى والمياه بقصد زيادة انتـــاج المواد الغذائية والطاقة الكهربية . ويمكن لسد يقام على نهر مهــاويلى جانجا أن يؤمن منافع اقتصادية ضخمة . كوسيلة لايصال المياه الى المناطق المجدبة . وفى امكان هذا المشروع أن يؤمن الرى لمائة وثلاثين ألف هيكتار هنـــاك والقوة لبناء محطة كهربائية مائية ذات طاقة ٢٦٠ ألف كيلو واط · وفى امكان ميــاه النهر الآخر وهو دالاوى جانجا أن يؤمن الرى لنحو من ٤٤ الف هيكتار من الأرض لانبات الأرز والطاقة لعدد من محطات توليد الكهرباء المتوســـــطة والصـــغيرة · ولو توافرت الامكانات لأصبح فى الامكان الشروع فى عمليات تجفيف الأراضى المنخفضة فى المنـــاطق الغربية والشديدة الرطوبة فى سيلان وانشاء عدد من محطات التــوليد الكهربى الصغيرة على أنهار سيلان الأخرى الصغيرة .

وستؤدى الافادة الواسعة النطاق والشــامله من موارد الطاقة المائية فى الجزيرة ، والمقــدرة بنحو من مليــون كيلواط فى اســتصلاح مئــات الألوف من الهيكتارات من الأراضى للزراعة وتأمين مئــات الملايين من الكيلواط من الكهرباء لمتطلبات الصناعة والزراعة .

وســتعمل المشروعات للافادة الشــــاملة من الموارد المائية لنهر ايروادى وفروعه الى الاسهام أسهاما كبيرا فى تقدم بورما الاقتصــادى وسيؤدى بناء عــــدد من الجســـور وشبكة من الاقنية الى رى أكثر من مليون هيكتار من الأرض الجديدة ، ويحمى مساحات شاسعة من الأرض من الفيضانات المتكررة والمدمرة . وتكفى الطاقات المحركة المحتملة للنهر وفروعه الى ادارة محركات ذات طاقة تصل الى حدود ســتة ملايين كيلواط . وفى وسع مشروعات بورما الصناعيـــة التى قد تنشأ فى فترة اعادة بناء اقتصادها ، كما أن فى وسع زراعتها ووسائل نقلها أن تجــ

نحوا من ثلاثين مليون ألف كيلواط ساعة من القوة الكهربيـة الرخيصة فى السنة .

وتعتبر الفلبين غنية بموارد الطاقة المائية فيها ، ولكن محطات توليد الكهرباء الحرارية فى البلاد تستهلك الآن البترول المستورد . ولا يستخدم الآن سوى ثلاثمائة ألف كيلوات من طاقة محتملة تقدر بمليونين وثلاثمائة ألف كيلو واط من موارد الطـاقة الكهربية المائية فى البلاد . وفى الامكان تشييد محطـات ضخمة تكفى لاتساع البلاد على أنهار الأجنو والانجات والابلوج فى جزيرة لوزون وعلى نهرى اجوزان وبولانجى وغيرهما فى جزيرة منيداناو .

ولقد حصلت افغانستان على استقلالها منذ أمد بعيد بعد كفاح ضد المستعمرين البريطانيين . وتزداد افادة افغانستان سنة بعد اخرى من ثرواتها المعدنية التى تضـم مخزونات متنوعة وكبيرة من خامات الحديد وخامات المعادن الأخرى ولا سيما النادرة منها وموارد للطاقة المحركة ومواد أولية كيماوية ومواد بناء والكثير من المعادن الأخرى . ولقد اكتشفت مؤخرا مخزونات كبيرة من الغاز الطبيعى فى شـمال افغانستان بمساعدة الاتحاد السوفيتى، والخبراء التشيك والرومانيين. وفى الامكان اسـتخدام هذه الموارد فى تنمية انتاج الطاقة المحركة والأسمدة الكيماوية وغير ذلك من الكيماويات اللازمة لاقتصاد البلاد . وتم البحث فى عدة مناطق يعتقد انها تضم مخزونات بترولية كبيرة .

ويقدم الاتحاد السوفيتى المعونة لافغانستان فى مجال عملية تنظيم استخراج الجاز الطبيعى فى المستقبل القريب . وتقدر هذه المخزونات بنحو من خمسين مليون متر مكعب . وستصدر افغانستان الفائض من الغاز الى جمهوريات أواسط آسيا عن طريق أنابيب للغاز تربط بين أماكن استخراجه وبين الحدود السوفيتية الافغانستانية .

وتستند أفغانستان الى التجـارب القيمة والمعونة الكبيرة للاتحاد السوفياتى فى الافادة من موارد طاقتها المائية وشق الطرق الرئيسـية وتنمية صناعتها القومية وتدريب اخصائييها . ولقـد قامت بانشاء قناة جلال اباد للرى ، وهى القناة التى استصلحت ثلاثين ألف هيـكتار من الأرض للأغراض الزراعية . ولقد شقت طريقـا رئيسيا طولها أكثر من مائة كيلومتر فى جبال هندوكوش ، كمـا بنيت أو تبنى مشروعات عدة مفيدة لتطوير الاقتصاد الافغانى وتنميته .

ويتميز نهر باياندزه ، الذى يمثل شريان المياه الرئيسى فى هضبة البامير التى تسمى «سقف العالم» ، موارد طاقة مائية – كهربية هائلة . وتؤلف الضـــفة اليمنى للنهر الذى يمتد ٩٠٠ كيلو متر أرضا سوفياتية فى حين تكون الضفة اليسرى فى أفغانستان . وكانت طرق القوافل تلتقى هنا فى وادى فاخان عند الحوض الاعلى لنهر باياندزه . قادمة من الشرق والغرب ، فى مستهل العصر الذى نعيش فيه . وكان التجـــار والحجاج المسافرون الى الهند وتركستان والصين والتبت ، وبلاد الشرق الأوسط يعبرون وادى فاخان . ولقد ظلت هذه المنطقة لقرون عدة مصدر النزاع بين الامبراطوريات المتغيرة كامبراطورية الكوشانيين العظمى والخـلافة العربية فى الغـــرب ، والخانان والصين والتيبت تحت حكم أسرة ثان فى الشرق .

ولكن ضفاف نهر باياندزه تشهد الآن عصرا جديدا . فلقد اضحت المنطقة الآن مسرحا لتعاون واسع النطاق بين دولتى الاتحـاد السوفياتى وأفغانستان الصديقتين . وتصل احتمالات الطاقة المائية الكهربية للنهر نحوا من مائة ألف مليون كيلو واط ساعة فى السنة أى ما يعادل مجموع الطاقة الكهربية المولدة فى عام ١٩٦٣ من محطـــــات الكهرباء فى ايطاليا وبلجيكا والدانيمارك معا . ويقدر الخبراء أن فى الامكان اقامة مشروعات هندسية مائية تضم محطات لتوليد الطاقة تبلغ قدرتها خمسة عشر مليون كيلو واط على نهر بياندزه ورى ما يزيد على نصف مليون هيكتار من الأرض فى شمال أفغانســــتان . وستفيد جمهوريات آســيا الوسطى السوفياتية بالاضافة الى أفغانستان افادة كبيرة من استغلال الطاقة المائية للنهر. وستساعد هذه الطاقة تلك الجمهوريات فى سد متطلباتها المتزايدة باستمرار من الطاقة الكهربية والماء نتيجة التنمية السريعة فى اقتصادها.

واتفقت حكومتا أفغانستان والاتحـاد الســـوفياتى على وضع خطة مشتركة لبرنامج يقضى باســـتغلال موارد المياه والطـاقة الكهربية لنهر بياندزه ونهـــر آموداريا اللذين يقعان على الحدود . ولاشك فى ان نموذج التعاون السوفياتى – الافغانى المتكافىء يبين المبادىء التى يمكن أن تقوم عليها العلاقات بين الدول فى عصرنا الحاضر لمصلحة الســلام والتقدم ، والتى تنهى الارث الاستعمارى الخطير ، وتعزز الاستقلال القومى .

والآن لننتقل الى الشرق الاوسط . وتعتبر خوزستان (الاهواز) من أغنى المناطق وأكثرها خصبا فى ايران . ويسكنها أكثر من مليونين ونصف المليون من الناس ، كما توجد فيها جميـع مخزونات ايران من البترول

والغاز الطبيعى ومحطة لتكرير البترول فى عبدان ، وأهم موانىء البلاد البحرية • وكانت الاهواز فى الازمنة القديمة منطقة زراعية ترويها المياه• أما الآن فقد تحولت الى منطقة بعضها الفقر بنابه . وتقول الاحصاءات الرسمية ان ستين فى المائة من أهل الاهواز يعانون من السل • وأصبح شطر كبير من الارض فيها مجدبا قاحلا وهجره أهله بسبب العجز فى أساليب الرى ، وكثرة الفيضانات المتكررة ، كما أن الأراضى المزروعة لا تقدم الا محاصيل خفيفة •

والبترول هو الثروة الطبيعية الوحيدة التى تستخرج من هذه المنطقة • ولكنه لا يستغل لمصلحة ايران وشعبها • ولا يتعدى الحد الاقصى للتكلفة فى انتاج البترول الخام من آبار الاهواز دولارا ونصف الدولار ، فى حين يصل سعر البيع ستة وعشرين دولارا للطن الواحد فى أوروبا الغربية • وتسرق الشركات البترولية الكبيرة الشعب «كالمنشار» جيئة وذهابا ، أى عند استخراجه ومبيعه • ولقد حصلت الاحتكارات البترولية الامريكية والبريطانية وغيرها منذ أنشيء الاتحاد البترولى العالمى قبل سبع سنوات على أرباح من ايران بلغت حدود ٣٥٠٠ مليون دولار• يضاف الى هذا ان مشروعات تكرير البترول هناك لا تتطور ، لان الاحتكارات تحصل على أجزى الأرباح من تصدير خامات البترول • وتسير الصناعات الكيماوية فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وهولندة فى طريق التنمية السريعة اعتمادا على بترول ايران وغيرها من بلاد الشرق الاوسط •

وتعتبر الاهواز من أكثر المناطق فى الشرق الاوسط صلاحا للتنمية فهناك بالاضافة الى البترول والغاز ، أكبر موارد الطاقة المالية ، واليد العاملة الفنية والوضع الجغرافى المواتى والصالح لتنمية صناعة تكرير البترول والكيمياء العضوية ، والمعادن الكهربية وغيرها من الصناعات • وتظهر الاحتمالات الصناعية الضخمة فى الاهواز فى المشروعات التى تم وضعها للتنمية الاقتصادية القومية الشاملة ، لمواردها القومية فى نهاية الخمسينات والتى أشرف عليها الخبراء الايرانيون وأولئك الذين يمتون الى المؤسسات والمنظمات الدولية • ويقضى المشروع باقامة ١٤ سدا كبيرا ويروى مليون هيكتار من الارض الخصبة ، وانشاء عدة محطات لتوليد الكهربا تبلغ طاقتها فى مجموعها ٦٫٦٠٠٫٠٠٠ كيلو واط وبينها واحدة طاقتها ١٫٢٠٠٫٠٠٠ كيلو واط•وستتولى منشئات الطاقة المائية الهندسية حماية المنطقة من الفيضانات وتهيئة الاوضاع اللازمة للحماية النهرية ولا سيما فى نهر قارون بطوله حتى الاهواز ، التى تمثل المركز الصناعى الرئيسى فى المنطقة • ويقضى المشروع أيضا باقامة عدة محطات كهربية

حرارية تعمل بالغاز الطبيعي ويبلغ مجموع طاقتها نحوا من ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلوواط ٠

وتتميز بلاد الشرق الاوسط بثرائها الوافر بالبترول ، وتؤلف المخزونات المعروفة لهذه المنطقة خمسة وعشرين ألف مليون طن تمثل نحوا من ستين في المائة من جميع المخزون الاحتياطي فيالعالم الرأسمالي٠ ومع ذلك فان الوضع لا يعدو ما ذكرته احدى الصحف الايرانية عندما قالت « يرى المراقب صورتين متناقضتين في وقت واحد ، وهما صورة ينابيع الذهب الأسود ، وصورة الأزقة الضيقة القذرة التي تعج بمئات الالوف من الحفاة والعراة والمرضى والجياع » ٠

وتشتعل مئات المشاعل فوق الرمال والاراضي الحاملة للبترول في ايران والعراق ، وبلاد الجزيرة العربية ٠ وتشتعل ألوف الملايين من الامتار المكعبة من الغاز الطبيعي ويصعد لهيبها الى السماء ٠ وفي وسع الغاز الطبيعي أن يؤمن الاساس لصناعة كيماوية متنوعة تنتج البلاستيك والبوليثيلين والنسيج الصناعي للملابس والاحذية ومواد البناء والاسمدة الكيماوية والعقاقير الطبية ٠

وكان نهرا دجلة والفرات اللذان ورد ذكرهما في التوراة ، واللذان يمران في العراق وسوريا وتركيا ، يؤمنان الغذاء في العهد القديم للامبراطورية الرومانية كلها ٠ وكانت بلاد ما بين النهرين تمثل صومعة الغلال للعالم القديم كله ٠ وكان هذا يمثل الواقع قبل أنيقوم المستعمرون بتدمير أنظمة الري القديمة هناك ٠ أما الآن فقد أعدت المشروعات الجديدة للسيطرة سيطرة شاملة على نهري دجلة والفرات وأشرف على اعدادها الاخصائيون من العراق والاتحاد السوفياتي وغيرهما من البلاد ٠

ويقدر الخبراء أن في الامكان اقامة منشئات ضخمة للطاقة الكهربية المائية في العراق في منطقة حديثة على الفرات والموصل على دجلة ، وحفر أقنية كبيرة وأجهزة للري والصرف ، والقيام باجراءات أخرى لتطوير الزراعة تضم تلك التي تعمل على تنمية الزراعة لضمان الاستقرار للفلاحين الجياع في المناطق المروية حديثا ، والتنمية لوسائل النقل وشبكاته ٠ واعادة بناء الاسطول التجاري النهري وغيرها ٠

وسيكون في قدرة هذه المنشئات الهندسية المائية وحدها أن تضمن الري لنحو من أربعة ملايين هكتار في حوض النهرين ، في حين لا تزيد مساحة المنطقة المروية الآن على مليوني هكتار ٠ ويتطلب المشروع الذي

يضم انشاء عدة محطات لتوليد الطاقة الكهربية يبلغ مجموع طاقاتها نحوا من ٣٠٠ر١ ٠٠٠ر١ كيلو واط استثمارات تقدر بنحو من ١٤٠٠ مليون دولار ٠

وتم فى سوريا اعداد مشروع بناء سد الفرات على النهر الذى يحمل هذا الاسم ٠ ويرمى المشروع الى اقامة محطة توليد للكهربا قوتها اربعمائة ألف كيلو واط وهو رقم يعادل ضعفى القوة الكهربية الموجودة فى سوريا فى الوقت الحاضر ، وانشاء شبكة لخطوط تحويل الضغط العالى ، وشبكة للرى تكفى لستمائة ألف هكتار يؤدى الى مضاعفة المساحات المروية في البلاد ٠ ويقدر الخبراء السوريون أن تنفيذ المشروع سيزيد الدخل القومى فى البلاد بنسبة ٢٥ فى المائة تقريبا ٠ ولقد شرعت المؤسسات الصناعية فى ألمانيا الاتحادية وحكومتها فى محادثات مع سوريا فى عام ١٩٥٨ ووصلت الى اتفاق معها يقضى بمدها بالمعونة المالية والتقنية لتنفيذ الشطر الاول من المشروع ٠ ولكن ألمانيا الغربية عادت فألغت هذا الاتفاق فى مستهل عام ١٩٦٥ ، دون أن تبذل مجهودا لتنفيذه ٠

وسيمد الاتحاد السوفياتى سوريا بالعون لبناء سد ومحطة لتوليد الطاقة الكهربية المائية على نهر الفرات على غرار مشروع السد العالى فى أسوان ٠ وتقيم المنشئات التى تجرى فى أسوان الدليل على ان التعاون مع الدول الاشتراكية يعتبر مهما للغاية لتنمية البلاد التى تسير فى طريق الاستقلال والتقدم ٠

ولم تجر أية محاولات عملية فى تركيا للافادة من مياه الفرات حتى اليوم ، ويقول الخبراء ان فى الامكان انشاء محطات كهربية على النهر تقدم طاقة مجموعها ٥٠٠ر٣ ٠٠٠ر٠ كيلو واط ٠ وهناك مشروع لبناء محطة كيبان الكهربية المائية على الفرات ، على بعد ثمانية كيلومترات من لقاء نهرى مرات وكراسو ٠ وستكون طاقة المحطة ١٠٠ر١ ٠٠٠ر٠ كيلو واط وتولد ٥٦٠٠ مليون كيلو واط ساعة من الكهربا فى السنة ٠ وستكلف اقامة سد كيبان نحوا من ٤٥٠ مليون دولار ، ويؤدى الى استصلاح مناطق زراعية كبيرة فى جنوب البلاد وريها بالمياه ، كما ان المحطة الكهربية ستمثل الاساس لتطوير الصناعة وتنميتها ٠

ولم تتجاوز معظم البرامج الاقتصادية والتقنية التى ذكرناها هنا مرحلة المخططات على الورق ، أو الافتراضات من جانب المهندسين والتقنيين • ولكن هناك مشروعات فردية تم الشروع فيها بفضل بعض الظروف المواتية • ولا شك فى أن الافتقار الى الوسائل هو السبب الرئيسى فى هذا التقاعس ، وكذلك السياسات التى اتبعها الاستعماران القديم والجديد ، والتى هدفت الى الابقاء على بلاد كثيرة فى آسيا فىهاوية التخلف ، بالاضافة الى التناقضات والحروب بين الدول الاستعمارية نفسها • ويبتلع سباق التسلح ، سيلانا مستمرا من المال ، وكأنه هاوية لا قرار لها ، كما تبتلع هذه الاموال صور الحروب «الباردة» و «الحامية» أحيانا • وهذه هى ثمار السياسات العسكرية والامبريالية •

٥ التطلعات الاقتصادية فى إفريقية

تعتبر القـارة الأفريقية من أغنى المنـاطق فى العـالم فى مواردها الطبيعيـة · ولكن نظرا للمستوى الخفيض لمعدل الانتـاج والاستهلاك الفردى . يطلق على أفريقية اسم قارة المجـاعة أو قارة التربة الميتة . ولا شك فى أن كبح جماح تنمية هذه القارة التى قدر لشعوبها أن تهـدد بالفناء على أيدى المسـتعمرين يعتبر من أخطر الجرائم التى ارتكبتهـا الامبريالية .

فلقد انتجت افريقية فى عام ١٩٥٨ نحوا من ١٠ الى ١٥ فى المـائة من خامات الصفيح والزنك والرصاص فى العـالم الرأسمالى وربع انتاج هذا العالم من خامات النحاس وخمس انتاجه من الاسبيستوس وأكثر من ثلث انتاجه من الفوسفات ، ومن خمس انتاج خامات الكروم والمنجنيز ، ومن نصف انتـاج الانتيمونى وثلاثة أخماس الذهب والكوبلت ومن تسعة أعشار انتاج العالم الرأسمالى من الماس .

ولم تستهلك افريقية نفسها الا جزءا ضئيلا للغاية من هذه المنتجات التى ابتزتها الولايات المتحدة والدول المتقدمة فى أوروبا الغربية · وتعتبر هذه الحقيقة دليلا واضحا على افادة جانب واحـد افادة غير عادية من مـوارد افريقية الطبيعية ، والطبيعة الطفيلية للتجزئة الدولية للعمـالة فى العالم الرأسمالى ، والحاجة الماسة الى احداث تبدلات جذرية فى هذا الوضع ·

ومع ذلك فان ثروات افريقية ما زالت حتى الآن غير مستعملة على نطاق واسع لمصلحة أهلها · أن تبتز ثروات القارة فى المواد الأولية المعدنية وانتاجها الزراعى الثمين ، كالفول السودانى فى السنغال والقنب فى بلاد افريقية الشرقية ، وحبوب الكاكاو فى غانا وغيرها ·

ولقد أصبح من المألوف الآن الحديث فى الغرب ، كما كانت العادة قائمة فى نهاية القرن التاسع عشر عن استخراج الثروات المفتقرة الى التنمية فى أفريقية . ولكن الحديث لا يكفى ، لدفع القارة الأفريقية فى طريق الحضارة العصرية والتنمية الاقتصادية · فهذا يتطلب مشروعات مهمة واسعةالنطاق وثورة اقتصادية وعلمية وصناعية فعلية ، تفيد منها شعوب افريقية وشعوب القارات الأخرى من العالم فعلا · ومن الضرورى لتحقيق التقدم الفعلى فى أفريقيا أن نطرح الموضوع على صعيد رفيع ، والا نخوض أو نغوص فى غياهب المخططات الصغيرة والحجج الجوفاء . ولكن المستعمرين وأعوانهم فى القارة الافريقية يأملون فى مواصلة ابتزاز الأرباح الضخمة عن طريق الصفقات التى تعقد مع المجموعات صاحبة الامتياز من النبلاء المحليين ·

ويعتقد العلماء ان فى افريقية خمس أو ست مناطق رئيسية لتوليد الطاقة المحركة وتحقيق التنمية الصناعية والزراعية ، التى تصلح كأساس لتحول القارة فى فترة زمنية قصيرة ، ودفعها الى مستوى يقرب من مستوى البلاد الأوروبية الغربية النامية · وهذه المناطق هى كما يلى ···

تقع المنطقة الأولى فى حوض نهر النيل الذى لعب فى وقت ما دورا رئيسيا وكبيرا فى تاريخ الحضارة الانسانية · ويقوم شعب جمهورية مصر العربية بمعونة من الاتحاد السوفياتى باقامة السد العالى فى أسون على النيل ، الذى يولد طاقة كهربية تقدر بنحو من ٢ر١٠٠ر٠٠٠ كيلو واط ، وهى أكبر طاقة من نوعها فى افريقية ·

وكان الناس يحلمون دائما بتطويع النيل . وعثر علماء الآثار على بقايا أقدم سد فى التاريخ ، وهم يقولون انه قد أقيم قبل نحو من ثلاثة آلاف عام · ولكن مصر المتحررة الآن والتى تسير فى طريق التنمية غير الراسمالية باتت قادرة على الشروع فى تطويع النهر العظيم .

وتحول مجرى النيل عند أسوان فى الرابع عشر من مايو من عام ١٩٦٤ الى مجرى جديد ، وأشار هذا التطور الى أستكمال المرحلة الاولى

في بناء السد · وتعتبر أسوان رائدة المستقبل لتصنيع افريقية وكهربتها· وتولد محطــة كهرباء الســـد العالى قوة كهربية تعادل ضعف ما تولده جميع محطـــات توليد الكهرباء في مصر الآن ، وبتكلفة تهبط الى عشر التكلفة السابقة · وأخذ أكبر خزان للمــاء في العــالم في الظهــور في صحراء النوبة · وكان الفلاحون المصريون والســـودانيون يستخدمون حتى الآن ٥٢ ألف مليون متر مكعب من الأمتار من مياه النيل سنويا في ري حقولهم ، وسيؤمن خزان أسون الجديد ٨٤ ألف مليون متر مكعب أخرى في السنة لأعمال الري · وسيؤدى هـــذا الى زيادة المناطق المزروعة في جمهورية مصر العربية بنسبة الثلث ، والى رفع الدخل الزراعي بنســبة الضعف · وسيضيف مشروع السد في مجموعه نحوا من ٢٣٤ مليون جنيه مصرى الى الدخل القومي في جمهورية مصر العربية سنويا أو نحـــوا من نصف الانتاج القومي لمصر قبل الثورة · وسيسدد المشروع جميع النفقات التي صرفت عليه في مدة سنتين بعد تنفيذه ·

ولقد درب الألوف من المصريين على مختلف المهن في مشروع انشــاء السد العالى في مصر ، الذى بات مركزا لتدريب العمال الفنيين ·

وكانت الانتصارات التي تحققت على نهر النيل نتيجة الارادة الثورية للشعب المصرى وعزيمته على النضـــال من أجل مستقبل أفضـــل ونتيجة المعونة الأخوية للاتحاد السوفياتي · ولم يكن الامبرياليون الذين رفضوا تمويل عملية بناء السد العالى ، يقدرون أن في الامكان تحويل مجرى النيل بمثل هذه السرعة الى مجراه الجديد · وكان المنطق الذى اســتند اليه جون فوســــتر دالاس في منتهى البســـاطة · وهو أن العرب لا يملكون الأموال أو الاخصائيين للقيام بمثل هذا المشروع العظيم · وكتبت مرجريتا هيجنينر الصحفية الأمريكية من القاهرة في عام ١٩٦٤ تقول : ان ســـوء تقدير دالاس جعل الانتصار السوفياتي أكثر بروزا وأهمية فلم يحقق الروس عملا رائعا فحسب يظهر براعة مهندسيهم فقط ، وانما أقنعوا كل انسان أن في وسعهم أن يكملوا أقامة الســـد كله بنفس البراعة التي تم فيها انجاز المرحلة الأولى ·

وتؤمن أسوان حافزا جديدا للحياة الاقتصـــادية كلها في جمهورية مصر العربية · وتســـير عمليات الكهربة على قدم وساق ، وشرعت البلاد في اقامة مائة مشروع صناعي منهـا الكثير من المشروعات التي تضـــع الأساس لاقامة فروع صناعية جديدة · وسيستكمل بناء السد العالى في مدة الخطة الخمسية الثـــانية للتنمية الصناعيـــة أى بين عامى ١٩٦٥

و ١٩٧٠ . وسينتهى العمل فى محطة كهرباء السد ، بالاضافة الى استكمال عدد من المشروعات الضخمة الجديدة . وسيقدم الاتحاد السوفياتى المعونة الاقتصادية والتقنية لاتمام انشاء مجمع جديد للحديد والصلب ، طاقته الانتاجية مليون طن . وسيضم هذا المشروع مصنعا لتقوية الحديد ومصنعا آخر للصهر ، وفرنا لانتاج الصلب ، وآخر لانتاج القضبان وسيتم انشاء مصنع ثقيل لانتاج المواد الهندسية ، ومحطة للكهرباء الحرارية وأخرى للكهرباء المائية . ويمكن القول ان أسوان غدت الآن نواة مجمع صناعى ضخم سيصبح الأساس للاستقلال الاقتصادى لجمهورية مصر العربية .

ولكن هذا لا يعتبر كل شيء فلقد قال الرئيس الراحل عبد الناصر : ان هذا السد يجسد النضال من أجل التحرر من لاستعمار فى جميع صوره وأشكاله .. كما ان السد العالى يقدم المثل الرائع على ما تستطيع الشعوب الصغيرة أن تحققه ، وعلى ما تحلم به هذه الشعوب من تطلعات جريئة وقدرتها على تحويلها الى واقع .

ولكن أسوان ليست فى الواقع على أى حال الا بداية لتسخير النيل والافادة منه . فهناك مخططات توضع للافادة من موارد الطاقة المائية للنهر فى توليد الكهرباء فى مصر فى الحوض الأوسط للنهر من أسوان الى القاهرة حيث يمكن اقامة عدة محطات لتوليد الطاقة الكهربية المائية بحيث يبلغ مجموع طاقتها نحوا من ٦٥٠ر٠٠٠ كيلو واط . ويرى هارولد هيرست ، المهندس الكهربى البريطانى الذى جعل من جمهورية مصر العربية وطنا له أقام فيه سنوات طويلة يدرس حوض النيل أن فى الامكان اقامة عدة محطات صغيره على فروع النيل ، وأخرى كبيرة لتوليد الكهربا على النيل العريض . وفى الامكان استخدام بحيرات فيكتوريا والبرت ، وزودلف وتانا كخزانات طبيعية لتنظيم مجرى النيل .

ويرى الأستاذ كومزى الخبير السوفياتى البارز فى توليد الكهرباء ورئيس المستشارين السابق لمشروع السد العالى ، أن فى الامكان اقامة مجموعة ضخمة فى حوض النيل ولا سيما فى أعاليه من مؤسسات الطاقة الكهربية الهندسية التى يبلغ مجموع طاقتها عشرة ملايين كيلو واط . وتمكن هذه المشروعات جمهورية مصر العربية والسودان والحبشة وأوغندة وكينيا من رى سته ملايين هكتار اضافى من الأرض ، وزراعتها بالقطن والأرز وغيرهما من المحاصيل الغالية الثمن واقامة عدد من مشروعات الصناعات الكيماوية والهندسية ومصانع النسيج وتكرير الزيت والمواد الغذائية .

وهناك تفكير في استخدام مياه ما يسمى بالنيـــل الجوفى الذى يجرى على عمق كيلو مترين تقريبا من قعر النيل المرئى ، والذى يقـــدر مجموع ما يحمله من المياه سنويا بنحو تسعة آلاف مليون متر مكعب من الماء • ويمكن استخدام نحو من ثلث هذه المياه في المستقبل فى رى دلتا النيل عن طريق استعمال المضخات الضخمة . واكتشف الخبراء المصريون فى واحات الصحراء الغربية نهرا جوفيا ضخما آخر ، يمكن اســـتخدام مياهه بمعونة القوة الكهربية التى ولدها السد العالى فى شق شبكة من أقنية الرى • ولكن هذا المشروع بالرغم من الشروع فيه ، وكذلك مشروع تأمين الماء لمنخفض القطارة الواسع فى مياه البحر الأبيض المتوسط الذى وضعه الأستاذ الايطالى زانو بيبنى ، ومشروعات استخدام التربة المالحة الواسعة فى دلتا النيل عن طريق استعمال وسائل الضخ العصرية تمثل كلها ولاشك تطلعات للمستقبل البعيد • ونحن لا نعددها هنا الا لنظهر الآمال الرائعة التى أصبحت ممكنة بفضـــل العلم الحـــديث والهندســـة العصرية •

وفى الامكان تنمية المركز الثـــانى الصناعى الضخم والمســـتند الى الكهرباء فى افريقية ، عن طريق تنفيذ البرنامج الاقتصـــادى الكبير لنزع الســـلاح ، على أســـاس الموارد الضخمة للصحراء الكبرى من البترول والغاز الطبيعى ضمن حدود الجزائر وليبيا والمقـــدرة بنحـــو من مليونى مليون من الأمتار المكعبة من الغـــاز وعدة ألوف الأطنـــان من البترول ، الذى اكتشف منه حتى الآن ١٤٠٠ مليون طن من المخزونات .

واكتشفت مخزونات ضخمة من البترول فى ليبيا فى النصف الأخير من عام ١٩٥٩ • ويتميز هذا البترول بانه قريب من شاطىء البحر ، وانه من نوع ممتاز للغاية . وتقدر مخزونات البترول فى ليبيا بعدة ألوف الملايين من الأطنان اكتشف منها حتى الآن نحو من ســـتمائة مليون طن فقط • وحصلت اثنتان وعشرون شركة من شركات الولايات المتحـــدة وألمانيا الغربية وبريطانيا وغيرها على امتيازات للتنقيب عن البترول فى ستين فى المائة من مجموع مساحة البلاد • وتمضى الارباح الضـــخمة الناتجة عن استغلال آبار زيلتا التى تعتبر من أغنى مناطق ليبيا فى مخزونات البترول الى خزائن شركة «جيرس ستاندارد» الامريكية التى تعمـــل عن طريق الشركتين المتفرعتين عنهـــا وهما شركة « ايسو ستاندارد ليبيا » وشركة « ايسو سيرتا » • وهناك احتكار آمريكى آخر للبترول يســـمى « شركة بترول الواحات فى ليبيا » ، وقد سيطر على مخزونات ضخمة استخرج

منها فى عام ١٩٦٤ ، أكثر من خمسة عشر ألف طن من البترول من مجموع ما استخرج من ليبيا كلها وهو ٣٧ مليون طن ٠

ولقد مثل هذا الوضع خطرا يهدد استقلال ليبيا وسيادتها لا سيما وأن هناك قاعدة أمريكية رئيسية فى البلاد(١) ٠ وتؤدى اقامة عدة محطات لتوليد الطاقة الكهربية فى ليبيا ، ومصانع للصناعات البترولية ـ الكيماوية ، الى توفير المتطلبات الاولية لتنمية صناعة واسعة النطاق فى ليبيا نفسها وتوفير المياه اللازمة لمساحات شاسعة من الاراضى ٠ وتعتبر المساحات الواسعة فى القسم الشمالى من الصحراء الليبية غنية بالبترول للغاية ، ولذا يمكن اعتماد هذه الحقيقة أساسا لتعاون اقتصادى واسع بين ليبيا وجمهورية مصر العربية ٠

واكتشفت مخزونات كبيرة من البترول والغاز الطبيعى فى الجزائر قبل اكتشاف المخزونات الليبية ، لكن الاكتشافات المهمة لم تتحقق الا فى غضون السنوات الخمس أو العشر الاخيرة ٠ ويعتبر البترول الجزائرى من أجود الانواع على المستوى العالمى ٠ وهو قريب للغاية من البلاد المستهلكة للبترول ، ولذا فان استخراجه يسير فى طريق التصاعد السريع ٠

ويرتبط جميع البترول المستخرج من الصحراء الكبرى بالغاز الطبيعى ، ولكن معظم هذا الغاز مازال حتى اليوم ، وعلى شواطىء البحر المتوسط كله ، يضيع عن طريق احراقه لهبا ٠

وكانت عمليات التنقيب عن البترول فى الجزائر قبل استقلالها وكذلك استغلاله تتم عن طريق الشركات الفرنسية فى غالبها ، بعد أن حصلت هذه الشركات على امتيازاتها من الحكومة الفرنسية ٠ وكانت الخطط الموضوعة فى السابق تقضى بنقل البترول المستخرج عبر أنابيبه الى موانىء البحر الابيض فى تونس والجزائر ، حيث كان يتم تكرير شطر صغير منه ، ثم يصدر الشطر الرئيسى كبترول خام الى فرنسا وغيرها من بلاد أوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا ٠

وليست الاهداف التى تتوخاها الاحتكارات الغربية الكبرى من

---

(١) حققت الثورة الليبية على الحكم هناك ، خطوة مهمة وكبرى فى ازالة هذا الخطر، وتأمين حرية البلاد من الاستغلال والسيطرة الأجنبية ٠ ولاشك فى أن الثورة التى حددت أهدافها فى الاشتراكية والحرية والوحدة ، ستسير فى طريق استخدام ثروات الشعب الليبى فى تأمين مصالحه وخدمة أهدافه ٠ ـ المعرب ـ

مشروعاتها الرامية الى مد أنابيب ضـخمة للبترول والغـاز الطبيعى من الصحراء الكبرى الى أوروبا الغربية عبر قعر البحر الأبيض المتوسـط بالشيء الغامض أو الخفى . فلقد جرى البحث عميقا وباهتمام عن أكثر الاساليب فائدة فى نقل الجاز الجزائرى الى بلاد أوروبا الغربية عن طريق تحويله الى سائل ونقله بطريق البحر فى مراكب معدة لهذه الغاية بوجه خاص ، وباقامة محطات ضخمة لتوليد الطاقة فى مدن الجزائر الساحلية لنقلها الى أوروبا وغير ذلك من الوسائل .

ولم تكن المشروعات التى أعدت فى الماضى كلها . تعنى بوجه خاص بتنمية بلاد افريقية الشمالية اقتصاديا ، كما لم تكن لتعنى بأن يستخدم العرب وهم أصحاب هذه الثروة القومية ثرواتهم .

ونحن نواجه مشكلة عدم التكافؤ الى حد ما فى مختلف البلاد المنتجة للبترول فى العالم ، كليبيا والعراق والـكويت وفنزويلا ، وهى مشكلة تزداد حدة فى الكثير من البـلاد المستقلة فى آسـيا وافريقية وأمريكا اللاتينية ولا سـيما تلك التى تنـاضل ضد صـور الاستعمار قديمها وجديدها . فعندما تستثمر رءوس الاموال الاجنبية على سبيل المثال فى مناجم الحديد فى السويد ، تظل السويد سيدة هذه المنـاجم ، وتكون جميع عمليات رأس المال الاجنبى خاضعة للقانون السويدى . ولعل هذا هو السبب الذى يجعل كل عائدات السـويد من خامات الحـديد تحت تصرفها . ولكن الوضع يختلف بالنسبة الى ليبيا أو ايران أو الكويت أو فنزويلا . فهذه البلاد لا تتصرف بنفسها بثروتهـا القومية الطبيعية من البترول والغاز الطبيعى ، كمـا انها لا تقـرر أوضـاع الانتاج وحجم التصدير وأوضاع بيـع الثروات المستخلصة من آراضيها . وأصبحت الاحتكارات الاجنبية التى تجد الحماية من خيط طويل من الضمانات فى شكل « اتفاقات » مكتوبة أو غير مكتوبة ، وكذلك من القوة الاقتصـادية الهائلة لرءوس الأموال الدولية الكبيرة ، هى المالكة الفعلية لثروات هذه البلاد . ولا شك فى أن الاحتكارات البترولية الكبيرة هى التجسيد الفعلى للاستعمار فى الاقتصاد الرأسمالى العـالمى . وترقب هـذه الاحتكارات بشكل دقيق الوضع لكيلا يقوم . أى تدخل فى شـئونها «البترولية» الداخلية ، من جانب الدول التى تملك البترول وذات السيادة كفنزويلا وليبيا .

ولا ريب فى ان هذين المستويين للعدل والقـانون فى العلاقات بين الدول يعتبران تعبيرا مبـاشرا عن الصورة الاستعمارية . فليبيا وايران

والسويد دول متساوية في استقلالها في ظل القانون الدولي ، وان اختلف وضعها الفعلي في العالم الامبريالي .

ويكون ضخ البترول من أفريقية الى أوروبا بالطبع في صورة عمليات تجارية . ولكن يجب أن تنـال البـلاد المنتجة للبترول ، على انتاجها ما تستحقه كدول متساوية ، لا في الصورة التي تحصل فيهـا ايران أو العراق أو ليبيا على ما تأخذه كعـائد من بترولها . ويجب أن تنال هذه البلاد أسعارا منصفة على بترولهـا وموادها الأولية الاخرى ، وأن يكون ما تناله متكافئا تكافؤا كاملا مع حقـوقها كشريكان على نفس المستوى مع الدول المستغلة للبترول . وقد يكون هناك من يقول ان مثل هذا الاجراء سيرفع من أسعار المواد الاولية ولكن الاسـعار قد تبقى على حالها ، اذا حرمت الاحتكارات الكبرى من شطر من أرباحها الاسطورية .

ومن الواضح ان المزيد في تنمية صناعة البترول والغاز الطبيعي في ظل الاوضاع الراهنة في ليبيا(١) لن يؤثر والى حد محدود أيضا الا على اقتصاد بعض المدن الساحلية وبعض المناطق الصغيرة في داخل البلاد ، ولن تحدث الا تبدلا يكاد يكون غير ملموس في اقتصاد البلاد كلها ، وذلك لان الشطر الاكبر من دخل البـلاد ، سيتعرض الى الابتزاز دون مكافأة معادلة .

وليس هناك في ليبيا حتى الآن الا معمـل واحد لتكرير البترول . ولا يهم الاحتكارات البترولية أن تقيم معامل التكرير هناك ، اذ ان تكاليف نقل البترول الليبي الى أوروبا الغربية وبريطانيا بالذات لا تعدو نصف تكاليف نقـله من منـاطق الخليج . ولكن لو عاملت الشركات البترولية الغربية ليبيا كبلد على قدم المساواة ، وعلى النحو الذي تعامل به السويد أو فرنسا ، فانها أي ليبيا ستقيم صناعاتها الوطنية الخاصة بها ، وتخلق تحولا كبيرا في زراعتها على أساس الثروة التي تملكها وبالتعاون مع البلاد الاخرى .

وفي الامكان اقامة محطات ضخمة لتوليد الطاقة من الغاز الطبيعي ، ومشروعات هندسية وصناعية معدنية ، بينها تلك التي تنتج الجرارات ووسائل النقل العصرية على مقربة من المدن الكبرى ، في البـلاد المنتجة للبترول . وفي وسع الطـاقة الكهربية والصناعات الكيماوية أن تحول الزراعة تحويلا جذريا ، عن طريق زيادة انتاج الأسمدة الكيماوية واقامة

---

(١) ستتغير هذه الصورة بالطبع بعد الثورة الليبية التقدمية الناجحة .

المضخات الضخمة ، وشق وسائل الرى الكبيرة . وفى الامكان الافادة من الغـــازات الطبيعية والمنقولة بالأنابيب فى صناعة الأنسجة الصــــناعية والاسبتليين وحامض الكبريتيك وغير ذلك من المنتجات الكيماوية . وفى الامكان أيضا تصدير شطر من البترول والغاز والقـوة الكهربية الى بلاد أوروبا الغربية والى البلاد المجاورة فى افريقية وآسيا . ولا ريب فى ان هذا كله يبين ان القضاء على التخلف الاقتصادى مرتبط ارتباطا وثيقا مع واجب القضاء على الاستعمار قضاء كاملا فى مختلف صوره وأشكاله .

ولقد حال الافتقـــار الى الموارد المالية منذ أمد طويل دون تحقيق مشروع مد سكة حديدية عبر الصحراء الكبرى تربط كولومب ببشار فى الجزائر مع باماكو فى الجنوب . ولقد ظهرت هذه الفـــكرة للمرة الاولى قبل نحو من مائة عـــام . ولقـد أجريت دراسات واسعة النطاق لهـذا المشروع ، وكان فى رأى الاخصـائيين ان تنفيـــذه لا ينطوى من الناحية التقنية على أية صعوبات كبيرة ، وان فى الامكان استعادة الاستثمارات فى وقت قصير للغاية . ولكن بعض الاخصائيين «المعنيين» ، ذكروا ان الفترة الاولى لن تؤمن أرباحا عالية تكفى لاجتذاب الاستثمارات من رءوس الاموال الخاصة . ولعل هذا هو السبب الذى أدى الى بقاء مشروعات مد السكة الحـديدية عبر الصـــحراء دون تنفيذ ، وان كانت هذه السكة ستسمح بتنمية مساحات شاسعة وغنية اقتصاديا ، وستكون ذات أهمية ضـخمة بالنســـبة الى غرب الجزائر واقتصـــاد كل من مالى ، والفولتا العليـا ، والنيجر ، بالاضافة الى ما ستؤدى اليه من اقامة عـلاقات وثقى وتثبيتها بين الدول الافريقية المستقلة . ومازال الانتقال من بلد افريقى الى بلد آخر . أو الاتصــــال الهاتفى بينهمـا ، يتم حتى الآن عن طريق أوروبا الغربية ، وتزيد تكلفة نقل الشحنات من ابيدجان فى ســاحل العاج الى الفولتا العليا المجاورة على نقلها من ابيدجان الى مرســـيليا . ولقد بادر المستعمرون ايمانا منهم بمبدأ «فرق تسد» ، الى اقامة تسع محولات مختلفة لخطوط السكك الحديدية فى افريقية . وتقـــول التقديرات التى أعدتها اللجنة الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة لشـــئون افريقية ان اقامة محول موحد لخطوط السكة الحديدية فى القارة ستستغرق ثلاثين عاما على الأقل .

. . .

وتتمثل المنطقة الثالثة الصالحة لتوليد طاقة كبرى فى أحواض أنهر النيجر والفولتا وكوتكورى وغيرها من أنهار افريقية الغربية ، وهى منطقة تضم أكثر من عشر دول قومية فتية يبلغ تعداد سكانها أكثر من سبعين مليونا . وفى وسع الانسان أن يرى فى منـــاطق قريبة من عواصمها ،

أراضى ما زالت تزرع بنفس الطريقة التى كانت تزرع بهـــا قبل ألوف السنين ، وأساليب بدائية للانتاج ، وفقرا يعيش فيه الالوف من الناس. وهذه هى آثار الاستعمار الرهيبة . ولا شك فى أن الفضل العظيم يعود الى القادة التقدميين فى هذه البلاد الافريقية الذين ركزوا جهودهم فى مثل هذه الأوضاع على رفع المستويات الحياتية لشعوبهم الى الذرى الحضارية . وهى مهمة ممكنة التحقيق بالرغم من جميع الصعوبات التى تواجهها .

وفى الامكان أن تستند صناعة القوة المحركة فى هـذه المنطقة فى المستقبل الى موارد القوة المائية للأنهار الموجودة فيها والتى يقدر مجموع طاقتها بأكثر من خمسة عشر مليون كيلو واط . بالاضافة الى مخزونات البترول والغاز والفحم . وفى وسع بلاد هـذه المنطقة كغانا ومالى وغينيا ونيجريا والتوجو والفولتا العليا وغيرها ، عن طريق تنمية وسائل الطاقة المحركة ، أن تقوم باستغلال واسع للموارد الطبيعية الغنية المختلفة فيها كالمعادن غير الحديدية ، والمعادن النادرة والفوسفور والخشـب ، وتنمية ما فيها من صناعات تصنيعية .

وفى هذه المنطقة موارد غنية للغـاية من البوكسيت والمواد الاولية اللازمة لصناعة الالومنيوم (غانا وغينيا) ومن المنغنيز (غانا) ومن الكروم (سيراليون) والرصاص وخامات الزنك (نيجريا) وخامات الحـديد (غينيا وليبريا) . وكانت الشركات الاجنبية حتى قبل قيام الدول المستقلة قد وضعت خططها لاقامة مشروعات كبـيرة الى حد ما للافادة من مخزونات البوكسيت فى غانا وغينيا والـكمرون . وكان الالومنيـوم وهو معدن المسـتقبل يصدر الى بريطـانيا وفرنسـا بكامله ، حيث يعيق الافتقار الى موارد الطاقة تنمية صناعة الالومنيوم .

وفى أمكاننا أن نعرض الموقف الذى تقف فيه البـلاد النامية من النظام الامبريالى العالمى بالنسبة الى العلاقات الاقتصادية ، فى صورة المثل التالى . فكندا تنتج الالومنيـوم من المواد الاولية التى تنقل اليها عبر ألوف الكيلومترات من بلاد أمريكا الوسطى ، وافريقية الغربية بل بلاد جنوب شرق آسيا . ويجد هـذا المعدن بعد تصنيعه فى صـورة سلع جاهزة طريقه عائدا الى البلاد التى تصدر المواد الاولية . وبأسعار أعلى جدا من أسعار تلك المواد المصدرة . وتملك هذه البلاد معدن البوكسيت وموارد الطاقة الضخمة ، والرغبة فى اقامة صناعتها الخاصة بها . ومع ذلك فان المصالح الاستغلالية للاحتكارات الكبرى هى التى تتغلب وتنتصر على المنفعة الطبيعية .

وفي امكان البلاد الحديثة أن تتعاون في تنمية صناعة واسعة النطاق للألومنيوم عن طريق استخدام الفائض من المواد الأولية في أي بلاد والطاقة المحركة الرخيصة الموجودة في بلاد أخرى ، ويمكن القول بعبارة أخرى ان في الامكان على سبيل المثال قيام تعاون متبادل النفع بين الجزائر وبين بلاد افريقية الغربية ٠

ولقد أكدت اللجنة الاقتصادية التابعة للامم المتحدة لشئون افريقية في توصياتها التي وضعتها على أساس تقرير البعثة التي أوفدتها في عام ١٩٦٣ والتي وضعتها بعد زيارة هذه البعثة لثلاث عشرة دولة افريقية ، الفوائد التي تنشأ عن تنمية صناعة واسعة النطاق هنـــاك تنتج أسمدة النترات والفوســـفات ، وكلوريد البولينفينيل ، والمنسوجات الصناعية والصودا وغيرها من الامور ٠ ولا شك في ان اقامة محطة لتوليد الطاقة المحركة على نهر النيجر ، ستجعل من هذا النهر ممرا مائيا صالحا للملاحة يصل الى المناطق الجنوبية من الصحراء الكبرى أي الى جمهورية مالي ٠ ويقضي مشروع تنمية موارد الطاقة الكهربية المـــائية في نيجريا باقامة محطتين للتوليد على نهر النيجر ومجموع طاقتهما مليون وخمسمائة ألف كيلوواط ومحطة أخرى على نهر كادونا وهو أحد روافد النيجر ، طاقته خمسمائة ألف كيلو واط ٠ ولكن نيجيريا لاتستطيع أن تقوم بهذه المشروعات وحدها قبل مستهل القرن القادم ٠

ويمكن خلق المركز الصناعي الــكبير ذي الاهمية العـــالمية الرابع والمستند الى الطاقة المحركة في منطقة الكونجو وزامبيا ٠ فليس ثمة مكان آخر في العالم يضم مزيجا من موارد القوة المائية الضخمة والثروة المعدنية الاسطورية والتربة الخصبة كحوض نهر الــكونجو ، وهو النهر الافريقي الضخم الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد نهر الامازون في ســـعة حوضه وضـــخامة موارده المائية ٠ ويؤكد العلمـــاء أن أرض الكونجو لو زرعت بالاساليب العصرية قادرة على اطعام نحو من ألف مليون انسان ٠

ولقـــد قدرت الطـــاقة التي يمكن توليدها من نهر الكونجو الغني بموارده الهائلة ومن روافده بقوة تتردد في أي مكان بين ١٣٠ و٣٩٠مليون كيلو واط ٠ وبين المهندسون منذ أكثر من نصف قرن ان مجرى هذا النهر صالح لتنمية الطاقة ، ولكنه لم يتعرض للدراسة الجدية الا منذ عام١٩٥٢٠

ووضع المهندسون البلجيكيون وغيرهم مشروعات لاستغلال الحوض الأدنى من نهر الكونجو ٠ وتقضي هذه المشروعات ببناء سلسلة من المحطات الكهربية المائية بمجموع طاقتها نحو من ٣٥ مليون كيلو واط في منطقة انجا ،

حيث يكون الفرق فى مستوى الماء نحوا من مائة متر فى العمق ، ضمن مسافة لا تزيد على مائة كيلومتر . وسيعنى تنفيذ مشروع الانجا توليد نحو من ٢٤٠ ألف مليون كيلو واط ساعة من الكهرباء الرخيصة فى السنة وهو ما يعادل ثلاثة أضعاف الطاقة المولدة فى ألمانيا الغربية وفقا لما يقوله الأستاذ اف بادى ، الاقتصادى الألمانى الغربى المعروف .

وفى الامكان استخدام هذه الطاقة كأساس لانشاء مصانع ضخمة للأسمدة الكيماوية ، وأخرى للأسمنت ومشروعات فحمية وتعدينية كهربية فى جمهورية الكونجو (كينشاسا) ، وكذلك فى بلاد افريقية الوسطى المجاورة . يضاف الى هذا أن فى الامكان تحسين الأساليب الزراعية فى البلاد تحسينا كبيرا .

ووضعت جمهورية الكونجو (برازافيل) ، مشروعا لاقامة محطة هندسية مائية ـ كهربية على نهر كويلو ، تبلغ طاقتها مليون كيلو واط ، مع خزان ضخم . وفى امكان الكهرباء التى تولد من هذا النهر أن تصل الى مدينة بوان نوار ، حيث وضعت الخطط لانشاء مجمع صناعى ينتج القضبان الحديدية والمغنيزيوم والألومنيوم والفوسفات وأسمدة النترات .

ويؤدى انشاء المحطات المائية ـ الكهربية على نهر الكونجو وروافده ، التى تكثر فيها الشلالات والجنادل ، الى تحويل هذه الأنهر الى ممرات مائية تربط المحيط الأطلسى بالمناطق الداخلية فى هضبة افريقية الوسطى المرتفعة حيث تنقل اليها السلع الآن على ظهر الحمالين الافريقيين . وتؤدى هذه الملاحة النهرية أيضا الى تسهيل نقل المواد الأولية الصالحة للصناعات التى تستهلك الطاقة كالبوكسيت من غانا وغينيا .

وتوصلت لجنة من العلماء البارزين تضم مهندسين أمريكيين معروفين هما : بل ولوتون ، الى أن مشروع اينجا ، يعتبر مجزيا كل الاجزاء وممكنا من وجهة النظر التقنية .

ولكن يتعذر الحصول على أى نفع فى الظروف الراهنة من مشروع اينجا . وسيظل هذا المشروع من الأحلام الطوبائية بسبب الحرب الباردة وسباق التسلح، واستهلاكهما لجميع الموارد المائية المتيسرة ، وهى الموارد اللازمة لتنفيذه وليس ثمة أمل فى الحصول عليها فى المستقبل القريب .

وتقول «ديرفوكلسفيرت» ، المجلة الألمانية الغربية أن تكاليف تمويل

مشروع اينجـا ستصـــل الى أكثر من خمســـة آلاف مليون دولار . ومن الطريف أن نقول ان ما يسمى « بعملية قوات الأمم المتحدة فى الكونجو » وهى العملية التى تعتبر نموذجا للعمل الجماعى من المستعمرين فى مجموعة من الدول الغربية تكلف ٤٣٣ مليون دولار . وكان فى الامكان استخدام هذه الأموال الطائلة فى انشاء محطة قوية لتوليد الكهربا فى الكونجو .

ونحن نتحدث هنا فقط عن تلك المشروعات الرئيســـية التى تغير فى الواقع وجه القارة كلها . ولا شك فى اننا عند الحديث عن البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، لابد أن نأخذ فى عين اعتبارنا القضايا المتعلقة باحتمالات النفع والفائدة ، وأن ندرس أيضا المشروعات الأقل ضخامة والتى تمثل أهمية قصوى لبلاد واحدة ، كالافادة من المياه الجوفية فى رى القطاع الساحلى فى تونس مثلا . ولقد أجريت دراسات مائية ـ جيولوجية واسعة النطـــاق فى المغرب ، وأظهرت هــذه الدراسات أن فى الامكان توسيع الأراضى المزروعة الى حد كبير وتحسين أوضاع تربية المواشى ، عن طريق السيطرة على مجرى نهر سيبو فى ولاية الغرب ، وتطوير أساليب الرى فى مجرى أنهر أم الرابية وتينسيفت وسوس .

وتملك جمهورية مالاجاش فى جزيرة مدغشقر ، على سبيل المثال قوة مولدة ضـخمة وموارد من المواد الأولية تكفى لاقامة صناعة نامية فيها . ففيها طاقة مائية وافرة لتوليـــد الكهربا والفحم والليجنيت ، والصلصال والميكه ، وخامات الحديد والنحاس والذهب والاسبستوس والفوسفات ، وكلها موارد لم يجر الاستقصاء عنها للشروع فى استغلالها . وتتحول مدغشقر فى الربيع الى جنات رائعة ، بما تضمه من مزارع البن والكاكاو والنخيل ، وغير ذلك من المنتجات الصالحة للتصدير . ويفخر أهل مالاجاش كل الفخر بما فى جزيرتهم من جمال يذهل . ولكن هذا الجمال مازال حتى الآن كما قال ممثل لمالاجاش فى مؤتمر للامم المتحدة عقد فى جنيف: «يعطى لهم الحق فى الفاقة بعد تزويقها بجمال الشمس» .

وسيكون البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح فعالا بوجه عام فى حالة تقييم الاحتمالات الفعلية للبلاد كلها تقييما صحيحا ، واعطـــاء الأولوية لاقامة المشروعات والاقرار السليم بالحاجة الى الاعداد للانتقال من المشروعات الصغرى الى تلك التى تفوقها فى ضخامتها . ولابد بالطبع عند تقرير التسلسل فى التفضيل بالنسبة الى اقامة هذا المشروع أو ذاك فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، أن نأخذ فى عين اعتبارنا احتمال جنى النفع من أى مشروع نبدأ فى اقامته . ولا ريب فى أن اختيار الاتجاه

الصحيح فى تنمية الاقتصاد ، وتقرير الأولوية الصحيحة بالنسبة الى مشروعات الغد فى منتهى الأهمية . فمن الضرورى الشروع أولا فى اقامة جميع المشروعات التى تضمن توفير الربح فى المستقبل القريب . ونحن نتحدث هنا بالطبع عن برنامج انشائى فى أوضاع نزع السلاح الشامل والكامل ، وبعد توجيه الوسائل الضخمة الى الأهداف السلمية .

ولا شك فى ان تركيزنا على التفصيلات المتعلقة بالمشروعات الرئيسية ، يحسر النقاب من الناحية الأخرى على رغبتنا فى اظهار الخط الرئيسى للتطور الاقتصادى فى افريقية التى تضم أعظم الاحتمالات . ولكننا نود فى الوقت نفسه أن نؤكد اننا ما زلنا بعيدين كل البعد عن أن نصاب « بجنون التضخيم » ، واننا نفهم تمام الفهم أوضاع هذه الدول التى ترتكز الى الفلاحين . فالفلاح الافريقى فى حاجة فى الوقت الحاضر الى محطات صغيرة لتوليد الطاقة الكهربية ، والى التعرف على كيفية استخدام المياه الجوفية استخداما صحيحا ، والى تطبيق نظام الدورة الزراعية ، واستخدام المحاريث المصنوعة من الصلب بدلا من الخشب . ولا ريب فى ان ادخال الآلات الزراعية مهما كانت صغيرة ، فى الوقت الحاضر يعتبر أمرا ضروريا فى الوقت الراهن . ولا شك فى ان المشروعات الكبرى تعتبر مهمة أيضا ، ولكن على الدول الافريقية نفسها أن تقرر السرعة والتسلسل فى اقامتها .

ولا ريب فى أن الرى واستصلاح الأراضى يقفان جنبا الى جنب وفى المقدمة مع التصنيع الذى يستطيع تأمين الاستقلال الاقتصادى للدول الافريقية ، وحل استخدامها استخداما عقلانيا لموارد العمالة لمصلحة الجماهير الافريقية ، بين المشكلات الاقتصادية القومية والأساسية ، لا بالنسبة لافريقية وحدها ، بل بالنسبة الى آسيا أيضا .

ولا يتلقى ثلثا القارة الافريقية كميات كافية من المطر . ولذا فان تنظيم جريان الأنهر وتحسين الأراضى يعتبران ضروريين للبلاد . ولقد حلل ان.دى جولاتى السكرتير العام للجنة الرى والصرف الدولية الآمال المعلقة على هذه الاجراءات فى القارة كلها ، فى تقريره الضخم الحاشد . ولا ريب فى أن ظهور مثل هذه الدراسات المفصلة يعتبر دليلا آخر ، على أن التعاون الوثيق الواسع بين الشعوب والدول الصديقة على قدم المساواة ولمصلحة المجتمع كله ، أصبح يمثل شرطا رئيسيا لتنفيذ المخططات العلمية والهندسية الواسعة وبينها تلك المتعلقة بتوفير المياه . ولو تم حل مشكلة توفير المياه فان افريقية لن تظل قارة للمجاعة والفاقة ، ومن تكون قادرة على اطعام نفسها فحسب ، بل على تأمين كميات كبيرة

من المواد الغذائية القيمة والمواد الأولية الصناعية لشعوب القارات الأخرى على أساس التجارة المتبادلة النفع ٠

وتقوم مجموعة من الاحتكارات الأجنبية اليوم بافتراس شعوب القارة الافريقية وقبائلها المحبة للحرية ، وسرقتها لابتزاز الأرباح من هذا الكنز الغنى بثرواته ٠ ولكن المخططات التى تضعها هذه الاحتكارات والتى تطمع فى جنى أقصى ما يمكن عن طريقها ، واستغلال ثروة افريقية تعتبر تافهة اذا ما قورنت بما تستطيع افريقية بل والعالم كله الحصول عليه اذا استغلت احتمالات الطاقة التى يمكن توليدها والموارد الطبيعية فى القارة ، على أساس القضاء نهائيا على الاستعمار وقيام نزع السلاح الكامل والشامل ٠

ويزعم بعض الناس فى الغرب أن شعوب افريقية عاجزة بوجه عام عن ممارسة التقنية الحديثة واتقانها ، وانها تقبل الخنوع بطبيعتها وانها لا تستطيع تحقيق التقدم السريع ٠ وهناك آخرون يوجهون النصح أيضا الى هذه الشعوب ويدعونها الى التمسك بتخلفها الراهن ، وتوجيه اقتصادها فى خطوط الزراعة وحدها ، مع انتاج المواد الأولية ليس الا ٠ وهنا يبرز سؤال كبير وهو ما عدد القرون التى لابد أن تنصرم فى حالة قبول هذا النصح أو ذاك التوجيه قبل أن تصل افريقية الى مستوى التقنية الآلية الراهنة والزراعة العصرية ؟ ولا شك فى ان هؤلاء الناس يحاولون تضليل الافريقيين بدعوتهم الى التمسك بالفكرة التى تقول : « ان عليهم ألا يسرعوا الخطى ، وأن يسيروا فى طريق الاعوجاج والتردد » ٠ وهم يقولون للافريقيين ٠٠٠ ما الذى يدعوكم الى التفكير بالكهرباء والآلات ومشروعات الرى الرئيسية ، والطاقة الذرية ، والأساليب العلمية المتقدمة ، عندما يكون لديكم الفأس والمحراث الخشبى ؟

هذه هى النصيحة التى يوجهها الى الشعوب الافريقية كل من جى بورهيرن وأى كولت ، العالمين الاقتصاديين الألمانيين الغربيين ٠ فهما يحذران فى بحثهما شبه العلمى والمنشور فى مجلة « ايردى » فى عام ١٩٦٣ من انشاء محطات لتوليد الطاقة الكهربية المائية بل حتى السكك الحديدية فى افريقية الاستوائية ٠ وهما يعلنان أيضا أن النظام البدائى الزراعى الذى تمارسه هذه البلاد هو الأفضل لهذه البلاد فى هذه المنطقة ، حتى ولو كانت التربة تحتاج الى ما يتردد بين ستين ومائة عام لاستعادة خصائصها التى فقدتها فى ظل هذا النظام ٠ وهما يمضيان الى حد الحديث بجدية عن خطر استبدال المعول بالمحراث ، وخطر استعمال الأسمدة الكيماوية ، واستخدام الأساليب العصرية الأخرى فى الزراعة ٠

ويعارض جي · بوهيرت أيضا فى توسيع المزارع المختصة بزراعة بعض الزراعات التقليــدية ، كالنخيـــل الذى ينتج الزيت والكاكاو والموز والحمضيات ، لان هذا التوسع كما يقول يؤدى الى هبوط أسعار هــذه المنتجات فى الأسواق العالمية · ومن العسير حقا أن نفهم العامل المؤدى الى مثل هذه الأفكار ، وهل هو سخرية المستعمرين الشريرة أو الجهل المطبق من سيد يحمل عددا من الشهادات العلمية ؟

لكن الحقيقة أن ما ينشده هؤلاء الناس هو الابقاء على افريقية بصورة دائمة الممون للبــلاد الرأســمالية المتقـدمة بالمواد الأولية والزراعيــة ، والتابع الذى يمتص الاستغلال الاستعمارى ثرواته الطبيعية وقوة العمالة الرخيصة لديه ·

وليس فى وسعنا على أى حال ، أن نتقاعس عن أن ندرك ان ليست ثمة حاجة لضمان استخدام قوة البخــار أو الكهرباء ، والآلات وأساليب الرى لمصلحة الافريقيين أن يبدأ هؤلاء من النقطة التى شرع فيها واط(١) وستيفنسون (٢) ولومونوسون (٣) وفارادى (٤) وغـيرهم من مخترعى الآلات والأجهزة الأولى عملهم · وفى وسع شعوب افريقية أن تفيد افادة مباشرة من المنجزات العصرية ، للجهد الانسانى والعبقرية البشرية ، وأن يجعلوا هذه المنجزات فى خدمة متطلباتهم متخطين بذلك المراحل الوسيطة بين الاختراع والوقت الراهن · ولا شك فى أن الشعب السوفياتى قد فعل ذلك بالضــبط وهو يخلق احدى الصـــناعات الأكثر تقـدما فى العالم كله ·

وستتحول المشكلة من الناحية العملية فى الواقع الى أحد سبيلين اما أن تظل افريقية على ما كانت عليه من قبل ، مقرا للقرصنة الدولية

---

(١) جيمس واط (١٧٣٦ ـ ١٨١٩) مهندس ومخترع اسكوتلندى · عمل فى الهندسة المائية وتحســين الموانىء والأقنية · وقد اكتشـــف الطاقــة المائية كما كان مخترع الآلة البخارية · واخترع أيضا الحبر واكتشف تركيب الماء ·

(٢) توماس ستيفنسون (١٨١٨ ـ ١٨٨٧) ـ مهندس اسكوتلندى وابن الروائى المشهور روبرت لويس · عمل فى انشاء المنائر وأساليب اضاءتها ، واكتشف لوحة العرض التى حملت اسمه ·

(٣) ميخائيل لومونوسوف (١٧١١ ـ ١٧٦٥) عالم روسى توقع النظرة الذرية للمادة التى عاد دالتون فطورها ·

(٤) ميخائيل فارادى (١٧٩١ ـ ١٨٦٧) فيلسوف طبيعى انجليزى وكيماوى وكهربائى· من أهم اكتشافاته اسالة الغاز عن طريق الضغط ، وبعض الاكتشــافات المغناطيسية ·

المعرب

والنهب من جانب بعض الاحتكارات الكبرى ، وبذلك تبقى القارة الافريقية فى قبضة الفاقة والمرض والجوع ، أو تتحول القارة الافريقية العظيمة الى قارة للصداقة والاخوة بين الأمم والشعوب والقبائل ، وقارة للانشاء الاقتصادى والنهوض والتنمية ٠

وتثير متطلبات الصراع مع الاستعمار ، والطبيعة الاجتماعية التى غدت الآن وبصورة حتمية عالمية الشمول لقوى الانتاج ، الرغبة لدى التقدميين من الناس فى افريقية فى تكتيل محاولاتهم على أساس اقليمى يشمل القارة كلها ٠ ولا شك فى أن مثل هذه الوحدة الطوعية ، ستساعد الدول الافريقية على خلق صناعة وطنية على أساس الافادة الكثيرة العقلانية من ثروات القارة الطبيعية للشروع فى التنقيب الجيولوجى المشترك واستغلال الموارد الغنية لبناء مؤسسات الطاقة المحركة والمنشئات الصناعية ووسائل الرى ، واقامة مواصلات مباشرة بين الدول والبلاد الافريقية كلها ٠

ولا شك فى ان التبدلات المضطربة التى تجتاح افريقية كلها ، وتمحو القلاع القديمة للاستعمار من وجه الأرض ، هى بمثابة انذار بأن الافريقيين مصممون على أن يكونوا سادة قارتهم ٠ وهم لا يرغبون على الاطلاق فى أن يظلوا حملة للأخشاب أو الماء ٠ ويقترح القادة الافريقيون فى خطبهم فكرة وضع خطة اقتصادية تشمل القارة الافريقية كلها ، بحيث تتمكن القارة من استعمال مواردها الهائلة ، لمصلحة رفاهها المشترك ، ومصلحة المزيد من التنمية والتقدم ٠ ونحن نسمع المزيد الآن من الحديث عن وحدة القوى الافريقية ، المصارعة للاستعمار مع البلاد الاشتراكية ، والطبقة العاملة وطبقة المثقفين فى البلاد الرأسمالية وهما الطبقتان اللتان تناهضان سياسات الدول الاستعمارية فى افريقية ٠

ويعيدنا هذا من جديد الى فكرة البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح، وهى الفكرة التى تعنى شعوب جميع القارات بصورة متكافئة وقوية ٠

٦ تطلعات المستقبل فى أمريكا اللاتينية

نصل أخيرا الى أمريكا اللاتينية · وترتبط هذه القارة فى أذهان شعوب أوروبا وأمريكا الشمالية بالأسطورة المتعلقة بالدورادو بلد العجائب والثراء الخرافى · فلقد صورت أمريكا اللاتينية فى قصص الغزاة الاسبان والبرتغاليين فى القرن السادس عشر على انها الفردوس الأرضى الغنى بأراضيه الخصبة ، وبكنوزه من المعادن الثمينة · ولا شك فى أن من العسير حساب ما فى أمريكا اللاتينية من ثروات . ولكن الأوضاع الفعلية لشعوب بلاد أمريكا اللاتينية بعيدة عن هذه الحسابات المتألقة ، بعد الأرض عن السماء · ولقد كتب خوزية دى كاستروه العالم البرازيلى المشهور يقول : « لا تظهر الآن على خريطة قارة الوفرة -أمريكا اللاتينية- الا بقع قليلة من الألوان الزاهية والواضحة ، اذ حلت محلها بقع سوداء قاتمة ، تشير الى مناطق النقص فى التغذية والمجاعة » · ولا شك فى أن أمريكا اللاتينية أغنى من أمريكا الشمالية فى مواردها الطبيعية . ولكنها أفقر منها كثيرا فى الوقت الحاضر ويا للأسف . ففى أمريكا اللاتينية مخزونات ضخمة من البترول وخامات الحديد والنحاس والصفيح والذهب والفضة والزنك والرصاص والبوكسيت وغير ذلك من المعادن · ولقد توصل الخبراء السوفيات فى عام ١٩٦٣ الى الاستنتاج بأن البرازيل تضم مخزونات هائلة من البترول ، ففندوا بذلك الأفكار التى ينشرها سادة « ستاندارد أويل » وغيرها من الاحتكارات الأمريكية الشمالية التى تزعم

أن البحث عن مخزونات كبيرة فى تلك البلاد عمل غير مجد على الاطلاق . وتضم هذه القارة أيضا موارد ضخمة من الطاقة المائية لم يتم استغلال أكثر من واحد على خمسة وعشرين منها فى الوقت الحاضر . ولا شك فى أن تسخير الأنهار الأمريكية الشاملة ، تسخيرا شاملا ووفق خطة علمية مدروسة يؤمن حوافز ضخمة لتنمية القوى الانتاجية ويساعد كثيرا على رفع مستويات العيش .

وتضم أمريكا اللاتينية أكثر من عشرين بلدا تقع الى الجنوب من الولايات المتحدة ، وتختلف عنها وعن بعضها فى طبيعة أرضها وسكانها ومستوى التنمية الاقتصادية الاجتماعية فيها . وبينما ظلت معظم بلاد آسيا وافريقية حتى وقت قريب من المستعمرات « التقليدية » أو « الممتلكات » لقبضة من الدول الامبريالية الكبرى ، فان الغالبية الساحقة لبلاد أمريكا اللاتينية مرت بعهد الاستعمار من جانب اسبانيا والبرتغال فى وقت مبكر للغاية . ولقد ظل النظام الاستعماري مسيطرا على القارة الأمريكية اللاتينية أكثر من ثلاثمائة عام . وقامت الشعوب فى القرن التاسع عشر بالاطاحة بهذا الاستعمار ، وأقامت دولها المستقلة .

ومع ذلك ، وبالرغم من مقاومة شعوب هذه القارة للسيطرة الامبريالية العالمية ، فقد انتهت الى طراز جديد من العبودية الاستعمارية فرضه رأس المال البريطانى أولا ، ثم خلفه رأس المال الأمريكى . ولقد ظل الاستعمار الجديد الذى عرفته آسيا وافريقيا مؤخرا ، مسيطرا على أمريكا اللاتينية أكثر من نصف قرن .

ويعتبر رأس المال الأجنبي والضخم الأداة الرئيسية للاستعمار هناك ، اذ انه يشرع بصورة متدرجة فى الاطباق على هذه البلاد اقتصاديا ، ليعود فيمارس عدوانه على سيادتها واستقلالها . وتكون النتيجة أن هذه البلاد اما أن تتحول الى مستعمرات «غير رسمية» أو الى دول تعتمد اقتصاديا وسياسيا على الدول الامبريالية الكبرى . ولا شك فى أن نظام التحكم اللامباشر بالبلاد المستقلة رسميا ، وفرض العبودية عليها من جانب بعض الاحتكارات الكبرى ، كاحتكار « شركة الفواكه المتحدة » المشهورة ، هو السبب المباشر فى تخلف أمريكا اللاتينية الراهن .

ولكن التبدلات التى وقعت فى العالم وفى مقدمتها النصر الذى حققته الاشتراكية فباتت المبدأ الذى يؤمن به أكثر من ثلث الجنس البشرى ،

وتفسخ النظـــام الاستعمارى للامبريالية ، قد غيرت بطريقة أساسية الموقف الدولى لبلاد أمريكا اللاتينية أيضا وتطلعاتها · واجتاحت هــذه القارة العظيمة فى هذه الأيام عاصفة قوية للغاية فى النضال التحررى ، حتى ان الصحفيين الأمريكيين الشماليين باتوا يسمونها « القارة الساخنة الحمراء » ·

وليست أحداث جمهوريتى بناما والدومنيكان الا مجرد رمز على التطورات العميقة التى تســـير سيرها فى أمريكا اللاتينية فى هــذه الأيام ·

ويعتبر جوع الأرض والزراعة البعيــدة عن الأساليب الزراعيــة الصحيحة والندرة المتزايدة للطعام الخصائص البارزة لأمريكا اللاتينية · وتقــول التقـــديرات التى أجرتها الأمم المتحـــدة ان من الضرورى زيادة مساحات الأراضى المزروعة فى أمريكا اللاتينية بنحو من تسعين مليون هكتار قبل عام ١٩٨٠ ، لسد متطلبات المواد الغذائية فى القارة ، التى تضم موارد كافية من الأرض ولكنها فى حاجة الى استثمار ٢٧ ألف مليون دولار فى زراعتها ·

وليست قضية ندرة الأرض ، والتأخر فى الزراعة مجرد قضيتين تتعلقان بالمعايير الزراعيـــة الخفيضة المســـتعملة أو بالافتقار الى الرى · فاللوم يقع قبل كل شىء على سيطرة ملاك المزارع الكبيرة من أهل البلاد ومن الأجانب ، اذ انهم يملكون أكثر من خمسين فى المائة من مجمــوع الأراضى فى المنطقة الواسعة الممتدة من خليج المكسيك الى رأس هورن · ففى البرازيل تملك مجموعة تمثل واحدا فى المائة من الملاك الذين تزيد ملكيات الواحد منهم على ألف هكتار أكثر من خمسين فى المائة من جميع الأراضى المســجلة فى البلاد ، كمــا يملك نحو من ٣٥٠٠ من الملاك فى فنزويلا أكثر من ثلثى مساحات الأراضى المزروعة · وفى وسع المرء أن يرى فى بوليفيا بعض المزارع التى تفوق مساحة الواحدة منهــا مساحة الدانيمارك كلها أو بلجيكا · وما زال الرقيق منتشرا كل الانتشار فى جمهورية اكوادور وفى مزارعها الكبيرة بالذات · وتظهر « فوائد » المزارع الواسعة النطاق على الصعيد الاقتصادى من الحقيقة الواقعة وهى أن نحوا من ٢٠ فى المائة فقط من مساحات المزارع الكبيرة فى نيكاراجوا ، تزرع بالفعل ، وان المساحات المزروعة منها فى الأرجنتين لا تزيد على ١٤ فى المائة ، وانها تقل عن ٤ر١ فى المائة فى بيرو · ولا شك فى أن الطبيعة الطفيلية لنظام المزارع الكبيرة واضحة كل الوضوح ·

أو ليست هذه الأوضاع هي السبب في النقمة المتزايدة والسخط في أمريكا اللاتينية وفي ثورة كوبا وغيرها من حركات التحرر التي تنمو وتتطور في القارة ؟ ولا شك في أن سادة «وول ستريت» (١) في نيويورك يكذبون عندما يحاولون القاء اللوم على هافانا (عاصمة كوبا) لأن شعوب بناما ، وجمهورية الدومنيكان وفنزويلا واكوادور . تنزع الى المطالبة بحريتها · لا ، فالأسباب الفعلية لثورات أمريكا اللاتينية تختلف عن هذا الادعاء كل الاختلاف ·

ولقد قامت كوبا ، جزيرة الحرية ، بخرق الحواجز للوصول الى عالم الاشتراكية فسبقت بذلك كل تطور في العالم الجديد · ولا شك في صدق أولئك الذين تمتد أنظارهم الى ما وراء كوبا ليروا القوى الشعبية الهائلة تكافح في أمريكا اللاتينية التخلف الاقتصادي والفقر والحرمان من الاقتراع · ويظهر الوعي المتزايد للشعوب أيضا ، في احساسها بالامكانات العظيمة التي تملكها بلاد أمريكا اللاتينية ، لتحقيق تقدمها الاقتصادي ·

فهناك مشكلات مشتركة تواجهها دول أمريكا اللاتينية بالرغم من الفروق في مستويات تنميتها وتطورها وفي أوضاعها الجغرافية · وتدرس الآن المشروعات الهندسية الضخمة التي تخص القارة كلها أو تخص مناطق واسعة منها ، لمواجهة هذه المشكلات ·

ويعتبر نقص الطاقة المحركة احدى المشكلات الخطيرة للغاية التي تواجهها أمريكا اللاتينية · وسيتعرض المزيد من التنمية الاقتصادية في بلاد هذه القارة الى الاعاقة والعرقلة بشكل كبير . اذا لم يرتفع توليد الطاقة الكهربية بمعدل ثلاثة أضعاف الموجود حاليا منها ، قبل نهاية عام ١٩٧٠ · وكانت هذه الحقيقة احدى النتائج التي توصلت اليها الندوة التي أقيمت للبحث في مشكلات تنمية الطاقة الكهربية في صيف عام ١٩٦١ تحت اشراف اللجنة الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة والخاصة بأمريكا اللاتينية ·

وستوضح نظرة عاجلة نلقيها على بعض المشروعات الكبيرة لتنمية

---

(١) حي المال الكبير في نيويورك والذي يضم الاحتكارات الكبرى ·

القوى الانتاجية هناك ، الاحتمالات المادية والتقنية المتيسرة لتحقيق التقدم فى أمريكا اللاتينية (١) ٠

ولقد اهتم العلماء والمهندسون منذ أمد بعيد على سبيل المثال بموارد الطاقة المائية الكبيرة جدا لأنهار الأرجنتين وتشيلى على جانبى سلسلة جبال الانديز ٠ وتقدم الخبراء فى الأرجنتين بمشروعات لاقامة مجمعات ضخمة للهندسة المائية فى سفوح جبال الانديز تضم نحوا من ٤٠ الى ٥٠ محطة لتوليد الطـــاقة المائية الكهربية يبلغ مجموع طاقتها سبعة ملايين كيلوواط وتؤمن الطاقة الكهربية للاقتصاد وللاستهلاك العام ٠ وهنـاك أيضا امكانات رائعة للتطور الصناعى وبوجه خاص للمخزونات الكبيرة من خامات الحديد والبترول والكثير من المعـادن غير الحديدية ، وكذلك للزراعة عن طريق توفير السماد الكيماوى وزراعة الأراضى غير المستعملة فى الجزء الغربى من الأرجنتين ٠

وتمثل جران شاكو منطقة واسعة صعبة المرتقى فى الجزء الشمالى الشرقى من براجواى ، والجزء الجنوبى ـ الشرقى من بوليفيا ، والجزء الشمالى من الارجنتين ٠ وتتحول السهول التى تمتد الى أكثر من ألف كيلو متر الى حمآت يصعب المرور فيها أثناء أمطار الصيف والى صحراء تجتاحها الرمال فى فصل الشتاء ٠

ويمكن لتنمية الجزء الأرجنتينى من جران شاكو شق قنـــاتين ملاحيتين طول الأولى منهما ٧٢٦ كيلو مترا وطول الثانية ١١٠٠ كيلو مترا، وانشاء شبكة من أقنية الرى ، يتم حفرها لتأمين المياه الى ما يتردد بين ثلاثة وأربعـة ملايين هكتار من أخصب الأراضى الصالحة لزراعة القطن وقصب السكر وعباد الشمس والذرة والمحاصيل الأخرى ٠ وتؤمن هذه الأقنية الميـــاه الكافية الى ما يربو على العشرة ملايين هكتار من أراضى المراعى . لتنمية تربية الماشية على مستوى عالمى الأهمية ٠

ولا شك فى أن الحل الشامل لمشـكلة جران شاكو سيفيد أمريكا الجنوبية كلها ٠ ففى وسع الأقنية الملاحية أن تؤمن منفذا صالحا لمنطقة بارانا . والمدن الصناعية والتجارية لمنطقة لابلاتا وذلك لتصدير منتجات

---

(١) يقتصر البحث فى هذا الكتاب . على بعض المشروعات ليس الا ، اذ ان تقديم وصف عام لجميع المشروعات التى تم اقتراحها ، يتطلب اكثر من كتاب واحد ٠ ولعل من سوء الحظ انه لم تجر حتى الآن دراسات شاملة ووافية للمشكلات الشاملة والخاصـة بتنمية قوى الانتاج فى القارة الأمريكية ٠ ـ المؤلف ـ

الاقسام الأرجنتينية والباراجوية من منطقة شاكو وتصدير الزيت والمعادن من بوليفيا والتى لا تملك فى الوقت الحاضر أى منفذ على المحيط. ولا ريب فى أن هذه الأقنية ستسهل أيضا النقل القارى بين البرازيل وباراجواى وبوليفيا ، وتؤدى الى رخص تكاليفه .

وتقوم ادارة الاقتصاد المائى والطاقة الكهربية فى الأرجنتين بدراسات لموارد الطاقة المائية الكهربية فى البلاد ، وأعدت مشروعات أولية لبناء عدد من محطات الطاقة المائية . ولقد وضعت المخططات لتنفيذ مشروع شوكون - سيروس - كولورادوس المائى والضرورى للمناطق القريبة ، وهو يقضى باقامة محطتين لتوليد الطاقة الكهربية المائية مجموع طاقتهما مليون كيلوواط ، وبتنظيم مجرى نهر « ريو نيجرو » ، ورى خمسمائة ألف هكتار من الأرض (١) .

ولقد انقضى الآن أكثر من عشرين عاما ، والأرجنتين وأوروجواى ، عاجزتان عن تنفيذ مشروع حيوى مهم يقضى باستخدام موارد الطاقة الكهربية لنهر أوروجواى الذى يقع على الحدود بينهما فى منطقة « سالتو جراند » . ويقضى المشروع باقامة سد وخزان للمياه يتسع لنحو من ٥٠٠ر٣ مليون متر مكعب من الماء ، وانشاء محطتين لتوليد القوة الكهربية يبلغ مجموع طاقتهما نحوا من ٠٠٠ر٥٠٠ر١ كيلوواط . وستقوم أولاهما بتأمين القوة الكهربية لمنطقة بيونس ايريس الصناعية والأخرى لأوروجواى .

ويمثل مشروع استخدام موارد القوة المائية فى بحيرة تيتيكا فى أعالى الجبال ، أهمية كبيرة لتنمية بوليفيا وبيرو وتشيلى اقتصاديا . ففى الامكان انشاء سلسلة من خمس محطات لتوليد القوة الكهربية مجموع طاقتها نحوا من ٠٠٠ر٥٠٠ر٢ كيلو واط ، وتنمية مراكز جديدة لاستخراج المعادن وتنمية صناعتها فى بوليفيا وبيرو بمساعدة القوة الكهربية الرخيصة ، وكهربة السكك الحديدية فى المناطق الجبلية التى يصعب الوصول اليها ، وتزويد لاباز عاصمة بوليفيا بالقوة الكهربية الاضافية ، ويمكن عن طريق تحويل جزء من مياه بحيرة ستيتيكاكا الى المحيط الهادى رى صحراء اتاكاما فى تشيلى وتحسين أوضاع المياه فى شمال تشيلى ، واقامة منطقة زراعية ضخمة وجديدة هناك .

---

(١) بلغ مجموع طاقة المحطات الكهربائية المائية فى الارجنتين فى عام ١٩٦٣ نحوا من ثلاثمائة الف كيلوواط .

وتملك تشيلي احتمالات لتوليد الطاقة الكهربية المائية ، مجموع طاقتها نحوا من ٢٢٫٧٠٠٫٠٠٠ كلو واط . ويكون ١٢٫٧٠٠٫٠٠٠ كيلو واط منها في أكثر الأجزاء المركزية تطورا في البلاد ، وحيث يعيش نحو من ٩٢ في المائة من السكان فيها ولا تستخدم في البلاد الا طاقة تبلغ ستمائة ألف كيلو واط في الوقت الحاضر . ولقد شرح علماء تشيلي ومهندسوها في المؤتمر الدولي السادس للطاقة الذي عقد في ملبورن (استراليا) في عام ١٩٦٢ ، وبكثير من الاسهاب احتمالات استخدام موارد الطاقة في أحواض عشرين نهرا في بلادهم ، واقامة ١٠٨ محطات لتوليد القوة الكهربية التي يتردد مجموع طاقتها بين ثمانية وتسعة ملايين كيلو واط .

وهنـاك مشروعات رائعة للهنـدسة المائية على جنادل نهر البارانا وروافده عند لقاء الحدود بين البرازيل وبارجواي والأرجنتين . وفي وسع شـلالات ايجواس واوروبو – يونجا وابيبي وغيرها أن تدير محركات المحطات الكهربية المائية التي يبلغ مجموع طاقتها نحوا من ستة عشر مليون كيلو واط . وسيكون في مكنة المراكز الجديدة للصلب والألومنيوم والصـناعات الكيماوية وغيرها أن تحصل على تموين مسـتقر من القوة الكهربية . وستضمن تنمية الهندسة المائية وتطويرها تأمين الملاحة في نهر بارانا كله ، كما ستسهل الري واستصلاح عدة ملايين هكتارات من الأرض . وسيكون في وسع باراجواي تصدير جزء من القوى الكهربية الى البرازيل والأرجنتين ، وأن تتسـلم بدلا منها المواد الأولية والسلع التي تحتاجها .

وهناك أوضاع صالحة ومواتية لانشاء سلسلة من المحطات الكهربية – المائية التي يبلغ مجموع طاقتها نحوا من ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ كيلو واط على نهر جراند الذي يؤلف رافدا للبرانا في البرازيل . وفي وسع هـذه المحطات أن تؤمن الكهربا الى المراكز الصناعية الضخمة في البلاد كسان باولو وريو دي جانيرو وبيلو هيروزونتي وغيرها من المنـاطق في الجنوب الشرقي من البرازيل ، والتي تنتج ثمانين في المائة من انتـاج البلاد الصناعي و ٥٥ في المائة من انتاجها الزراعي ، ويأهلها نحو من نصف سكان البلاد .

وفي الامكان اقامة خزانات كبيرة ، وسلسلة من المحطات المائية التي يبلغ مجموع طاقتها نحوا من سبعة ملايين كيلوواط على نهر سان فرانسيسكو في البرازيل . وستؤمن هذه الكهرباء أساسا لانشاء منطقة جديدة للمناجم في الجنوب الشرقي، والى تنمية صناعات الألومنيوم والكيماويات وغيرها

من التى تستهلك القوى الكهربية فى هذه المنطقة واستخدام المخزونات المعروفة من البترول والبوكسيت والمعادن الأخرى، ورى نحو من مليونى هكتار من الأرض فى أكثر المناطق جفافا فى البرازيل ، وتزويد المركز بكميات اضافية من الكهرباء ·

ولا تقوم البرازيل بزراعة أكثر من ١٥ فى المائة من أراضيها · فهناك مناطق شاسعة للغاية ما زالت فى حاجة الى التنمية ، ولا سيما فى حوض الامازون . فلا يعيش فى هذه المنطقة فى الوقت الحاضر أكثر من ثلاثة فى المائة من سكان البلاد على مساحة تبلغ ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ كيلومتر مربع تمثل ٤٢ فى المائة من مساحة البرازيل كلها · ويجرى الآن اعداد البرامج الطويلة المدى لتحقيق التنمية الاقتصادية فى هذه المنطقة الواسعة الأرجاء . وان لم يكن ثمة أمل فى تحقيق تقدم سريع نظرا للافتقار الى الأموال اللازمة · ولا تمثل الستون أو السبعون مليون دولار التى يمكن رصدها بموجب الدستور فى العام لتطوير حوض الامازون وتنميته الى أكثر من نقطة من الماء على صخرة تحرقها الشمس الاستوائية اللاهبة ·

ويطلق أهل البرازيل اسم « المضلع القاحل » على شطر كبير من القسم الشمالى الغربى من البلاد · وهناك حاجة ماسة أولا وقبل كل شىء للماء والقوة المحركة لتنمية هذا الجزء ، وهما متوافران فى الأنهار التى تجرى هناك · وتم اعداد مشروع مهم لتحويل جزء من مياه نهر توكانتينز الى المناطق القاحلة المجدبة بمساعدة مجموعة من السدود والأنفاق · وفى الامكان اقامة عدد من محطات القوة الكهربية ـ المائية التى يبلغ مجموع طاقتها ثلاثة ملايين كيلو واط ، على هذه السدود · ويمكن لهذا المشروع أن يزود المنطقة الواسعة الواقعة بين بيلين وفورتاليزا ، بالكهرباء الرخيصة ، كما يمكن له أن يؤمن الرى للأراضى فى حوض بارنايبا ·

ولكن الولايات الواقعة فى الشمال الشرقى من البرازيل تتميز فى الوقت الحاضر بأنها منطقة فقر ومجاعة وأمراض · ولقد أكد الوفد البرازيلى فى التقرير الذى قدمه الى المؤتمر الاقليمى السابع لمنظمة الزراعة والأغذية الدولية بوجه خاص النسبة العالية للوفيات فى تلك المنطقة والنقص الجذرى فى المواد الغذائية ، وسوء أوضاع الاسكان فيها · وينتقل الناس من تلك المنطقة بحثا عن العمل والخبز ، فتكتظ بهم جيوش العاطلين فى المناطق الأخرى من البلاد · ويرى بايريس فيريرا جوراندير

رئيس المعهد البرازيلى للجغرافيا والاحصاء ، أن استصلاح المناطق الداخلية ، وتنمية اقتصاد الولايات الشمالية الشرقية من البلاد على أساس الاستغلال الشامل لموارد الطاقة المائية يمثلان أهمية قصوى وذات أولوية بالنسبة الى البرازيل كلها · وسيكون فى الامكان بوجه خاص استخدام الأراضى الواسعة ذات الموارد الحرجة الغنية فى اهداف الانتاج وتنمية فروع الزراعة المختلفة . والتوقف عن استيراد المواد الغذائية ·

وتمثل البرازيل نموذجا للمصير المؤلم الذى يواجه البلاد التى فرض عليها الاستعمار ، انتاج محصول زراعى واحد · ولقد كانت حتى القرن الثامن عشر ، ممونة للعالم بقصب السكر ، بالاضافة الى تمويناتها من الذهب والماس · وغدت فى القرن التاسع عشر تزود البلاد الأخرى بالقطن ، ثم تحولت الى البن ليس الا · ولا شك فى أن تقلبات أسعار البن فى الأسواق الرأسمالية تصيب البلاد بالضرر اصابة شديدة ·

وفى وسع البرازيل بما تملكه من ثروات طبيعية أن تغدو فى الوقت نفسه واحدة من أكثر البلاد تقدما وتنمية فى العالم · ولقد تم العثور فيها على عشرة آلاف مليون طن من خامات الحديد وهو ما يعادل ثلثى مخزونات الحديد فى أمريكا اللاتينية كلها كما ان فيها موارد للطاقة الكهربية ـ المائية تقدر احتمالاتها بثلاثين مليون كيلو واط · وفى البرازيل مخزونات غنية من الفحم والمنغنيز والبوكسيت والنيكل · والصفيح · كما أن فيها احتمالات كبيرة للعثور على البترول والغاز الطبيعى · وبالرغم من أن البرازيل تملك احراج حوض الامازون الغنية فانها مازالت تستورد نحوا من ٧٠ فى المائة من المواد الأولية اللازمة لصناعة الورق ·

ولقد أجريت مؤخرا بعض الخطوات فى البرازيل كما فى بلاد أمريكا اللاتينية الأخرى ، لاقامة صناعة خاصة بها · وتم انشاء بعض المشروعات ومحطات توليد الكهرباء والسدود والأقنية · ولكن لم يبدأ العمل بعد بأى تنقيب شامل عن ثروات البلاد الطبيعية على نطاق واسع · وأقيمت فى عام ١٩٠٩ ادارة خاصة لمكافحة الجفاف فى البرازيل · وسرعان ما ظهرت لجان لوضع المشروعات لتطوير أحواض نهر الامازون وسان فرانسيسكو وبارانا وأوروجواى ·· ومضت السنوات والحقب ، ولكن البرازيل ظلت عملاقا مقيدا ·

وأعدت خطة للتنقيب عن الموارد فى الجزء الجنوبى من ولاية بيرو ، وحملت اسم « بيروفيا » . وتتركز هذه الخطة فى تنمية المنطقة الجبلية

التى تغطيها الغابات بين مدينة كوسكو العاصمة السابقة لولاية انيكاس ، وليما العاصمة الحالية لبيرو · وهناك تخطيط لاقامة مجمع صناعى كبير هناك ، يؤمن مجالات العمل لنحو من مليون انسان · ويضـــم المجمع مشروعات لانتـاج الألومنيوم والصفيح والزنك والمعـــادن الحديدية ، واستخراج خامات الحديد والبترول ، والصناعات الكيماوية والخشـبية والنسيج · وتؤمن الطاقة الكهربية من نهر مانتارو · وسيكون فى الامكان اقامة عدة محطـــات كهربية ـ مائية على النهر يبلغ مجمـوع طاقتها ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ كيلو واط · وتقضى الخطة ببناء مدينة بيروفيا لتكون مركز الصناعات الجديدة المستندة الى القوة الكهربية ، وبتأمين مياه الرى عن طريق الشبكات الجديدة الى نحو من ١٫٥٠٠٫٠٠٠ هكتار من الأرض ، وهى مســاحة تقل قليلا جدا عن مســاحة الأرض المزروعة حاليا فى البـلاد ·

وهناك مشروع آخر يتعلق بتنمية القطاع السـاحلى المسمى كوستا، والذى يمثل البقعة الزراعية الرئيســـية فى بيرو · ويقول الخبراء ان التنقيب عن موارد الطاقة المائية فى الأربعين نهرا التى تجرى من جبال الانديز باتجاه المحيط ، يمكن البلاد من زيادة مساحة الأراضى المروية بنسبة خمسين فى المائة ، كما يمكنها من انشاء عدد من مراكز الطـاقة الكهربية المحلية التى يبلغ مجموع طاقتها مليون كيلو واط ·

وعلينا أن ندرس المعلومات المتعلقة بالوضع الاقتصادى فى ضوء الأحوال الراهنة فى بيرو · فليس فى هذه البلاد الزراعية كميات كافية من الغذاء ، وليس فيها سوى ١٫٩٠٠٫٠٠٠ هكتار من الأراضى تزرع فعليا من مجموع ٥٧٫٠٠٠٫٠٠٠ هكتار من الأراضى الصالحة للزراعة · فلقد هبطت نسبة الانتاج الزراعى للفرد بين الثلاثينات والخمســينات بمعدل ١٣ فى المائة للأرز و ٣٠ فى المائة للبطاطا و ٦٥ فى المائة للذرة · وباتت بيرو التى كانت وطن البطاطا فى الماضى فى حاجة الى استيراده . وتقـوم أكثر من مائتى مؤسسة فى الولايات المتحدة ، بفرض نفسها على الاقتصاد فى بيرو · وهناك مؤسسة تدعى « سيرو دى باسكو » وهى أكبرها ، تحصر فى يديها استخراج جميع الصفيح فى البلاد و ٧٥ فى المائة من النحاس و ٥٠ فى المائة من الفضة والرصاص · وتســـيطر شركات روكفلر على صناعة البترول فى البلاد ·

ويتضح من هذا ان الطريقة الوحيدة للنهوض ببيرو القديمة تتمثل فى خلق اقتصاد وطنى مستقل ومتحرر من أصفاد الاستعمار الجـديدة وأساليب القرون الوسطى ·

وفي وسع المشروعات التي توضع لتنميـــة الموارد المائية لنهرى اورينيكو وماجدالينـا ، وروافديهما كاروني وكوكا ، تنمية شـاملة ، أن يؤمنا تطلعات التنمية الاقتصادية في فنزويلا وكولومبيا • وسيمكن تنظيم مجاري هذه الأنهار هذين البلدين من ري عدة ملايين من الهكتارات من الأرض الصحراوية في شرق كولومبيا وغرب فنزويلا ، ومن ربط حوض الأورينوكو والامازون بقنوات صالحة لمرور البواخر • وسيكون في امكان البلدين أن تحصـــلا على ممر مائي صـــالح ورخيص يربط بين المراكز الصناعية والتجارية فيهما •

وهناك قطاع يضم خامات الحديد وتبلغ مساحته مائة ألف كيلومتر مربع وفيه أكثر من ألفي مليون طن من المخزونات ، يمتد على طول نهر كاروني • وتمثل الخامات الرخيصة التي تستخرج في المناجم بالأساليب المكشوفة ، أغنية معشوقة لدى البلاد الأجنبيـــة ولا سيما لدى مراكز الحديد والصلب في الساحل الشرقي للولايات المتحـــدة الأمريكية • وتشـــتري الشركات الأمريكية الطن من خامات فنزويلا بعشرين سنتا وتبيعه الى المستهلكين بنحو من سبعة دولارات في نقطة التفريغ. وينطبق هذا القول على البترول أيضا • ويقول هكتور مالاوى ماتا الأستاذ في جامعة فنزويلا ، ان الارباح التي حققتها شركات البترول الأجنبيـــة في فنزويلا بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٦٠ ، بلغت أربعة أضعاف الاستثمارات الأساسية في صناعة البلاد البترولية ، وألحقت خسائر بفنزويلا تقدر بنحو من أربعة آلاف مليون دولار •

وتكفي الأموال التي ابتزت ويجري ابتزازها من فنزويلا لمصلحة الاحتكارات الأجنبية لاقامة مجمع صناعي يضم المشروعات البترو-كيماوية والصناعات المعدنية الحديدية وغير الحديدية ، ويؤدي الى تنمية صناعة هندسية وطنية وغير ذلك من فروع الصناعات التكريرية •

وفي وسعنا أن نلقي في النهاية نظرة على المكسيك • فلقد حققت هذه البلاد تقدما أكبر من كثير من دول أمريكا اللاتينية في مجال التنمية الاقتصادية ، ومع ذلك لا يزال أكثر من ثلث السكان يعيشون محرومين من نور الكهرباء •

وتجد المكسيك نفسها مضطرة الى استيراد أكثر من نصف القوة التي تستهلكها من الولايات المتحدة بالرغم من وجود مخزونات كافية من البترول والغاز الطبيعي والفحم وموارد الطاقة الكهربية المائية فيها •

ولقد هدف الاستعمار الى استخدام المكسيك كممون بالفضة والمعادن غير المعدنية والماشية • وظلت الأساليب الزراعية المستعملة فيها مشابهة لتلك التي كانت تستخدم في عهد الفاتحين الاسبان • ولم تمس وسائل الري قبل حقبة العشرينات ، وان كانت حيوية لأكثر من ٩٤ في المائة من مجموع أراضي البلاد ، وظلت عمليات استصلاح الأراضي احدى المشاكل الاقتصادية الرئيسية التي تواجه المكسيك • وأعدت المشروعات مؤخرا للمنشآت الهندسية المائية في أحواض أنهار جريجالفا وأوسوماسنيتا وريو دي لاس بالساس وغيرها ، وبينها اقامة عدد من المحطات الكهربية المائية التي يبلغ مجموع طاقتها نحوا من أربعة ملايين كيلو واط • ويمكن استخدام الطاقة التي تولدها هذه المحطات في تنمية الصناعات الكيماوية والبترول والصناعات المعدنية الحديدية وغير الحديدية •

وسيسمح التنقيب الشامل للموارد المائية بالافادة الواسعة من الاحتمالات الاقتصادية في الأقسام الجنوبية الشرقية الاستوائية من المكسيك • وتمكينها من ري مليوني هكتار من الأرض ومضاعفة انتاج البلاد الزراعي • وهناك مساحات هائلة من الأرض في الوقت الحاضر بينها نحو مليون هكتار من الأراضي الخصبة في المناطق الساحلية ، مهددة بالدمار بشكل منظم ، من الفيضانات • ولو تم تنظيم جريان هذه الأنهار ، لبات في الامكان تنمية مشروعات الغذاء وقطع الأخشاب ، والاضاءة وصناعات مواد البناء •

ويمثل الري شيئا حيويا للمناطق الشمالية الغربية في المكسيك ، وهي الأقسام التي تزود المكسيك بنحو من سبعين في المائة من قمح البلاد وخمسة وتسعين في المائة من القطن •

وقال لوبيز ماتيوس الرئيس السابق للمكسيك « ان هناك خطرا رهيبا يعيق نجاحنا في أداء جميع واجباتنا الوطنية ، وهي احتمالات الحرب ، أو استحالة انهاء سباق التسلح ، والتسابق على الأسلحة القاتلة ذات الدمار الذري • ولو تحول هذا الاحتمال الى واقع ، فسيمثل ضربة ساحقة توجه الينا والى العالم كله • ولعل هذا هو الذي يدفعنا الى مواصلة الدعوة الى المفاوضات ، التي لابد أن تنهي على المدى الطويل احتمالات نشوب حرب أخرى • ونحن نقف تماما الى جانب أولئك الذين يقاتلون ويناضلون في أجزاء العالم المختلفة وفي جبهات متعددة ، من أجل قضية جميع الشعوب والأمم ، ومن أجل قضية السلام » •

ولقد حققت بلاد أمريكا اللاتينية كلها استقلالها الرسمي منذ أكثر من ١٥٠ عاما · ولكن هل حققت هذه البلاد الكثير من التقدم في هذه المدة الطويلة ؟ فهذه المنطقة الواسعة والمغرقة في الثراء لا تنتج الا ٨ر٤ في المائة من مجموع الانتاج الصناعي في العالم الرأسمالي · ولا يزيد معدل الدخل السنوي للفرد من نصف سكان القارة على ١٢٠ دولارا · وتحتاج أمريكا اللاتينية في ضوء المعدل السنوي الراهن للنمو والذي لا يزيد على واحد في المائة الى سبعين عاما لمضاعفة هذا المعدل الفردي الضئيل · فهي تسير رحلة في نفق مظلم لا يتراءى في نهايته أي ضوء · ولا شك في ان هذا الوضع يدعو الى تفكير أولئك الذين يرغبون في اظهار أمريكا اللاتينية كنموذج لجارتها في الشرق وهي القارة الافريقية ·

ونحن لا ننكر ان هناك مراكز صناعية كبيرة كريودي‌جانيرو أو ساو باولو في أمريكا اللاتينية وهي تعادل في حجمها بيتزبرج أو ديترويت أو كليفلاند · فالصناعة هنا أكثر تنوعا منها في مناطق آسيا أو افريقية التي هي أقل تنمية·ولكن هذه المراكز لاتعدو أن تكون جزرا صغيرة لا قيمة لها في بحر من التخلف الاقتصادي وجمود القرون الوسطى · يضاف الى هذا ان ما تحققت تنميته هنا لا يمت في غالبه الى الشعب في هذه المناطق · فاحتكارات أمريكا الشمالية تسيطر على٨٥ في المائة من المشروعات التعدينية ومن محطات توليد الكهربا المائية ، وعلى ٩٥ في المائة من المناجم و ٤٠ في المائة من أجهزة النقل و ٣٠ في المائة في جميع الفروع الأخرى في اقتصاد بلاد أمريكا اللاتينية · ويسيطر رأس المال الأمريكي أيضا على ٦٠ في المائة من انتاج البترول ·

ويعتبر التصنيع على نطاق واسع الحل لمشكلة التخلف الاقتصادي في أمريكا اللاتينية · ولكن هذا الحل لم يقترح من جانب « التحالف من أجل التقدم » الذي يحاول البعض اقناع أمريكا اللاتينية به (١) · ولقد كتبت مجلة « أولتيما هورا » تقول : « ان التحالف من أجل السلام ، لا يشجع على خلق الثراء في بلاد أمريكا اللاتينية ، ولا على تحويل اقتصادها المغرق في تخلفه الى اقتصاد متقدم ، ولا يسهل لها السير في طريق النمو الاقتصادي ، ولا يمول لها انشاء المصانع وبناء

---

(١) يطلق هذا الاسم على التحالف الذي يضم دول أمريكا اللاتينية والوسطى الذي فرضته الولايات المتحدة عليها بزعامتها · — المعرب —

السدود ومحطات توليد الكهرباء ، أو الأعمال التعدينية ، وكل ما يفعله هو توزيع فضلات الموائد » .

ولا يستطيع المرء الا أن يتفق مع علماء أمريكا اللاتينية ورجال الاعلام فيها وشخصياتها العـــامة من الذين يرون أن التغلب على التخلف والفاقة والمجـــاعة والأمية ، يتطلب من أمريكا اللاتينية أن تشرع دون ابطاء فى عمليات البناء السلمى ، على نطاق واسع للغاية يستند الى آخر منجزات الحضارة الانسانية ٠

٧ بعض الإيضاحات

هذه مخططات المشروعات والتطلعات التي يستطيع نزع السلاح الشامل والكامل تأمينها للبلاد النامية في آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية .

وعندما نتعمق في بحث البرنامج الاقتصادي لنزع السلاح ، يتراءى أمامنا سؤال طبيعي وهو كيف يمكن لنا أن نوزع الأموال والموارد التي يوفرها نزع السلاح الشامل والكامل ، لدفع عجلة النمو الاقتصادي في هذه البلاد . ومن المتيسر في الوقت الحاضر بالطبع ، أن نضع أي تقييم لا سيما أن هناك عوامل كثيرة لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار .

ولو انتقلنا من الخطط التي عرضناها والتي أعدت بالفعل للتنقيب عن موارد الطاقة والموارد الطبيعية الأخرى في هذه البلاد ، وبدأنا بالاحتمالات التابعة عنها لتحقيق التنمية الشاملة للصناعة والنقل والزراعة ، فان بعض التقديرات التقريبية ، تبين أن مجموع الانفاق على هذه الأهداف وهو يشمل تدريب الأشخاص من أهل البلاد ، يصل تقريبا الى مائتي ألف مليون دولار لجنوب شرق آسيا والشرق الأوسط و ١٦٠ ألف مليون دولار لافريقية و ١٤٠ ألف مليون دولار لأمريكا اللاتينية . ويمكن الحصول على هذه الأموال عن طريق تنفيذ نزع السلاح الشامل والكامل في غضون فترة زمنية قصيرة تتردد بين عشرين وخمسة

وعشرين عاما • ولابد أن نضيف الى هذه التقديرات الأموال التى يمكن جمعها من بلاد هذه الأجزاء من العالم نفسها •

وفى وسع هذه الاجراءات والمخططات اذا نفذت ، وأقيمت المشروعات الصناعية والمستندة الى القوة الكهربية أن تقرب جميع بلاد آسيا وافريقية وامريكا اللاتينية من المستوى الراهن للتنمية الاقتصادية فى فرنسا وبريطانيا .

وليست المشروعات والأفكار الهندسية التى تولينا وصفها هنا الا جزءا من تلك التى تجرى مناقشتها الآن فى الكتابات التقنية على الصعيد العالمى • والمعروف أن مشكلة الموارد والاحتمالات الاقتصادية والطبيعية فى افريقية وأمريكا اللاتينية والمناطق غير الاشتراكية فى آسيا ، لم تدرس بوجه عام الا دراسة قليلة • ولم يقم العلماء البارزون بأية حسابات جادة للموارد البترولة «الأخيرة والموجودة» فى العالم ، الا منذ أمد قصير • فلقد أدت تصفية الحكم الاستعمارى فى عدد من المستعمرات السابقة ، وتحسين التنقيب الجيولوجى ، واستخراج البترول الى ثورة كاملة فى هذه التقديرات • ويعتقد بعض علماء طبقات الأرض أن قارتى افريقية وأمريكا اللاتينية تقومان بكاملهما على « بحر من البترول » • ومهما تكن هذه التقديرات العالمية زاهية أو مشرقة ، فان المكتشف من آبار البترول يثبت أن النظرة السابقة عن « المخزونات الأخيرة الباقية من البترول » ، كانت خاطئة تمام الخطأ • ولقد اكتشفت حقول بترولية جديدة كثيرة ، فى عدد من البلاد التى تم تحريرها من الاستعمار • ويبدو تبعا لذلك وكأن التاريخ يعيد نفسه • وكانت روسيا القيصرية على سبيل المثال تضم منطقة واحدة منتجة للبترول وهى باكو • أما الآن فقد اكتشف البترول فى مناطق واسعة فى الاتحاد السوفياتى كالمنطقة الواقعة بين الفولجا وجبال الأورال ، ومنطقة آسيا الوسطى ، وغرب سيبيريا ، والشرق الأقصى وأوكرانيا والأجزاء الغربية من روسيا البيضاء ، والشمال الأقصى • يضاف الى هذا أن التطور التقنى أدى الى زيادة الفاعلية والكفاية فى استغلال حقول البترول التى تم اكتشافها •

ويصح هذا أيضا بطريقته الخاصة على مخزونات العالم من الفحم والفحم الحجرى وخامات الحديد والمعادن غير الحديدية والمنغنيز وغير ذلك من المعادن • ولا تمثل الآراء المتعلقة بالقوة المحركة والموارد الصناعية والزراعية فى أية منطقة بوجه عام شيئا ثابتا ، وانما تمثل أمرا متحركا ومتنوعا • ويرتبط ارتباطا مباشرا بالمستوى القائم من المعرفة الهندسية

والعلمية ، وكذلك ، وهو الأمر المهم ، بالعلاقات الاجتماعية السائدة فى أى بلاد ، وفى أى منطقة جغرافية بل فى العالم كله ٠

ولا حاجة بنا الى القول ، بأن الخطب والتصريحات وحدها لا تستطيع ان تحقق للدول بعثها الاقتصادى وتقدمها . فمن اللازم اللازب بناء الصناعة بأناة واصرار ، وتدريب العاملين فيها من أبناء البلاد ، وحل مشكلة جمع الأموال لها ٠ ونشر التقدم للشعوب فى مجالاتها الحياتية والثقافية ، وتطوير الحماية الصحية وغير ذلك من الأمور . ومن الضرورى أيضا ادخال أكثر منجزات العلم والهندسة بكثير من الاصرار فى جميع فروع الاقتصاد وتحسين أساليب الادارة . وكل هذه الأمور ضمن نطاق القدرات الانسانية . ولقد خاضت عدة دول افريقية وآسيوية بالاضافة الى الاتحاد السوفياتى وغيره من البلاد الاشتراكية غمار التجارب لمعالجة مشكلات من هذا الطراز .

وفى وسع العلم الحديث فى الدول الصديقة المتقدمة أن يقدم عونا فعالا لبلاد وقارات أعاق الاستعمار تنميتها الاقتصادية ٠ ولقد ظهرت مدرسة تقدمية للفكر الجيولوجى ابان عملية البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفياتى ، وتم اعداد الخرائط الجيولوجية الكاملة لجميع أراضيه ٠ ويستخدم ألوف المنقبين الآن هذه الخرائط ، التى تعرض صورة مرسومة لتركيب الأرض ، وابراز الأوضاع الجيولوجية التى يمكن فى ظلها الكشف عن وجود معدن معين ٠ وفى وسع علماء طبقات الأرض أن يتبينوا على الفور ما يبحثون عنه فى أية منطقة معينة سواء أكان البترول أم الماس أم الفحم والنحاس ٠

وقرر المؤتمر الجيولوجى الدولى الذى عقد فى باريس فى عام ١٩٦٣ الشروع فى اعداد خريطة جيولوجية للعالم كله ٠ وعهد المؤتمر الى الجيولوجيين السوفيات باكمال هذا المشروع المهم وتولى العالم دى٠ تاليفكتين القيام بالمهمة على رأس مجموعة من العلماء ٠ وكان هذا القرار اعترافا من المؤتمر بتقدم العلم السوفياتى ٠ ولقد قال هذا العالم ان « العمل فى اعداد الخريطة الجيولوجية للعالم يعتبر نموذجا رائعا للتعاون بين العلماء الذين يمتون الى بلاد مختلفة من أجل الأهداف السلمية » ٠

وليس ثمة من شك فى أن هناك الكثيرين من العلماء والمهندسين والتقنيين وغيرهم من الاخصائيين فى جميع البلاد ، على استعداد تام للاشتراك فى المشروعات الهندسية ومشروعات الرى التى سبق ذكرها ٠ ولو تحقق التبدل فى الوضع الدولى ، فان الكثيرين من هؤلاء سيؤثرون

ولا شك مثل هذه الجهود السلمية على مواصلة عملهم الراهن فى صناعة أسلحة الدمار الشامل وتطويرها ٠

ولا تستطيع الدول المستقلة الحديثة بالطبع الشروع فى المشروعات الكبرى التى سبق ذكرها ٠ فلكل بلاد متطلباتها الكثيرة العاجلة وحاجاتها ٠ فبعض هذه الدول على سبيل المثال ، مازالت تستورد وبأسعار عالية جميع سلعها المصنعة من الدول الاستعمارية السابقة ٠ وعليها أولا أن تحقق استقلالها الاقتصادى ، وتجمع أموالها ، وتدرب أبناءها ، لتستطيع بعد ذلك أن تشرع فى معالجة المشكلات الاقتصادية الأكثر تعقيدا والتى تواجهها ٠ فلقد شرعت روسيا الاشتراكية فى تنفيذ خطتها لكهربة البلاد كلها على أساس مخطط لينين المعروف بانشاء المشروعات الصغيرة وبناء محطات صغيرة لتوليد الطاقة الكهربية على نهر فولخوف ، ثم انتقلت البلاد بعد ذلك الى مشروعات أكبر مع اتباع النهج الواقعى المعتمد على التقدير الصحيح للقوى والوسائل المتوفرة والموجودة ٠

ولقد أعرب ممثلو الدول الفتية المستقلة فى الأمم المتحدة عن مخاوفهم من أن يؤدى استخدام الأموال التى يوفرها نزع السلاح الكامل والشامل فى تنفيذ المشروعات الكبرى التى تقتضى وقتا طويلا فى البناء والانشاء الى تجاهل الاحتياجات الملحة والفورية ٠ وطلب هؤلاء توجيه الموارد التى يوفرها نزع السلاح أولا لتمويل مشروعاتها القومية وبرامجها الاقتصادية التى أعدتها هى ٠ وبينوا أن من الضرورى وضع الوسائل الموفرة بواسطة نزع السلاح ، تحت تصرف حكومات هذه البلاد نفسها ٠ وأصر الممثلون على عدم اغفال الحكومات القومية ، وأن الكلمة الأخيرة فى جميع القضايا المتعلقة بالنمو الاقتصادى الذى ترصد له هذه الأموال لابد أن تكون للدول الفتية المستقلة ٠ وأضاف هؤلاء انهم يخشون من تكرار تجربة الكونجو المؤلمة ، اذا كانت أمريكا هى التى ستتولى معالجة الموضوع عن طريق اشغالها لمعظم المناصب الرئيسية فى سكرتارية الأمم المتحدة ٠

ولا شك فى أن لهذه الرغبات ما يبررها ، وأن من الضرورى أخذها فى عين الاعتبار عند دراسة هذه البرامج ٠ ولابد أن يعد الأساس الصحيح للبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، أولا وقبل كل شىء من جانب الحكومات والمنظمات العلمية والعامة والخبراء فى البلاد النامية وفى المناطق ذاتها ٠ ويجب ألا نسمح أبدا باستخدام هذه القضية الهامة بأى شكل من

الأشكال فى التدخل فى الشئون الداخلية للدول ، أو باستمرار الاستغلال الاستعمارى أو شبه الاستعمارى فى صوره الجديدة فى أية منطقة من المنـاطق لمصلحة الدول الامبريالية • ومن الواضح أن خير وسيلة يمكن استخدامها الأسلوب الذى وضعه لينين لاستكمال خطة كهربة روسـيا السوفياتية ، والذى افترض مسبقا بصورة واضحة ومؤكدة ، أن هـذه الخطـة لابد أن ترتكز على المبادرات والاقتراحات المحلية • وعنـدما تم وضع الخطة ، كانت تتضمن الى حد كبير الطلبات والاقتراحات المقدمة من مختلف المناطق والأقاليم فى روسيا • ولن يكون فى الامكان وضع أى برنامج اقتصادى واقعى وذى قيمة علمية لنزع السلاح الا على أسـاس دراسة شاملة لمصـالح البلاد النامية ومتطلباتها واقتراحاتها ، بوصفها سيدة ثرواتها الطبيعية والمتصرفة بها .

ولابد أن تتألف وكالات الأمم المتحـدة المعنية بتنسيق الجهـود الاقتصادية على نطاق البلاد كلها أو على نطاق اقليم جغرافى يضم عددا من البلاد ، بحيث يضمن النفوذ الحاسم فيها لممثلى هذه البلاد وأن يمارس هؤلاء الممثلون لا الآخرون هذا النفوذ • وفى الامكان رصد أولى الاعتمادات للسير سراعا فى طريق تنفيذ البرامج القومية للتنمية القائمة ، وأن تكون هذه البرامج صغيرة على الغالب فى البداية ، ليتم الانتقال منها بصـورة متدرجة الى برامج أكبر •

ويتضح من هـذا أن ما يطلب الآن هو وضـع برامج ومخططات اقتصادية صالحة للتطبيق ومستندة الى الاسهام الطوعى المتصف بالتصميم من جانب الدولة المسـتقلة • ونحن لا ننكر أن الصـلاح للتطبيق أمر نسبى ، يعتمد على أهداف المجموعة الاجتماعية المسيطرة فى تلك البلاد • وليس فى امكان أية موارد فى العالم أن تكون كافية لاخراج البلاد المتخلفة من حمأة التخلف التى تجد نفسـها فيها ، اذا كان الهـدف مجرد اقامة مشروعات صغيرة جزيلة الربح ، واذا كان التطلع العـام للانتصـار على التخلف الاقتصادى للبلاد فى وقت قصير ، بعيدا عن الدرس الوافى ، واذا كان لباب الفكر الاقتصادى ينحصر فى الحصـول على أقصى حد من الأرباح لمجموعة صغيرة من الناس مع الابقاء على الجمهرة الغالبة من السكان فى أوضاع اللاتكافؤ والتخلف والفاقة • ويقال ان الولايات المتحـدة استثمرت بعد الحرب العالمية الثانية نحوا من عشرة آلاف مليون دولار فى الفلبين ، ولكن هذه البلاد ما زالت متخلفة تسيطر عليها الفاقة . ولم تفد من هذه الاستثمارات الا مجموعة صغيرة من أهل الفلبين من عملاء

الاستعمار الذين جمعوا ثروات كبيرة ، وباتوا يعيشون فى رغد مع الأمريكيين الذين يملكون المستوطنات فى مانيلا ، محمية برجال الشرطة ، ومحاطة بالأسيجة التى تفصلها عن أحياء الفقراء ٠

وعلينا أن نتبين أيضا أن الأفكار التى ينشرها العلماء والدعاة الغربيون والتى يبرئون فيها الامبريالية والاستعمار من ذنب الابقاء على التخلف فى البلاد النامية ، وينسبونه الى الظروف المحلية ، كوجود مخلفات الاقطاع على سبيل المثال ، وما شابه ذلك من الأعذار ، ليست فى الواقع الا تضليلا متعمدا ٠ وستظهر أية دراسة دقيقة أن هذه الظروف الداخلية ، ليست بوجه عام ، الا ثمرة ألاعيب القوى الامبريالية الخارجية ٠

وعندما كان البحث يدور فى الأمم المتحدة فى موضوع البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، أصرت بعض الوفود الغربية ، على أن وضع خطة للتغلب على التخلف الاقتصادى للبلاد النامية على أساس نزع السلاح « سابق لأوانه ، وانه سيؤدى الى اشعال الآمال والتطلعات التى لا مبرر لها فى هذه البلاد » ٠

وليست النظريات الليبرالية والامبريالية عن « التدرج » والتى تتحدث عن أن « الوقت لم يصبح صالحا للبحث فى المشكلات الواسعة » ، الا استمرارا للماضى ، يستند الى النظرية اللاواقعية التى تقول ان الدول الغربية وحدها هى التى تعيش كما يزعم فى القرن العشرين وأن الشعوب فى بلاد آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ما زالت تعيش فى القرن الخامس عشر أو الثالث عشر أو العاشر ولكن الحقيقة تقول ان جميع الشعوب تعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين ، مهما كانت مرحلة التنمية الاقتصادية التى حصلت عليها ٠ ولا تكمن المصيبة فى التقاعس عن الاكتراث الصحيح بتدنى مستوى التنمية المادية والتقنية فى مختلف البلاد ، ولا فى الافتقار الى العدد الكافى من الناس الذين ينظرون الى أبعد من رءوس أنوفهم ، وانما يكمن فى أن عدد الخبراء فى البلاد الامبريالية الرفيعة التنمية والقادرين على التفكير على نطاق واسع قليل للغاية ٠ وليست المصيبة فى أن ليس ثمة عدد كاف من المخططات الهندسية من النوع الذى وصفناه فى الفصول الثلاثة السابقة من هذا الكتاب ، فالنقص موجود فقط فى الخطط التى تعكس السياسة الاقتصادية الرئيسية وفى الأهداف الحكومية المزدوجة فى غايتها ، أى على المستوى العالمى ، من ناحية الالتزام بالكفاح كفاحا فعالا لتحقيق نزع السلاح الشامل والكامل،

والسلام ، وعلى المستوى المحلى من ناحية التنمية البعيدة المدى لقوى الانتاج فى البلاد لمصلحة السكان جميعا وبهدف التغلب على التخلف الاقتصادى ٠

ونحن لا نعنى فى المرتبة الأولى بالخطط المحددة ، وانما نعنى بتقدير تقريبى لما يجب أن يعمل فى طول العالم وعرضه ، لنكتشف عن طريق الرسم ، وبصورة شعبية ما يمكن عمله وما يجب عمله ، اذا قدر للمنطق لا للنوايا السيئة أن تقرر سير الأحداث العالمية ٠ وستتضح الرؤية أمام الشعوب وبصورة علمية سليمة بينة ٠ وتتركز فى مكافحة الرجعية والنزعة العسكرية والاستعمار والامبريالية ، وهكذا تشهد الكرة الأرضية وفى وقت قصير تحولا كبيرا ، اذ تخضر الصحارى ، وتحل الآلات محل قوة العمالة البشرية الشديدة الحماسة ٠ ولا شك فى أن تنفيذ مثل هذه الخطة ، سيقع فى بعض المناطق بل فى بلاد معينة ، وقد يحدث هذا قبل تحقيق نزع السلاح الشامل والكامل ، على أساس تغيير النظام الاجتماعى القائم الذى ما زال حتى اليوم يعرقل التنمية الاقتصادية ونزع السلاح فى وقت واحد ٠

ولقد أظهرت التجربة التى مر بها شعب الاتحاد السوفياتى بمنتهى الوضوح ان فى وسع جميع الشعوب أن تصل الى أعلى ذرا الحضارة ٠

ومن المتعذر بالطبع ، اعادة تنظيم الانتاج على أساس عصرى ، طالما ان غالبية السكان فى البلاد التى تم تحريرها ما زالت مؤلفة من الأميين٠ ولا يكفى القضاء على الأمية وحدها ، اذ ستكون البلاد فى حاجة الى المتعلمين ، والواعين سياسيا والعمال المثقفين والخبراء من ذوى المؤهلات العالية ٠ ولقد أصبحت أساليب قيادة الجماهير واخراجها من الظلام ومن أوضاع التخلف ، معروفة تماما ، وليست فى الكتب والنظريات وحدها ، وانما توجد فى التجارب العملية لمئات الملايين من الناس ٠

ويتحقق التحول للناس أيضا أثناء تحول الأوضاع التى يعيشون فيها ، وكتب لينين فى عام ١٩٢٠ يقول : « علينا أن نؤمن تحول كل مصنع وكل محطة لتوليد الكهرباء الى مركز من مراكز النور والتعليم ٠ واذا أصبحت روسيا مغطاة بشبكة كثيفة من محطات القوى الكهربية والمؤسسات التقنية الكبيرة ، فان التنمية الاقتصادية فيها تتحول الى نموذج للاشتراكية فى أوروبا وآسيا » (١) ٠

---

(١) لينين ـ مؤلفات وكتابات مختارة ـ الطبعة الانجليزية ـ المجلد الثالث ـ ص ٥٥٨ ٠

وهنـاك من يشـكون أن فى امكان شـعوب البلاد النـامية أن يتمرسـوا فى وقت قصير بالمنجزات المعقدة للعلم الحديث والهندسـة والانتاج الصناعى • ولكن لنلق نظرة حولنا لنرى ما تحقق حتى الآن •

علينا أولا أن نرى كيف أن جمهورية مصر العربية ، وهى البـلاد التى تعرضت فى الماضى لجميع صور الاذلال والاحتلال والاستعباد من جانب المستعمرين الأتراك أولا ثم المستعمرين البريطانيين ، والبلاد التى فرض المستعمرون عليهـا التخلف وسرقوا ثرواتها ، وداسوها بأقدامهم قد تمكنت وبعزيمة لا مثيل لها فى المـاضى ، وبحيـوية رائعة من الخروج ظافرة من المعركة القاسية التى خاضتها لتحقيق استقلالها السـياسى واسـترداد حقوقها الدوليـة ، وكيف باتت تلعب الآن دورا فعالا فى الشـئون الدولية ، فكسفت بالطبيعة الكريمة لأعمالها أمجاد بريطـانيا العظمى التى لوثتها أعمال المستعمرين والامبرياليين والمحتكرين •

ويعرف أولئك الذين لم ينسوا التاريخ القريب كيف بذلت الدوائر الحاكمة فى اسبانيا والبرتغـال والولايات المتحـدة وهولندة وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا ، قصارى جهودها باصرار ولمدة طويلة ، لقتل الحيـاة السياسية والثقافية فى الهند وأندونيسيا وبلاد أمريكا اللاتينية ، وبلاد الوطن العربى وغانا وبورما • ولكن غالبية هذه البلاد أصبحت حرة الآن• ولكن هل تقف وراء البلاد الأخرى فى المعنى الانسانى العام ؟ لا فهى لا تتأخر عنها فى أى شىء سوى التنمية الاقتصادية • وهى على النقيض من ذلك ، تحترم بوجه خاص الانسان الفرد وتقدر حرية الأمم ومزاياها ، ولها قيمها الروحية والمعنوية التى قتلت على سبيل المثال والى حد ما فى بلاد أوربا الغربية • ولا ريب فى أن البـلاد المتحررة ، تلعب الآن دورا نشطا وكريما فى الشئون الدولية •

ويعرف العـالم كله ويحترم عبـد الناصر وموديبوكيتا ونهرو وسيكوتورى والبطل الشهيد باتريس لومومبا • وكان هؤلاء ورفاقهم فى السلاح حتى وقت قريب ، نزلاء السجون ، وضحايا التعذيب والضرب ، ولكن سراحهم ما لبث أن أطلق ، وصافحتهم الأيدى التى كان أصحابها يخفون رغباتهم فى اعطائهم سلطات وهمية • ولكن عندما أطلق سراح هؤلاء الوطنيين لم يزجوا فى السجن بأولئك الذين يتحملون اللوم على آثام الاستعمار والتعاون مع العصابات الامبريالية •

وما زالت قوى الاستعمار تتمسك بمخلفات سيطرتها على قارات

بكاملها . ولكن أعاصير الحرية تهز هذه القوى هزا عنيفا . وهي تسير الآن في طريق الضعف المتدرج ، مع ظهور الدول المستقلة حديثا .

وهنا يبرز سؤال مهم وهو هل تستطيع بلاد كالهند وأندونيسيا وجمهورية مصر العربية والبرازيل والمغرب أن تتغلب على تخلفها الاقتصادي ، اذا اتبعت الطريق التي سارت فيها في الماضي البلاد الرأسمالية المتقدمة كالولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا واليابان ؟ علينا أن نقر أولا أنها لا تستطيع ذلك . فلقد غدت الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا واليابان بلادا صناعية عن طريق الحروب العدوانية التي خاضتها والفتوحات الاستعمارية التي قامت بها ، ونهب الدول الأخرى وشعوبها ، وابتزاز الغرامات الضخمة من الدول المقهورة ، والعثور على الأساليب الأخرى المؤدية الى العظمة والثراء . ولقد شقت طريق الحضارة في هذه البلاد على أجساد الملايين والملايين من الضحايا من الفلاحين والعمال والبالغين والأطفال .

أو يمكن لأية دولة فتية أن تأمل بأن تكون « محظوظة » في ميدان القتال أو عن طريق فرض الظلم أو العبودية على الشعوب المجاورة لها ؟ لا فلقد مضت العهود التي كان في امكان بعض الأمم أن تثرى على حساب الآخرين عن طريق الحرب أو الفتح الاستعماري أو النهب الذي لا رحمة فيه لملايين العمال الى غير رجعة .

أو في وسع البلاد النامية أن تعتمد على العون من الاحتكارات الكبرى في الدول الامبريالية ؟ وهل في وسعها أن تحصل من هذه الاحتكارات وحكومات تلك الدول على رءوس الأموال اللازمة لها لاقامة صناعة عصرية ضخمة ، ولتحقيق تنمية زراعية سريعة ؟ هناك من يحملون مثل هذه الآمال ، ولكن الحياة نفسها تثبت انها آمال عاتية . وهناك بلاد تتميز بغناها بمواردها الطبيعية كايران مثلا ، ظلت تتعلق بهذا الخط الفكري أكثر من حقبة كاملة . ولكنها ، أي ايران ، بالرغم من جد أهلها ، وغزارة ثرائها بالبترول والغاز الطبيعي ، ما زالت عاجزة عن التقدم بأية صورة من الصور ، مع وجود العديد من المستشارين الأمريكيين الأجانب ، والمدربين ، وأولياء الأمور . وقد يكون الواقع أن وجود هؤلاء المستشارين هو الذي يحول بين ايران والسير قدما .

وكتب فريتز ستينبرج ، رجل الاعلام الألماني الغربي يقول : « أن البلاد الامبريالية في أوربا ابان فترة سيطرتها على المستعمرات ، نفذت عددا من الاجراءات التي سدت الطريق أمام المستعمرات والبلاد شبه

التابعة ، وحالت بينها وبين التطور الصناعي على غرار الصورة الأوروبية. ولم يكن من قبيل الصدفة العارضة والحالة هذه ، اذا كان التصنيع المكثف للمستعمرات السابقة لا يدرس دراسة جادة ، الا بعد أن تفوز هـذه البلاد باستقلالها السياسي وتصبح دولا حرة ذات سيادة » .

ولم يظهر أي تبدل في الاتجاهات الاقتصادية للدول الاستعمارية السابقة حتى بعد حصول مستعمراتها على استقلالها السياسي فلقد وضعت الاحتكارات خططها بالطبع لاستغلال الدول المتحررة . وقد تظهر مشروعات أو مناجم عصرية هنا أو هناك ، وفي أي وقت في آسيا وافريقية ، ولكن ظهورها يظل بعيدا كل البعد عن التحول الضخم والشامل والأصل في اقتصاد هذه البلاد .

وليس في مكنة هـذه الدول القومية الفتية في ظل مثل هـذه الأوضاع أن تأمل في سرعة اللحاق بالبلاد الغربية .

وليست القضية مجرد نية سيئة من جانب الاحتكارات الرأسمالية، فالطبيعة الاقتصادية لرأس المال الاحتكاري ، هي من الطراز الذي يعجز بل لا يحاول القيام بأي عمل يؤدي الى حل فعلي لمشكلة التغلب على التخلف الاقتصادي في البلاد النامية . فحتى الولايات المتحدة نفسها وهي أكثر البلاد الرأسمالية تنمية وتطورا ، تضم ما بين ست وثماني مناطق متطورة تطورا صناعيا ضخما ، والى جانبها مناطق واسعة تتخصص على الغالب في انتاج مادة أولية واحدة أو زراعة محصول واحد . وتضم المنطقة الصناعية في شمال شرق الولايات المتحدة نحوا من ٩ر٣٠ في المائة من أراضي البلاد وهي تنتج نحوا من ٨٠ في المائة من إنتاج البلاد من المعادن غير الحديدية ومن ٦٠ في المائة من قوتها الكهربية . ويتركز ٥٥ في المائة من انتاج بريطانيا في الصناعات البترولية و ٦٣ في المائة من انتاجها من الحديد المطاوع والصلب أكثر من ٦٠ في المائة من الانتاج الحربي كله في ١٥ منطقة صناعية أساسية . وتقدم منطقة الروهر الصناعية في ألمانيا الغربية ٩٠ في المائة من انتاج البلاد من الفحم و ٨٥ في المائة من انتاجها من الصلب والصناعات الكيماوية والحربية .

ترى ما السبب في ذلك ؟ من المجزي في أوضاع الرأسمالية وحتى في أكثر البلاد الصناعية تنمية وثروة ، أن تتم الاستثمارات في أكثر مناطق البلاد تنمية صناعية. ففي هذه المناطق، تكثر المحطات الكهربية وتسهيلات الاسكان المناسبة ، ووسائل النقل المتطورة ، والبنوك والمهندسون والتقنيون والعمال الفنيون ، وأعداد كبيرة من العمال الآخرين . وتكون النفقات الأولية لبناء المشروعات الجديدة في مثل هذه المناطق ، أقل من

تكلفة اقامة مشروعات صناعية جديدة فى المناطق الأخرى غير المتطورة .
يضاف الى هذا أن الاحتكارات الكبرى ، تستطيع بوجه عام أن تتوقع ربحا أكبر من استثماراتها فى المشروعات التى تقام فى المناطق المتطورة صناعيا ، اذ ان طاقة السوق الداخلية على الاستيعاب تكون هناك أكبر منها فى مناطق الأرياف .

ولما كان مثل هذا الوضع سائدا فى الولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا ، أى حتى فى البلاد الرأسمالية المتقدمة ، فان من المنطق عند وضع المخططات الاقتصادية وحساباتها على أساس الحصول على أجزى الأرباح وأعلاها للاحتكارات الكبيرة ، ألا تقوم مراكز صناعة وحضارة فعلية ورئيسية فى بعض البلاد البعيدة كالكونجو وكينيا أو حتى فى الهند وجمهورية مصر العربية وأندونيسيا وتقيم التجارب المتجمعة فى نحو من مائة عام من عمر الاقتصاد الامبريالى العالمى الدليل على حقيقة واقعة وهى أن البلاد النامية تصبح فى ظل النظام الامبريالى أكثر نموا ، وان البلاد المتخلفة تظل متخلفة . ولعل التقدم الوحيد الذى تستطيع البلاد السائرة فى طريق النمو الحصول عليه ، ينحصر فى اقامة بعض المشروعات فى صناعة التعدين على أراضيها لانتاج المواد الأولية . وتعمل هذه المشروعات على نهب هذه البلاد ، عن طريق اخراج جميع المواد الأولية التى تنتجها ومعها فى الغالب المواد الغذائية أيضا . ومن الصحيح أن هذا الوضع قد لا ينطبق على الأماكن التى توجد فيها موارد رخيصة ومربحة للطاقة بوجه خاص ، والتى تتوافر فيها الاحتمالات لاقامة انتاج مجز يستند الى هذه الطاقة على أساس المعادن المحلية كالبوكسيت وغيره .
ولكن هذه الحالة تعتبر استثناء ولا تؤلف قاعدة عامة .

وفى وسعنا أن نفترض بالطبع على أساس ذلك ، قيام بعض المناطق الصناعية المتكاملة ، بصورة عارضة وبعد مئات السنين . ولكن الشعوب لا تعتزم كما يبدو انتظار مثل هذا الأمد الطويل . فهى ملزمة بأن تختار الطريق الأقصر ، وأن تعرف أصدقاءها من أعدائها ، وأن تأخذ فى عين اعتبارها التجارب التى مرت بها الانسانية كلها فى طريق تنميتها وتطورها .

ويتضح من هذا أن الاحتكارات الكبرى ، لا تجد فائدة لها على الصعيد الاقتصادى من استثمار أموالها فى مراكز صناعية جديدة فى العالم ، لأن اقامة هذه المراكز تتطلب أموالا ضخمة يحتاج استردادها الى وقت طويل . فمن الضرورى فى هذه المراكز الجديدة ، انشاء محطات

كبيرة للقوى المحركة ، ومشروعات صناعية ، وتطوير وسائل النقل ، وبناء مساكن جديدة ، وتدريب العمال الفنيين وغيرهم من الاخصائيين ونشر شبكة واسعة من البنوك والمؤسسات التجارية ، واقامة روابط اقتصادية جديدة مع المناطق المجاورة وهلم جرا • ولن تقوم الاحتكارات الكبرى بكل هذا وعلى نطاق واسع فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية لسبب بسيط واحد ، وهو أن مما يعارض مصلحتها أن تخلق منافسين لها •

وليست الفجوة القائمة بين الدول المتقدمة تقدما رفيعا على الصعيد الاقتصادى وبين الدول النامية فى العالم الرأسمالى والتناقض الموجود بين المدينة والريف ، الا من النتائج الطبيعية للتطور الرأسمالى •

وتجد الدول المستقلة الفتية فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية والتى بدأت سيرها فى طريق التصنيع خير نموذج لها فى التجربة الهادية للبناء الاقتصادى السلمى فى الاتحاد السوفياتى وغيره من البلاد الاشتراكية • ولقد أقامت الدولة السوفياتية مراكز صناعية جديدة ، ووصلت بالمناطق المغرقة فى تخلفها والبعيدة الى مستوى المناطق المتقدمة، وطورت الصناعة العصرية فى كل مكان ، غير مهتمة بالنفقات والمتاعب حتى ولو وصلت الى حد التضييق على شعبها • وقامت فى الوقت نفسه بتدريب جماهير العمال الفنيين والمهندسين والتقنيين والاخصائيين على نطاق قومى واسع •

ولقد أثبت الواقع العملى أن ما يعتبر نافعا للمجتمع ككل لا يكون نافعا أبدا لمجموعات صغيرة من أصحاب الأعمال الذين توجههم دوافع كسب الأرباح •

أو لم يثبت الواقع أن قيام الاتحاد السوفياتى بايصال المناطق التى كانت متخلفة فى الماضى فى بلاده الى قدم المساواة بالمناطق النامية ، كان مفيدا من الناحية الاقتصادية لشعوب القازاخ والناحيك والاوزبيك واذربيجان والروس ؟ أو لم يكسب اقتصاد الاتحاد السوفياتى الكثير من توزيعه بصورة أكثر عقلانية على البلاد كلها ، مما قلل من النقل الزائد للسلع والمواد الأولية ؟ أو لم يكسب هذا الاقتصاد من اقامة مصانع كبيرة للنسيج فى مناطق زراعة القطن واقامة مناجم الفحم ومجمعات الحديد والصلب فى هضاب كوزنيتسك وغيرها ؟ طبعا جنى الاقتصاد فوائد كبيرة ، وانتفعت البلاد كلها وشعوبها المختلفة من كل هذا •

ولو تجاهلنا سنوات الحرب ، وعمليات اعادة البناء بعدها ، وهى سنوات وعمليات فرضت على الاتحاد السوفياتى فرضا ، لوجـــدنا أنه استطاع التفوق فى حجم الانتاج على البلاد الرأسمالية الرفيعة التنمية ، وأصبح ثانى دولة صناعية فى العالم فى غضون عشرين الى خمسة وعشرين عاما أو فى غضون حياة جيل واحد ٠

ترى ما السبب الرئيسى فى السرعة المذهلة التى حقق فيها الاتحاد السوفياتى تنميته الاقتصادية ؟ لا شك فى أن الاسهام الحاســم والخلاق والفعال من جماهير الشعب فى اعادة بناء بلاده ، وخلق أساس جـديد لاقتصــاده على أوسع نطاق كان هو السبب على المدى الطويل ٠ أجل لم تكن القروض الأجنبية ولا المساعدات الخارجية هى التى مكنته من تحقيق خططه التى رأى فيها ا ش ٠ جى ٠ ويلز الكاتب البريطانى المعروف بســعة خياله ، شيئا لا يصدق ٠ وكان الاتحاد السوفياتى يهاجم آنذاك من العالم الرأسمالى القوى الذى لجأ الى الحصــار الاقتصــادى والمالى والتدخل العسكرى والنشاط الهدام ٠ ولكن ما الذى حدث ؟ لم يكن الا مجرد نقع يثار فى الهواء أو على عارضة الطريق ٠ فلقد شرعت شعوب الاتحاد السوفياتى فى اللحاق بالولايات المتحدة أكثر بلاد العالم الرأسمالى تقدما فى الصناعة ، سواء فى الانتاج كما انها تفوقت عليها فى بعض فروع الاقتصاد ٠

ولو أتيح لنا أن نفكر جديا فى القضاء على التفاوت الصــارخ فى التطور الاقتصادى ومستويات الحياة للسكان فى البلاد المختلفة فعلينا أن نقر بأنه سيصبح من المستحيل مع مضى الزمن اقامة الاقتصــاد العالمى كله والتجـارة الدولية على أساس مراكز الصــناعة والطـاقة المحركة الموجودة حاليا فى البلاد المتقدمة ٠ فلقد ادعت بريطانيا فى نهاية القرن التاسع عشر انها « المشغل الصناعى للعالم كله » ، ولكن سرعان ما ثبت أن لا صحة لهــــذه الادعاءات المبالغ فيها ٠ ويبدو كذلك أن مثل هــــذه الادعاءات من جانب مجمــوعة من البــــلاد الرأســمالية الرفيعة التنميــة الاقتصادية تبدو أكثر سخفا ورجعية فى عصرنا هذا ٠

وكان الواجب الضخم بالتالى فى تحول تجزئة العمالة العالمية وهو ما تحقق فى وقت واحد فى الشطر الأكبر من العالم ، هو وضع هــذا التحول على جدول الأعمال ، ولكن على نطاق أضخم وأوسع ٠ ولن يكون فى ظل مثل هذه الاعادة للتعمير أى بطالة ، أو عجز فى استعمال الطاقات الانتاجية أو اغراق فى انتاج السلع فى أية بلاد ٠ فسيتوافر العمل لكل

انسان وفى كل مكان • ومن الصحيح أن هناك متطلبات لتحقيق مثل هذه الواجبات ذات الأهمية الاقتصادية العالمية النطاق ، وفى مقدمتها توفير الموارد المالية والمعدات الصناعية وغيرها • ونحن نجد هنا ان التاريخ قد ربط فى عقدة واحدة جميع مشكلات العالم الكبرى فى عصرنا الراهن ، وأن هذه العقدة لا يمكن أن تقطع بسيف الحرب ، وانما يمكن أن تحل عن طريق الجهود الذكية للشعوب فى أوضاع السلام العالمى ونزع السلاح الشامل والكامل ، والالغاء النهائى للنظام الاستعمارى •

وهناك حاجة ماسة الى الآلات والجرارات العصرية والى تحقيق الكمال فى الأساليب الزراعية لتحقيق التقدم فى الزراعة وتوسيع وسائل الرى ، ومكافحة تآكل الأرض ، فى البلاد النامية • وتحتاج هذه المناطق التى يأهلها الفلاحون ، الى معونة حقيقية وعلى نطاق واسع للغاية • ولكن من أية جهة ستتوافر الأموال اللازمة ؟ فى مكنة اعادة تنظيم العلاقات الدولية وتصفية الاستعمار ونزع السلاح الشامل والكامل ، توفير هذه الأموال كلها •

ولقد سبق لنا أن رأينا أن الفاقة فى الدول المتحررة حديثا ليست ثمرة الافتقار الى الثراء • فهذه البلاد تملك بوجه عام موارد طبيعية ضخمة • ولا شك فى أن من أخطر الجرائم التى يقترفها الاستعمار ، ما يضعه من عراقيل فى طريق التطور الاقتصادى للبلاد التى سقطت فريسة الطغيان الاستعمارى ، مما أدى لا الى افقار افريقية وحدها ، بل الى أن يصبح اقتصاد بلاد غنية وعريقة كالهند وأندونيسيا والباكستان والبرازيل فى مستوى الأوضاع التى كانت قبل عشرات السنين •

ولا شك فى أن بعض الدول الغربية التى تدعى الكرم والسخاء ، تنسى أن ثراءها انما جاء على حساب البلاد الآسيوية والافريقية والأمريكية اللاتينية • وفى وسعنا الآن أن نرى بعد أن انهار الجدار الذى كان يفصل بين المستعمرات وبقية أرجاء العالم الجرائم الرهيبة التى كانت الامبريالية تقترفها تحت ستار الحديث عن « رسالة الرجل الأبيض الحضارية » فى العالم • وكان الاقتصاد الاستعمارى وما زال يكيف بأسلوب يقضى بابتزاز الثروات التى تضعها الشعوب المضطهدة ، واخراجها من المستعمرات الى البلاد التى تستعمرها • ويصف مولتا تولى ، وهو الاسم المستعار لادوارد دويس ديكر ، الكاتب الهولندى ، هذه العملية فيقول ان فى الامكان وصف الاستعمار بالمضخة الهائلة المرتبطة بملايين الأنابيب الى صدور سكان المستعمرات • فالضرائب التى تجبى

من سكان المستعمرات ، والفوائد التي تضاف الى القروض الخرافية ، وأقساط التأمين ورسوم الشحن المفرطة ، والفروق في الأسعار على السلع المصنوعة والاستعمارية ، وتقلبات الأسعار بالنسبة الى المواد الأولية في المستعمرات والى منتجاتها الزراعية التي توجهها الاحتكارات على الصعيد العالمي ، كلها ظواهر تعمل على امتصاص القوة الحيوية من بلاد آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية • وما زالت افريقية تحس بالضائقة القذرة وذلك لان المستعمرين « المتمدينين » تولوا سلب الافريقيين من كل ما يملكونه دون رحمة أو اشفاق •

ولابد في تقدير الامكانات والحدود الزمنية للتغلب على التخلف الاقتصادي في البلاد النامية ، من أن نأخذ في عين اعتبارنا قبل كل شيء ، الاحتمالات والطاقات الهائلة التي يملكها أفراد كل شعب من الشعوب • وفي وسع قدراتهم الخلاقة وطاقاتهم ومواهبهم أن تمكنهم من تفهم أرفع منجزات العلم الحديث والهندسة في وقت قصير جدا ، ومن اعادة بناء اقتصادهم وزراعتهم ، والتغلب على الفاقة والجوع ، والوصول باقتصادهم الى درجة مساوية للمستوى الذي وصلت اليه البلاد المتقدمة• ومع ذلك وبعد أخذ هذه القوى في عين الاعتبار وتركيز الجهود عليها ، على الدول الغنية الا تحصر نفسها في حدود القومية الضيقة ، وألا تكيف سياستها وتوجهها في اطار الاكتفاء الذاتي والعودة الى العهود السابقة من الاقتصادات القومية المعزولة والمرتكزة على النزعات العنصرية والجغرافية •

وكان اهتمام الوطنيين في بلاد آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية يتركز حتى عهد قريب في الحصول على التحرر السياسي ، وكان خيرة أبناء هذه البلاد يكرسون عهودهم ضمن اطار هذه المجالات • وبات الاتجاه الرئيسي الآن في سياساتهم التغلب على هذا التراث القاتم البشع الذي خلفه الاستعمار ، وما تركه من آثار على البلاد المتحررة ولا سيما في المجال الاقتصادي •

ولقد جند مئات الألوف من سكان البلاد الآسيوية والافريقية ابان الحرب العالمية الثانية في جنود الدول المتحاربة • ولقد رأى هؤلاء بأنفسهم مستويات الحياة والانتاج في البلاد الأوروبية ، ومدى اتساع الفجوة بين ما هو موجود في بلادهم في آسيا وافريقيا وبين الموجود لدى الأوروبيين• ويقول سيمبين عثمان في روايته الرائعة « ابن السنغال » ان عمر ، بطل الرواية والفلاح الافريقي عاد من الجبهة الحربية فأخذ يفكر في مستقبل

وطنه ووصل الى الاستنتاج القائل بأن فى وسع السنغال فى غضـــون خمسين عاما أن تحقق فى مجال التقدم ما حققه الاقتصاد الفرنسى فى غضون ثلاثمائة عام • وكانت آمال عمر تستند الى الواقع ، ولا شك فى انها كانت ستتحقق • ولكن اذا لم يتفق الامبرياليون على نزع السلاح ، فان جميع هذه الخطط ، لابد أن تصبح موضع التجاهل من القوى الوطنية فى البلاد النامية •

ولقد سبق للرئيس الغينى سيكوتورى أن قال ان من الضرورى ، أن يرى المرء وراء الجيل الراهن ، تلك القيم العظيمة المقبلة التى ستتحد وراءها الشعوب لتستطيع غد السير فى طريق تنميتها • ولا شك فى أن هذا القول صحيح كل الصحة • فلقد بات ضيقاً كل الضيق ، ومضغوطا كل الضغط ، حتى ان ما حـــدث فى غضون السنوات العشر أو الخمس عشرة الماضية أكثر من كل ما حدث فى القرون الماضية • ولقد وصلت سرعات عصر الفضاء الى عملية تنمية المجتمع • ولعل هذا هو السبب الذى جعل من الضرورى رسم قيم المستقبل اليوم ، ومعرفة ما هو مخبوء حتى اليوم فى هذا الجيل وفى الجيل الذى يليه •

ولم يعد محو الفاقة من وجه الكرة الأرضية واعادة الكرامة الى جميع الشـــعوب المظلومة ، مجرد حلم جميل وانما بات يمثل واجبـا دوليا واقعيـا ، وأمرا ســـهلا فى بعض الحالات • وقد يكون هنـاك بعض المتشككين الذين يقولون « ولم يســتبد بنا القلق بصــدد بعض هــذه المخططات الكبيرة ؟ دعنا نأمل فقط فى ألا نموت من التضور جوعا » • وقد يقول مثل هؤلاء « المستشارين » ، ان مثل هذه المشروعات « مفرطة فى آمالها » بوجه عام وان علينا أن نفكر فى « المهمات الواقعية لعصرنا هذا » • ولكن الرجال الكبار لا يكتفون بالتفكير والعمل ليومنا هذا وانما يفكرون فى الغد أيضا • وليس ثمة تناقض بين التخطيط ليومنا وبين التخطيط لغدنا فى وقت واحد • فلا يعرقل أحدهما طريق الآخر• ولا شك فى أن الترابط قائم بين الأمس واليـــوم والغد ، وأن التعايش بينهما موجود ، وأن من المفيد أحيانا أن ننظر الى شئون اليـوم ، من وجهة نظر الغـد بوجه خاص • ومن الضرورى أن نكون قادرين على الدرس وعلى الحلق فى آن واحد • وأن نضمن عدم تضور الناس جوعا اليوم وأن نبنى لهم مستقبلا أكثر أمنا واستقرارا فى الغـد • وعلى الناس ألا يغرقوا أنفسهم فى أحلام اليقظة ، ولكن عليهم فى الوقت نفسه ألا يخافوا من التخطيط لعدة سنوات قادمة بل حتى لحقب قادمة • وما لم يوجد هذا

التخطيط فلن يكون هناك نصيب اقتصادى للبلاد المتخلفة ، وستظل عدة أجيال لاحقة تعيش وسط الفاقة والآلام .

ولا يمكن تطوير العلم وتحقيق التنمية الاجتماعية دون الخيالات والأحلام ، ودون التعمق فى لباب العمليات الهامة وجوهرها ، وهى العمليات التى تجري بانتظام ، وما تحمله من اتجاه لتطويرها . وأنا لا أنكر أن الطوبائية مضحكة فى عصرنا هذا ، ولكن الجموح الجرىء للخيال الانسانى فى القرن الماضى ، قد أصبح شيئا لا يقاس بالنسبة الى ماشهده العالم اليوم من تطور فى المجتمع والعلم والهندسة . ففى عصرنا الحاضر يسبق الواقع الأحلام كما أن الأحلام تسبق الواقع .

وهناك بالاضافة الى الحاجة الى المال حاجة ماسة الى الرجال والمعدات التقنية والمعرفة لحل مشكلة التغلب على التخلف الاقتصادى .

أما بالنسبة الى القوى العاملة ، فان الشعوب نفسها ستؤمنها ، شريطة أن توفر لها فرص الحصول على تعليم أفضل ، وعلى عون تقنى متبادل ، على أساس متكافىء .

ولسنا فى حاجة الى القول بان التضور جوعا لا يشجع على التعليم ولا ينشره ، وان الآلات الحديثة لا يمكن أن تدار من عمال أميين يقتلهم الجوع ، وتنهشهم الفاقة . وسيظل كل شىء على حاله بوجه عام ، اذا لم يتغير وضع الجماهير ، واذا لم تجد هذه الجماهير الغذاء والكساء وتنعم بالحقوق المدنية الكاملة . فالجهود وحدها ، اذا بذلت باشراك الجماهير اشراكا فعليا لاخضاع الطبيعة واعادة تشكيلها هى القادرة وحدها على تغيير الوضع الاقتصادى فى البلاد النامية .

والاخصائيون فى الدول الغنية المستقلة بالتعاون مع الاخصائيين فى البلاد الاشتراكية المتقدمة صناعيا والمثقفين التقدميين فى البلاد الرأسمالية هم القادرون على تدريب العمال الفنيين والمهندسين وخبراء الرى والمخططين والمختصين بالكهربا وغيرهم على أساس التجارب المتوافرة . وهنا تكون تجربة الاتحاد السوفياتى على استعداد للمساعدة فى تنظيم الكليات فى المصانع والكليات فى مواقع الانشاء والمدارس التقنية العالية حيث يستطيع العمال أن يدرسوا مع مواصلتهم لعملهم .

أما بالنسبة الى المعدات اللازمة لاعادة تنظيم الاقتصاد العالمى ، ففى الامكان أثنـــاء تطبيق البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح استخدام الموارد الأساسية فى أكثر البلاد الصـــناعية تقـــدما ، لوضع الأسس الاقتصادية فى بقية أرجاء العالم ، دون التقليل من قدرات البلاد الصناعية على سد متطلبات شعوبها • ولا شك فى أن هذه القدرات ستزداد نتيجة التنفيذ الذكى لطاقات رأس المال نتيجة ظهور أسواق جديدة ، والحاجة المتزايدة دائما للانشاء وللمعدات فى البلاد النامية •

٨ المناقشات في البلاد الغربية

أساطير وتطلعات

يكفى خمس الموارد التى ستتوافر نتيجة نزع السلاح لتنفيذ كل ما تحدثنا عنه فى الفصول السابقة • وستبقى أربعة أخماس هذه الموارد وهى تبلغ نحوا من مائة ألف مليون دولار فى السنة تحت تصرف البلاد التى تحمل الآن العبء الرئيسى فى سباق التسلح ، مما يخلق مشكلة فريدة فى نوعها للدول الرأسمالية • ومن المشكوك فيه أن تتمكن هذه البلاد من الافادة افادة كاملة من هذه الموارد الهائلة لمنفعتها وخيرها • أو من المحتمل أن يكون توفير هذه الموارد ممثلا لخطر لا يقل فى حجمه عن الخطر الناشىء عن تفجير الطاقة النووية من مفاعل ذرى ، نتيجة افلاتها من المسيطرين عليها ؟ ومن حق القارىء أن يقول ••• يا له من سؤال غريب •

ولكن الرد على هذا السؤال غير واضح لملايين الناس فى الولايات المتحدة كما يقول فيكتور بيرلو ، عالم الاقتصاد الأمريكى • فالآمال المعلقة على نزع السلاح فى بلاده ، تختلط مع التخوف من البطالة ••• وهناك تخوفات من أن الكثيرين من الناس سيفقدون أعمالهم ، وأن الانتاج المدنى لن يمتصهم ولن يستوعبهم • وليس ثمة من لا يدرك أن الولايات المتحدة ،

هى أكثر دولة تحمل الصـــفة الحربية ، وأن عشرة فى المائة من سكانها العاملين اما يخدمون فى القوات المسلحة أو يعملون فى تزويد هذه القوات بحاجاتها . ولقـد عملت الحملات الدعائية المتفاخرة ، فى خلق مفهـوم « منفوخ » عن عدد النـــاس الذين لا يجدون العمل الا نتيجـة الموازنة الحربية ، وفى خلق الفكرة القائلة بأن نزع السلاح سيؤدى فرضا الى بطالة الملايين الكثيرة من الناس يضافون الى أولئك العاطلين فى السابق .

ومن الصحيح أن الحسابات الاقتصادية التى تجرى فى البلاد الغربية تظهر أن نزع السلاح لن يخلق أية متـاعب اقتصادية ، حتى فى أكثر دول الغرب نزعة عسكرية ، هذا اذا تحولت الموارد والوسائل الى الحاجات السلمية . وتظهر هذه الحسابات انه على العكس من ذلك ، يؤدى نزع السلاح الى التقليل من البطالة بدلا من أن يخلق المزيد منها . ولقد تم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تحول الاقتصاد فى معظم البلاد المتقدمة من الأساس الحربى الى الأساس السلمى . ولقد فاقت السرعة فى اعادة توزيع الموارد ، والوفرة فى اعادة بناء الصناعة ، فى تلك الأيام ما يطلب اليوم لتنفيذ نزع السلاح الشامل والكامل . وعلى المرء أن يتبصر حقيقة واقعة وهى أن العالم أنفق ابان الحرب العالمية الثانية نحوا من خمســين فى المائة من موارده على التسلح (١) .

وفندت الأمم المتحــدة أيضا الادعاء الذى ينادى به العســكريون وأساطين صــناعة الذخيرة من أن نزع الســـلاح سيؤدى الى « كارثة اقتصادية » . فوثائق المنظمة الدولية التى أعدت بالاشتراك مع خبراء الولايات المتحدة البارزين تشير الى أن ليس من حق أية بلاد أن تخشى من نقص الفرص نتيجـة استخدام الموارد التى يوفرها نزع الســلاح استخداما صالحا .

ويؤكد الاعلان الذى صـــدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها السابعة عشرة حول تحويل الموارد التى يوفرها نزع السلاح فى المتطلبات السلمية ان فى الامكان التغلب على جميع المشكلات التى تظهر

---

(١) خفض الانفاق الحربى فى الولايات المتحدة من ٨٨ر٦٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٤٤ الى ١١ر٤٠٠ مليون دولار فى عام ١٩٤٧ . ويزيد الرقم المخفض وهو ٧٧ر٢٠٠ مليون دولار على مجموع الانفاق الحربى للولايات المتحدة فى عام ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥ وهو ٥٤ ألف مليون دولار .

فى مرحلة التحول ، والمرتبطة بنزع السلاح عن طريق المشروعات القومية والدولية الصحيحة • فقد يؤدى التحول فى انفاق الموارد التى تستخدم الآن فى الأغراض الحربية الى الأهداف السلمية الى استخدامها بهدف افادة جميع البلاد وتحقيق التحسن فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى العالم كله • وفى الامكان تحقيق نزع السلاح فى جميع البلاد لا دون اضرار باقتصاداتها فحسب ، بل بتأمين فوائد ضخمة لرفاه جميع الشعوب •

ولكن احتكارات الصناعات الحربية تتصرف وكأن لا وجود للأمم المتحدة على الاطلاق • ونجد عددا كبيرا من الناس فى الولايات المتحدة وفى جمهورية ألمانيا الاتحادية وفى غيرهما من البلاد الامبريالية ، وكأن لا هم لهم الا محاولة البحث عن « الحجج » المتعارضة مع نزع السلاح • وهم يحاولون تبرير سباق التسلح مباشرة وبصورة لا مباشرة ، فى كتب ضخمة ونشرات شعبية يضعونها • وتدفع لهم مشروعات صناعة الأسلحة مبالغ كبيرة كجزاء لهم على عملهم ، تماما كما تدفع أجور الاعلانات عن سلعة مربحة للغاية • ولكن الاعلان عن الأسلحة يتطلب المزيد ، فهو فى حاجة الى مفاهيم « تثقيفية » على الصعيد القضائى والاجتماعى والحياتى والاستراتيجى وغير ذلك من المجالات • ولا شك فى أن العلم والصحافة ينحطان عن طريق التواطؤ مع القتلة من صناع الأسلحة ، وطريق محاولة اقناع السكان بان الانفاق الهائل على التسلح هو وسيلة من وسائل « الازدهار الاقتصادى » وأن الاقتصاد السليم والتشغيل الكامل يعتمدان فى زعمهما على صناعة وسائل الدمار الشامل • ويهتم هؤلاء الوحوش من أكلة لحوم البشر ، فى تهديدهم للناس فى الغرب بالأزمات والبطالة وفى اصرارهم على التأكيد بألا يمكن الحصول على « الزبدة دون الصواريخ » ، باعمال المشروعات التى تعمل فى الصناعات الحربية ولقد قدر المختصون بأن الدخل الصافى للاحتكارات الأمريكية وصل الى ٤٥ ألف مليون دولار فى عام ١٩٦٥ وهو أربعة أضعاف أو يزيد لمعدل الدخل السنوى ابان الحرب العالمية الثانية • وتقدم الحكومة الأمريكية أكثر من سبعين فى المائة من طلباتها الحربية الى نحو من مائة مؤسسة صناعية كبيرة فى تلك البلاد ، عشر منها فقط تحظى بأكثر من نصف هذه الطلبات •

ولقد تحدث الرئيس السابق أيزنهاور ـ قبل مغادرته للبيت الأبيض بمنتهى الصراحة عن الدور الخطر الذى تلعبه القوى العسكرية والصناعية المتحالفة فى التأثير على سياسات الولايات المتحدة • وبين أن

التأثير العام لهذه القوى على المستويات الاقتصادية والسياسية وحتى الروحية يظهر بوضوح فى كل مدينة وفى كل ولاية وفى كل دائرة من دوائر الحكومة الاتحادية • وقال ان الفرص المتاحة للزيادة المفجعة فى هذا التأثير ، ستستمر فى المستقبل أيضا •

وليس انتشار الحرب التى شنها الامبرياليون الأمريكيون فى فيتنام الا دليلا جديدا على ثبوت صحة نبوءة أيزنهاور • وليست الحرب فى فيتنام الا نغمة جديدة يستخدمها دعاة الحرب للدعوة الى سباق التسلح• وكتبت مجلة « الأسبوع التجارى » وهى الناطقة بلسان دوائر المال فى الولايات المتحدة فى صيف عام ١٩٦٥ تقول ان زيادة القوات المحاربة فى فيتنام بأمر من الرئيس جونسون أدى من وجهة نظر الحسابات الرياضية المجردة الى تبدل فى التطلعات الاقتصادية باتجاه الأفضل • ورأت المجلة أن الزيادة فى الانفاق على الحرب كانت كافية لتبديد المخاوف الجادة من احتمال الابطاء فى معدل التنمية الاقتصادية وتراخيه • ولكن علينا أن نذكر القارىء ، بأن الرئيس جونسون مع رفعه لاعتمادات الحرب ، دعا فى الوقت نفسه الى خفض الاعتمادات المخصصة للبرامج التى لا علاقة لها بشئون « الدفاع » •

وليست الأفكار الشريرة التى تقول بأن « الازدهار فى الغرب ناشىء عن النفقات الحربية الضخمة » ، أفضل من « الحجج » والأقوال التى كانت تستخدم فى الماضى للدفاع عن تجارة الرقيق والقرصنة والظلم الاستعمارى • فهذه الأفكار بالرغم من غرابتها تؤدى الى تضايل الكثيرين فى البلاد الغربية الذين يعتمدون فى أعمالهم وحياتهم على الانتاج الحربى • ومن المحتمل أن يكون هؤلاء قد باتوا يخافون فعلا أن يؤدى النقص فى الطلب على السلاح والآلات والمواد الحربية الى فائض من العمالة يسفر عن بطالة عشرات الملايين من الناس الذين يخدمون الآن الآلة الحربية للدول الغربية •

وهناك كثيرون من الاقتصاديين والعلماء الغربيين الآخرين يدركون تمام الادراك الفوائد التى يؤمنها الاقتصاد السلمى • ولقد أخذت الحياة نفسها تقوض سحر الانتاج الحربى الذى ظل مسيطرا على الغرب حقبا عدة • ويمثل البطء فى سير التنمية الاقتصادية فى الولايات المتحدة فى الحقبة الأخيرة احدى الحجج الكثيرة المضادة لهذا السحر ، والحقيقة الواقعة وهى أن الولايات المتحدة لم تحتفظ بمعدل النمو لدى الكثيرات من الدول الغربية المتقدمة من أمثال ألمانيا الاتحادية واليابان ، اللتين

انفقتا حصة أقل من دخلهما القومى على التسليح • ويبدو أن البيت الأبيض نفسه شرع فى فهم هذه الحقيقة أيضا •

فلقد نقلت المجلة الأمريكية « نيشن » فى مستهل عام ١٩٦٣ عن جاردنر اكلى مستشار الهيئة الاقتصادية التابعة للرئيس الأمريكى قوله : ان هناك بعض البلاد الأوروبية التى حققت ازدهارا أكثر من ازدهار الولايات المتحدة فى الفترة التى كانت هذه تتحمل فيها حصة الأسد فى انفاق موارد البلاد على الأهداف الحربية • وكانت غالبية هذه البلاد الأوروبية تستخدم هذه الموارد فى الاستثمارات الرأسمالية الانتاجية • ولذا لم يكن مما يثير الدهشة أن هذه الاستثمارات قد سمحت لها بنمو أكثر سرعة فى الحجم العام للانتاج من ذاك الماثل فى الولايات المتحدة • ومضت المجلة تقول : ان ملاحظات الدكتور اكلى ، تحمل المرء على الاستنتاج الصحيح والواضح بان اقتصاد الولايات المتحدة أبطأ سيرا من غيره ، لأن الأمريكيين ما زالوا يعرقلون طريقه نتيجة انفاقهم الحربى المتزايد • وأضافت المجلة أن جميع الاستثمارات الكبيرة لا تتشابه ، كما يدعى أرباب الصناعات الحربية ، وان من الضرورة على سبيل المثال التمييز بين الاستثمارات الكبيرة فى انتاج الصواريخ وبينها فى انتاج السلع الاستهلاكية • وذكرت المجلة أن من المستحيل تحقيق الاستقرار فى الاقتصاد عن طريق تبديد الحصة الضخمة والمتزايدة من الاستثمارات الرأسمالية وقذفها فى مهب الريح •

واعترف التقرير الذى أعدته اللجنة الحكومية الأمريكية لدراسة النتائج الاقتصادية لشئون الدفاع ونزع السلاح والذى نشر فى سبتمبر من عام ١٩٦٥ ، بالحقيقة الواقعة وهى أن نزع السلاح الشامل والكامل نفسه لن يخلق أية مشكلات لا يمكن تذليلها والتغلب عليها ، وأنه لابد أن يخلق تطلعات جديدة لتحسين الأوضاع الحياتية للمواطنين الأمريكيين •

ويعرض بعض الاقتصاديين الأمريكيين البعيدى النظر السؤال التالى، وهو أى المشكلات الاقتصادية ستحتل مكان الأهمية فى العشرين سنة القادمة ؟ وهم يحسون بأن هذه المشكلة هى مشكلة الانتاج ، بل مشكلة طريقة ضمان نمو ثابت ومستمر فى الانتاج •

وكتب جوزيف جيلمان يقول : ولو فرضنا أن وقوع حرب ثالثة أمر مستحيل ، فان أهم مشكلة اقتصادية ستواجه الولايات المتحدة فى غضون السنوات العشرين القادمة ستكون فى توجيه الانفاق الى المشروعات النافعة

اجتماعيا للاحتفاظ بمستوى التشغيل العام للحلول محل الانفاق العسكرى في الوقت الحاضر ·

وهذا قول رجل عاقل لا يرضى بأن توجهه المكاسب الفورية لنزع السلاح ·

ولكن أمن الصحيح استثمار مبالغ اضافية كبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية والبلاد الغربية الأخرى في الوقت الذى لم تستغل فيه المشروعات الصناعية الراهنة حتى أقصى حدود طاقتها ؟ وهذه حجة أخرى عامة وسائدة تحسر النقاب عن التناقضات القائمة في مايسمى بالمجتمع الحر ·

ولقد تحدثنا عن المشروعات الرئيسية في البلاد النامية التى تتطلب ولا شك عددا كبيرا من الخبراء ، ومقادير ضخمة من المعدات وبينها تلك التى يسهم بها الغرب · وسيؤدى الازدهار الاقتصادى في هذه البلاد من الناحية الأخرى الى زيادة كبيرة في طاقة الأسواق العالمية · ولعل خير دليل على ذلك الاقتصاد الأمريكى الذى نما على أساس التوسع السريع في أسواقه الداخلية وما زال يعتمد في الغالب على خدمة هذه الأسواق ·

ويبدو أن ليس ثمة من يهتم بتوسيع تلك الفروع من الانتاج التى تعانى في البلاد الغربية الآن المتاعب بالنسبة الى الخفض في الطلب · ولكن استخدام الوسائل المتحققة عن نزع السلاح لتمويل مختلف البرامج المدنية ، يستطيع مساعدة البلاد النامية صناعيا على زيادة التشغيل ، ورفع الطلب على السلع وبينها تلك التى تصنعها فروع الصناعة التى تواجه الآن الأزمة · وتعنى أية حجة مضادة لهذا القول ، الاستنتاج بأن من الأسهل لأية أمة أن تبدد مواردها القومية دون هدف على أن تستخدمها لسد المتطلبات الانسانية المعقولة بصورة نافعة · ولعل من المفيد والصالح أن نذكر هنا أن نظرية التوزيع الجديد (نيوديل) التى وضعها فرانكلين ديلانو روزفلت في حينه (١) مكنت الولايات المتحدة من انقاذ نفسها من أزمة اقتصادية جذرية كانت تهددها قبل الحرب العالمية الثانية في حين دفعت سياسة هتلر القائمة على « المدافع بدلا من الزبدة » ، ألمانيا الى هوة الكارثة ·

---

(١) اسم اطلق على البرنامج الادارى والتشريعى الذى وضعه الرئيس روزفلت في الثلاثينات ، لتحقيق الانعاش الاقتصادى ـ والاجتماعى ـ في الولايات المتحدة · ـ المعرب ـ

وكان الطلب على السلع المدنية الذى ظل يسير فى طريق التصاعد ابان الحرب أحد الأسباب الرئيسية للانتقال السريع نسبيا والسهل من الانتاج الحربى الى الانتاج السلمى بعد الحرب العالمية بالنسبة الى عدد من فروع الاقتصاد فى البلاد الغربية المتقدمة ٠ ويقال الآن ان هذا لا ينطبق على نزع السلاح ، وذلك لأن البلاد ستشرع فى نزع سلاحها فى أوضاع السلام ٠ ولكن ألم تنطو سنوات الحرب الباردة الطويلة على وجود طلب لم يلب تماما ، أو لم تؤجل تلبية المتطلبات والحاجات للناس فى أكثر بلاد الغرب تنمية وتقدما ؟ أو غدت الرأسمالية لا تعنى فى الولايات المتحدة مثلا ، الثراء للبعض والفاقة للبعض الآخر ؟ وأخيرا أو لم تنطو سنوات السيطرة الاستعمارية ، على « الطلبات التى لم تلب » فى قسم رئيسى من العالم الذى تخلص أخيرا من الظلم الاستعمارى ؟ ٠

وكتب ميخائيل هارينجتون فى كتابه « أمريكا الأخرى » ، موضوعا يعالج فيه نظرية لم تلق بعد انتشارا واسعا فى الولايات المتحدة الأمريكية٠ فلم تعد مشاكل الأمة بموجب هذه النظرية قضية متطلبات انسانية أساسية للغذاء ، والكساء والمأوى ٠ ولكن الكاتب يمضى فيقول ، ان أى قدر من مثل هذا الحديث ، لا يغير الحقيقة الواقعة وهى ان هناك أمريكا أخرى ، تضم نحوا من أربعين الى خمسين مليونا من الناس الفقراء ٠ فلقد كان هناك هذا العدد من الفقراء — ومازالوا كذلك٠واذا كانوا لايتضورون جوعا الى حد الموت ، فانهم جياع على الأقل ٠ وهم يفتقرون الى الاسكان المناسب كما يفتقرون الى الرعاية الطبية الكافية والتعليم ٠

ولقد قال شخص له مركزه فى الحكم الأمريكى وهو أرثر جولدبرج رئيس وفد أمريكا السابق فى الأمم المتحدة ووزير العمل الأسبق ، ان من المعروف تماما ، أن الفاقة والأمية والأوضاع الصحية السيئة هى نصيب الملايين الكثيرة من الأمريكيين ٠

ولا تستطيع الولايات المتحدة وهى بلاد لم تعان من الحرب والدمار أن تعنى عناية كافية بالحاجة الملحة لدى ملايين الأمريكيين الى الاسكان ٠ وتقول الأرقام الرسمية لعام ١٩٦٠ ان ١٥ر٦ من المليون من مجموع ٥٨ مليونا من المنازل قد اعتبرت دون مستوى الحد الأدنى من المتطلبات والصحية ٠

وتعتبر مشكلة تأمين العون للمناطق التى تسيطر عليها الفاقة من أكثر المشاكل حدة فى الولايات المتحدة ٠ ويسير عدد هذه المناطق فى

طريق التصاعد السريع • وهى توجد الآن فى ولاية نيويورك الصناعية ، وفى ولاية ميتشجان الزراعية وفى مراكز النسيج فى نيوانجلند وولاية بنسلفانيا المنتجة للصلب • ويجد الناس فى المناطق الزراعية فى بيد مونت والسهول الساحلية لجنوب شرق الولايات المتحدة أنفسهم مضطرين الى مغادرة ديارهم نتيجة تآكل التربة والمنافسة من المناطق الجديدة المنتجة للقطن بحثا عن الرزق •

ولقد باتت مناطق منـــاجم الفحم فى الأجزاء الجنوبية من جبـال ابالاشيان حيث يعيش نحو من عشرة ملايين من الأمريكيين أرضا للفاقة والخـراب • ولقد اضطر أكثر من مليون ونصف المليـون من الناس الى مغادرة هذه الأجزاء من البلاد فى غضون الحقبة السابقة •

وبين ايفيريت جيبسون الزعيم النقابى العمالى أن الأوضاع الحياتية فى ولاية كينتوكى سيئة للغاية • فهناك يعيش كثيرون فى أكواخ خالية من الانارة أو التدفئة •

ولا تتقمص مشكلة الزنوج فى الولايات المتحدة وهى المشكلة التى تمثل عارا صارخا لتلك البلاد الكبيرة ، شكل افتقار الى المساواة فى الحقوق المدنية ليس الا • ففى ظل الأوضاع الراهنة ، لا يمكن العثور على تشريع قادر على القضاء على اللاتكافؤ الاجتماعى ـ الاقتصادى ، وعلى ازالة الظلام والفاقة المخيمين على « معازل » الزنوج ، ووقف المصير الذى يعيش فيه ملايين الناس الذين يعيشـــون ويموتون فى الأكواخ وفى الباحة الخلفية للحضارة • وقدر مجلس التخطيط القومى الأمريكى ان من الضرورى انفاق ما لا يقل عن ٣٣ ألف مليون دولار فى السنة ولمدة خمس سنوات لازالة هذه الأكواخ وبناء المساكن اللازمة وشق الطرق وتحسين ميـاه الشرب وتأمينها للسكان وتزويدهم بالتعليم والوقاية الصحية •

ولنضرب مثلا بمشكلة مياه الشرب • فالمناطق القاحلة على الشاطىء الجنوبى الشرقى للولايات المتحدة على المحيط الهادى ، ولا سيما فى القسم الجنوبى من ولاية كاليفورنيا وولايتى نيفادا وأوتا ، تواجه تهديدا متزايدا بالافتقار الى المياه • وتعتمـــد على أحوال الرى ، والعمل فى الكثير من المشروعات على تحسين أوضاع المياه ، يضاف الى هذا أن بعض المدن حتى فى المناطق الشرقية من الولايات المتحدة التى تكثر فيها المياه ، قد بدأت تواجه مشكلة تزويد السكان والمتطلبات الصناعية بالمياه اللازمة • ولقد وضع مكتب استصلاح الأراضى فى أمريكا أكثر من ألف مشروع لتوفير

المياه فى المنـــاطق الغربية فى الولايات المتحدة ، لزيادة مساحة الأراضى المروية بنحو من ثمانية ملايين هكتار • ومع ذلك فان هـــذه المشروعات تكلف نحوا من ٢٩ ألف مليون دولار ، ولا تتوقع الولايات المتحدة أن تقوم بتنفيذها حتى فى عام ألفين بعد الميلاد •

وقد يكون من المستحيل تعداد حتى جزء من المشكلات التى تواجه الولايات المتحدة بالنسبة الى اعادة انتاج الموارد الطبيعية والحفـاظ على خصوبة التربة ، ومكافحة تآكل التربة والفيضانات ، والسير فى الاصلاح الزراعى ، وهلم جرا • وهناك على سبيل المثـال المشكلة الخطيرة المتعلقة بالحفاظ على الماء فى المستوى الراهن ، فى البحيرات العظمى التى تمثل أهمية اقتصادية ضخمة للولايات المتحدة وكندا • ومن الضرورى للحفاظ على المستوى الراهن للمياه ، القيام باجراءات واسعة وبالغة التكاليف لتعميق بعض الأقنية ، وبناء عدد من السدود ، وتحويل مجرى الأنهر • ويكلف تحويل مجرى نهر هاريكاناو نحوا من ألف مليون دولار ، ونقل مصبه من خليج هدسن الى البحيرات العظمى •

وتزداد مشكلة المرور فى المدن الكبرى فى الولايات المتحدة ، وتصعب على الحل فيها كما تصعب فى كثير من البلاد الأخرى •• ولقد أدى التطور السريع فى النقل بالسيارات الى ضرورة اعادة تخطيط المدن وبناء الجسور والطرق الدائرية وغير ذلك من المشروعات • ولا شك فى أن النفقات التى تتطلبها هذه المشروعات تزيد على قدرات الموازنات المحلية •

وقد يكون من الخطأ الظن بأن الولايات المتحدة ليست معنية بتحقيق المزيد من تنمية قواها الانتاجية • ولا تستخدم الولايات المتحدة ، الا نحوا من عشرين فى المائة من طاقاتها الكهربية ـ المائية العالية نسبيا والتى تقدر بنحو من ١١٧ مليون كيلواط من القوة الصالحة للأهداف الاقتصادية • وهناك حديث عن بناء مشروع مائى ـ هندسى ضخم فى كاليفورنيا لتحويل مياه الأنهار الشمالية فى الولايات الى الجنـوب ولتوليد الكهرباء •• وهناك مخطط لبناء سد ضخم من التراب يطلق عليه اسم « أوروفيل » ويرتفع الى نحو من ٢٢٤ مترا على نهر فيثر الذى يؤلف رافدا لنهر ساكرامنتو • وشمل التخطيط أيضا اقامة عدة محطات للكهرباء ـ المائية تؤمن توليـد ٢٧٥٠ مليون كيلو واط ساعة من الكهرباء الى المناطق المجاورة فى السنة • وتتوقع الولايات المتحدة أن يستغرق تنفيذ مشروع استخدام موارد الطاقة المائية لنهر كولورادو فى تزويد الأجزاء الوسطى من ولاية أريزونا التى تتركز فيها جميع صناعات الولاية وأكثر من نصف أراضيها المروية ومن ٧٥ فى المائة من سكانها بالكهرباء والماء ، نحوا من خمسين عاما• ويبدو أن السلطات

الأمريكية تحتاج الى المدة نفسها أيضا لتسوية القضايا القانونية القائمة بين ولايتي أريزونا وكاليفورنيا حول توزيع المياه على المدن التي تعاني من نقص في المياه ٠

وهناك الكثير من المشروعات المماثلة التي ما زالت حبرا على ورق بسبب السباق على التسلح ٠

وهناك الكثير من الحديث في الولايات المتحدة ، عن التطلعات الكبيرة لتحقيق التنمية الاقتصادية في ألاسكا ٠ ولكن هذه الولاية تمثل نموذجا ممتازا للكيفية التي تعرقل فيها النزعة العسكرية وتؤجل تحقيق التقدم في المناطق الأقل تنمية في الولايات المتحدة ٠ فالولاية تحولت الى قاعدة عسكرية ٠ وأنفق ما يزيد على ألف مليون دولار على المنشئات العسكرية فيها ٠ ومع ذلك فهي تستطيع أن تتطور اقتصاديا على أساس مواردها الاقتصادية المتنوعة كالخشب والبترول وموارد الطاقة الكهربية ـ المائية وخامات المعادن الحديدية وغير الحديدية والمعادن الأخرى ٠ وهناك فرص رائعة لتنمية الزراعة في الاسكا حيث لا تزيد مساحة الأرض المزروعة فيها على خمسة آلاف هكتار أو ما يعادل أقل من واحد في المائة من السبعمائة ألف هكتار الصالحة للزراعة ٠ ولكن السلطات المدنية في الولاية لاتستطيع التصرف الا في نحو من ٢٩ في المائة من مجموع أراضي الولاية ، اذ ان حق التصرف في المتبقي منها محصور في سادة البنتاجون ، أي وزارة الدفاع الأمريكية ٠

ويقول جي ٠ دبليو روجرز المكتشف الألاسكي ان اقامة محطات كهربية ـ مائية ضخمة على نهر اليوكون وغيره ، وهي محطات تستطيع تأمين الطاقة الرخيصة لتنمية الصناعة ، تؤمن عاملا مهما في تنمية الاسكا اقتصاديا٠ففي الامكان اقامة محطة كهربية طاقتها ٤ر٧٠٠ر٠٠٠ كيلو واط على شلالات رامبارت كانيون على نهر يوكون وعلى بعد ١٧٠ كيلو مترا الى الشمال الغربي من فيربانكس وتكون بذلك أكبر محطة من نوعها في أمريكا ٠ وستكلف اقامة هذه المحطة ١٧٠٠ مليون دولار ٠ وتقول تقديرات المهندسين الأمريكيين ان في الامكان اقامة تسع محطات أخرى يبلغ مجموع طاقتها خمسة ملايين كيلو واط على نهر اليوكون وروافده ٠ وتستطيع هذه المحطات كلها ومعها محطة رامبارت ـ كانيون انتاج ٧١ ألف مليون كيلو واط ساعة من الكهرباء في السنة ، وهو رقم يعادل أضعاف أضعاف الكهرباء المولدة الآن في الولاية ٠ وفي الامكان نقل القوة الكهربية التي تولدها هذه المحطات لا الى مدن الأسكا الوسطى والجنوبية أو مقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا ، فحسب ، وانما الى الولايات الأمريكية على المحيط الهادئ أيضا

حيث يتزايد الطلب على هـذه القوة ، والى المكسيك كذلك • وفى وسع شـبكة واحدة من القضـبان المتعالية ، أن تزود المستهلكين للكهرباء عن طريق خطوط الضغط العالى الى مسافة عدة ألوف من الكيلو مترات ، وهى مهمة سهلة بالنسبة الى الأساليب الهندسية الحديثة • وفى وسع المحطات الكهربية ـ المائية التى تقام على نهر اليوكون وغيره أن تغذ السـير فى تنمية الصـناعات الالكترو ـ كيماوية وغيرها من الصـناعات المستهلكة للكهرباء فى الاسـكا كالألومنيوم وصناعات الألياف والورق واسـتخراج المعادن غير الحديدية وهلم جرا • وستؤدى اقامة مشروعات هندسية ـ مائية وانشاء خزان للمياه سعته نحو من ٢٨ ألف كيلو متر مربع ويمثل أكبر خزان فى الولايات المتحدة الى تحسين الأوضاع الملاحية فى نهر يوكون والى ازالة خطر الفيضانات ، وخلق امكانات جديدة لصيد الأسماك • ولكن هذا يتطلب انفاقا ضخما ، فى الوقت الذى يبتلع فيه سباق التسلح الأموال اللازمة لهذا الانفاق •

ويمكن لحوض نهر السلام وكولومبيا فى الولايات المتحدة وكندا أن يصبح منطقة لأعمال انشائية ضخمة • فهنـاك مشروعات لبناء محطتين كهربيتين ـ مائيتين قويتين على هذين النهرين تكلفان ما يتردد بين ألف وألفى مليون دولار • ولقد تحققت السيطرة على جزء نهر كولومبيا الموجود فى أراضى الولايات المتحدة الى حد ما • فهناك ست محطات كهربية كبيرة منها محطة « جراند كولى » تقوم وتعمل الآن • ولكن جزء النهر الواقع فى الأراضى الكندية لم يستغل استغلالا طيبا حتى الآن ، بالرغم من مروره وسط مضائق ضيقة تصلح لاقامة منشئات هندسية مائية •

وليست المشكلة هنا مجرد قضـية تتعلق بالأموال • فلقد عجزت الولايات المتحدة وكندا حتى الآن عن الوصول الى اتفاق حول توزيع موارد النهر الكهربية ـ المائية • فالاتفاق الأمريكى ـ الكندى لعام ١٩٦١ حول الافادة المشتركة من نهر كولومبيا ، وبروتوكول عام ١٩٦٤ الذى حدد هذه الافادة بصـورة أكثر دقة ، يميلان الى وضع كندا فى موضع الشريك الأصغر ، وبصورة تبعد عن التكافؤ • فلقد ضمنت الولايات المتحـدة السيطرة الكاملة على المياه التى يدفعها الجزء الكندى من حوض النهر ، وحرمت على كندا بناء أية مشروعات كهربية مائية لرى المناطق القاحلة فى النجود • ووصف تى • دوجلاس زعيم الحزب الديمقراطى الجديد فى كندا بروتوكول عام ١٩٦٤ ، « بالبرشامة » المذهبـة التى يتحتم على كندا ابتلاعها ، مضيعة بشـكل رئيسى حقوقها السيادية فى استعمال موارد كولومبيا الكهربية المائية • وليس من الغريب والحالة هذه اذا لم يقم

البرلمان الكندى بسرعة بابرام هذا الاتفاق ، اذ أن الجماهير الكندية والنقابات وخبراء الطاقة المولدة يعارضونها ٠

وتنتمي كندا الى مجموعة الدول السبع التى تعتبر أكثر البلاد الرأسمالية تقدما ، ولكنها تحتل فى هذه المجموعة مكانة خاصة ٠ ففي الامكان القول عمليا ان حياتها الاقتصادية متركزة كما هو الوضع فى استراليا فى قطاع ضيق نسبيا يقع فى الجنوب ويجاور بالنسبة الى كندا حدود الولايات المتحدة ، ويعتمد عليها ٠ وتسيطر الاحتكارات الأمريكية على نحو من ٦٢ فى المائة من بترول كندا وغازها الطبيعي وعلى ٥١ فى المائة من مناجمها وخمسين فى المائة من صناعاتها الكيماوية وصناعة الآلات والأجهزة الزراعية و٤٥ فى المائة من صناعاتها التصنيعية و٣٥ فى المائة من صناعة الورق فيها ٠ وتسيطر الولايات المتحدة تقريبا على مائة فى المائة من صناعة السيارات والمطاط فى كندا ٠

ولقد نمت صناعة استخراج المعادن التى تمثل أحد الفروع الهامة فى الاقتصاد الكندى ، الى حد كبير لتكون مكملة للموارد المعدنية فى الولايات المتحدة المجاورة ٠ ولكن سياسة الحماية الجمركية التى تتبعها الولايات المتحدة ، ودول السوق الأوروبية المشتركة واليابان ، تحول بين كندا وبين الافادة بصورة أحسن من مواردها ، وكذلك بينها وبين تطوير تعدينها وغير ذلك من فروع صناعة تكرير وتنقية المواد الأولية التى تنتجها مناجمها ٠

وفى كندا مناطق واسعة لم ينم اقتصادها بعد بصورة كافية ولكنها ستمثل أهمية متزايدة فى اقتصادها ٠ فهى تضم موارد هائلة ستتحقق الافادة منها فى المستقبل ٠ وفى وسع نزع السلاح أن يعجل أمر استخدامها ٠

ويقول ليبوروديه العالم الكندى ان تنمية المناطق الشمالية فى كندا تنمية اقتصادية واسعة تمثل الأساس فى تحولها الى بلاد ذات اقتصاد مستقل ورفيع التنمية ٠

ولقد ارتبط التطور الصناعى فى كندا وظهورها فى الحقب الأخيرة كدولة صناعية رئيسية ارتباطا وثيقا بالبحث عن مواردها الكهربية المائية٠ وتقدر هذه الموارد بما يتردد بين سبعين وثمانين مليون كيلو واط ، فى حين كانت طاقة المحطات الكهربية العاملة فى عام ١٩٦٤ لا تزيد على عشرين مليونا ٠ ومن المفروض أن يبلغ مجموع طاقة المحطات الكهربية فى كندا فى عام ١٩٨٠ نحوا من ٤٦ مليون كيلو واط ٠ وهناك خطط وضعت لاقامة

محطات كهربية مائية مجموع طاقتها ٤٫٦٠٠٫٠٠٠ كيلو واط أو أقل من ٢٠ فى المائة من الزيادة المتوقعة فى الطاقة بالنسبة الى جميع المحطات فى عام ١٩٨٠ ، على نهرى مانيكواجان وأوتاردس فى مقاطعة كويبك • ويتطلب هذا المشروع وحده نحوا من ألفى دولار وهو مبلغ يمثل ٢٢٠ فى المائة من موازنة كندا الحربية لعام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ • ولا شك فى أن تنمية اقتصاد كندا من الطاقة المحركة سيسمح لها بالمزيد من استعمال ثروتها الطبيعية استعمالا فعالا ، ومن التنقيب عن مواردها الطبيعية فى المناطق الأقل تنمية •

وستفيد الزراعة الكندية افادة عظيمة من البحث الشامل عن موارد الطاقة الكهربية ـ المائية فى ممر نهر ساسكاتشيوان ـ بحيرة وينيبج ـ نهر ويلسون المائى الممتد من جبال روكى الى خليج هدسن • وهناك حاجة ماسة الى أعمال انشائية ضخمة فى المنطقة لمنع الفيضانات ، كاقامة الأقنية والخزانات والسدود ، ولاستصلاح ثمانمائة ألف هكتار من الأراضى فى دلتا نهر ساسكاتشيوان كانت لا تمس بسبب تكرار الفيضانات • وهناك احتمال فى المستقبل البعيد بتحويل قدر كبير من المياه من بحيرة وينيبج الى الخزان القائم على نهر ساسكاتشيوان الجنوبى • وسيؤدى تنفيذ هذا الاحتمال الى رى مساحات شاسعة من الأرض والى تحسين الأوضاع اللازمة لتنمية الصناعة • ويعتقد العلماء الكنديون انه سيكون من الضرورى فى المستقبل تزويد الأقسام الجنوبية من كندا بالمياه من مواردها فى الأقسام الشمالية من البلاد ، وتحويل مجرى نهرى السلام واثاباسكا وغيرهما الى الجنوب بوجه خاص • ولكن تنفيذ هذه المشروعات التى تشمل أيضا بناء عدد من المحطات الكهربية ـ المائية ، يتطلب انفاقا ضخما •

ولسنا فى حاجة الى القول بأن البلاد القديمة المتقدمة صناعيا فى غرب أوروبا كبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية وايطاليا وغيرها ، تواجه مشكلات حيوية مهمة لا يمكن حلها نتيجة سباق التسلح الفاقد الاحساس بالمسئولية • وتحتاج هذه البلاد الى كثير من الأموال لاقامة المساكن اللازمة، وادارة المرافق العامة ، وادخال التعليم المجانى فى جميع المراحل الدراسية، والخدمات الطبية المجانية ، والرواتب التقاعدية ، والعناية بالمتطلبات الاقتصادية والاجتماعية •

ومن المعروف أن من واجب البلاد نفسها ببرلمانها • وحكومتها وبلدياتها وتنظيماتها السياسية وغيرها ، أن تحدد الوسائل الممكنة لاستخدام الموارد التى ستتوافر عن طريق تنفيذ نزع السلاح • وعلينا الآن أن نستعرض بعض المناقشات التى تدور فى كثير من البلاد •

وتؤلف الاعتمادات الحربية فى بريطانيا طبقا للأرقام الرسمية نحو من عشرة فى المائة من جميع النفقات العامة على السلع والخدمات (١) .
ولو فرضنا أن جميع التوفيرات التى تنتج عن نزع السلاح ستذهب لتأمين متطلبات المستهلك ، فان هذا يعنى أن ما يعادل عشرة فى المائة من أسعار التجزئة سيعود الى الجمهور البريطانى ترى ما الامكانات الفعلية المتوافرة لدى بريطانيا لاستخدام مواردها ووسائلها الحربية الراهنة فى الأغراض السلمية ؟ تقول الحكومة البريطانية :

« ١ ــ سيتوافر فى حالة اقرار نزع السلاح الرجال والأراضى والأبنية والمصانع والمعدات التى تستخدمها القوات المسلحة مباشرة أو بصورة لا مباشرة فى انتاج السلع التى تخصها ، وستتحول الى انتاج مزيد من السلع والخدمات من مختلف الأنواع .

« ٢ ــ وقد تؤمن الحكومة هذا الانتاج الاضافى فيستعاض عن المشتروات العسكرية بمشتروات اضافية للتعليم والخدمات الصحية والطرق والأبنية والأهداف الأخرى . وهناك طريقة أخرى وهى خفض الضرائب مما يؤدى الى زيادة فى مشتروات القطاع الخاص لتكوين رءوس الأموال للاستهلاك ... » .

هذا هو مقياس انفاق الدولة على المتطلبات السلمية التى تتحدث عنها الحكومة البريطانية .

وعلى بريطانيا لازالة الأكواخ وتجديد المساكن أن تبنى أربعمائة ألف شقة فى كل سنة وهذا يتطلب انفاق نحو من أربعمائة مليون جنيه .

ويحتاج بنـــاء المدارس لنحو من ثلاثة ملايين طالب ، انفـــاق ٧٥٠ مليون جنيه ، كما يتطلب الاسراع فى انشاء الجامعات سبعين مليون جنيه فى السنة . ولابد من زيادة الاعتمادات السنوية لشق الطرق كما يقول الاقتصاديون البريطانيون بنحو من خمسين مليون جنيه فى السنة .

ويواجه التطور الاقتصادى فى بريطانيا العظمى متاعب بالغة بسبب الصورة الاقليمية الراهنة لاقتصادها التى تمت صياغتها منذ أيام الثورة الصناعية . وهناك حاجة الى الاستثمارات الرأسمالية الضخمة على صعيد البلاد كلها للخلاص من اللاتكافؤ بين الأقسام الجنوبية الرفيعة التصنيع

---

(١) بلغت أرقام مشروع الموازنة البريطانية لعام ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ نحو من ٢١٧٢ مليون جنيه أو ما يعادل ٦٠٨٢ مليون دولار .

والكتظة بالسكان في الجنوب وبين المناطق الكثيرة في الشمال ، التي ما زالت سيئة التطور والتنمية حتى الآن وتعاني من الأزمات الاقتصادية .

وهناك حاجة كبيرة الى تنمية اقتصاد الطاقة المحركة ، اذ أن بريطانيا ستحتاج في عام ۱۹۷۰ الى قوة كهربية تعادل ضعف أرقامها في عام ۱۹٦۱ . وهناك مشروعات لاقامة محطات لتوليد الطاقة النووية في بريطانيا بحيث يبلغ مجموع طاقتها بين خمسة وستة ملايين كيلو واط ، ومشروعات لبناء شبكة من المحطات الكهربية - المائية على أنهار اسكوتلندة ، ومشروعات طاقة هندسية في وادي نهر ترينت حيث وضعت الخطط لبناء عدد من محطات الطاقة الحرارية التي تتردد طاقة الواحدة منها بين عدة ألوف وبين مليوني كيلو واط . وستكون طاقة محطة «هوم بيربون» الكهربية - المائية ، والتي وضعت الخطط لبنائها مع المحطة التي ستقام في الحوض الأدنى لنهر ترينت مليوني كيلو واط ، وبذلك تكون كبرى المحطات في أوروبا الغربية .

ويدور الحديث في بريطانيا العظمى حول اقامة خزان كبير في خليج « ووش » لتحسين أوضاع المياه في الأقسام الجنوبية والشرقية من البلاد . وتحتاج اقامة سد طوله ۲٥ كيلو مترا ، ومزود بنظام معقد من الأقفال المائية وغير ذلك من المنشئات نحوا من مائة مليون جنيه . وقد لايكون هذا المبلغ كبيرا بالنسبة الى بلد كبريطانيا العظمى ، ومع ذلك ، لا يمكن رصد مثل هذا المبلغ في ميزانية الدولة التي تنوء بأعباء الاعتمادات الحربية . وفي وسعنا أن نقول بقصد المقارنة ان بريطانيا تنفق في كل عام ما يربو على ١٥٠ مليون جنيه للحفاظ على قواعدها العسكرية وغيرها من الأهداف الحربية في الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا .

وتكفي الأموال التي تنفقها فرنسا على التسلح في السنة لكهربة جميع المناطق التي لا يزال أهلها يستعملون المصابيح الجازية ، واقامة خزانات لمياه الشرب في جميع القرى وبناء مائتي ألف مسكن ريفي ودفع الرواتب التقاعدية لسبعمائة ألف من الفلاحين العجز ، وشق آلاف الكيلو مترات من الطرق الرئيسية .

وقالت الحكومة الفرنسية في ردها على سؤال الأمانة العامة للأمم المتحدة عن النتائج الاقتصادية والاجتماعية لنزع السلاح ما نصه : « ستتمثل هذه النتائج في زيادة الطاقة الانتاجية عن طريق الاستثمارات في المعدات الضخمة ، وفي توسيع التسهيلات في مجالات التعليم والبحث

العلمى ، وزيادة الاستهلاك الخاص ، ونشر الخدمات الاجتماعية والثقافية ، والقيام بمشروع اجتماعى للاسكان • ولا شك فى أن هذه المجالات هى التى ستفيد أكثر من غيرها من الموارد التى ستتوافر من نزع السلاح » •

وسيفيد نزع السلاح فى فرنسا وكذلك فى ألمانيا الاتحادية الغربية وايطاليا كثيرا فى مساعدة المناطق المتخلفة نسبيا على التطور والتنمية ، وهى مناطق تعانى فى مجموعها كثيرا من البطالة ، وانخفاض الدخول • ولنضرب على سبيل المثال الأجزاء الغربية من فرنســـا ولا سيما مقاطعة بريتانى ، ومناطق كثيرة فى الجنوب الغربى ، ومناطق «ماسيف» الوسطى ، والجنوب الشرقى وساحل البحر الأبيض المتوسط • فليس فى هذه المناطق كلها الا مركز صناعى واحد وهو مارسيليا ، ولو استثنينا هذه المدينة لأمكننا القول بانهـــا خالية تماما من الصناعة • ويقول الاخصـــائيون الفرنسيون ، ان من الضرورى التغلب على التخلف فى هذه المنطقة ، وتوجيه استثمارات رأسمالية كبيرة الى المنشئات الصناعية الكبيرة فيها ، كاقامة فروع للصناعة تستند الى الطـاقة المحركة ، كصـناعات الكلوروفينيل والألومنيوم والكالسيوم وهلم جرا ، واستخدام موارد الطاقة الكهربية ـ المائية الموجودة • ومن الأهمية بمكان كبير لتنمية اقتصاد هذه المنطقة أن يتحقق ما يلى :

١ ـ اقامة شـــبكة من ستة مشروعات مائية هندسية على نهر دوارنس وروافده ونهر فردان على أن يكون مجمـوع طاقتها ألفى مليـــون كيلو واط ساعة من الكهرباء فى الســـنة وأن تروى عشرين ألف هكتار من الأرض •

٢ ـ شق قناة بروفانس لتأمين المياه الى مرسيليا والرى لسبعين ألف هكتار من الأرض الزراعية الاضافية •

٣ ـ استخدام موارد الطاقة الكهربية المائية لنهر الرون استخداما شاملا واقامة مصنع للألياف والورق ، وآخر للصناعات المعدنية ـ الكهربية ، يعملان بالطاقة المتولدة من النهر المذكور •

٤ ـ تحسين نظام النقل ووسائطه •

وتقف الى جانب المجمعات الصـــناعية المتقدمة ومناطق الراين ـ الروهر ، والراين ـ المين ، وهامبورج وشتوتجارت وميـــونيخ وغيرها فى ألمانيـا الاتحادية مناطق زراعيـــة مختلفة كثيرة تمثل أربعين فى المائة من

مجموع مساحة البلاد ، ويسكنها ١٨ فى المائة من مجموع سكانها • ولعل أبرز هذه المنـــاطق شـمال هيسين وايفيل وهونسروك وويستروولد ، وفرانكو وغابة بافاريا • وفى الامكان استخدام شـطر كبير مما تنفقـه ألمانيا الغربية الآن على التسلح ، فى تنمية هذه المناطق صناعيا •

ويقول بيان صدر عن حكومة ألمانيا الاتحادية الغربية : « هناك فى جمهورية ألمانيا الاتحادية وفى مختلف مجالات الهياكل الأساسية للاقتصاد، أى النقل والآفاق الاجتماعية والثقافية فجوات ضخمة ، تفوق متطلباتها بشكل كبير امكانات توفير ما يلزمها • ولكن الزيادة فى النفقات العسكرية هى المسئولة عن هذه الفجوات ، فلقد أنفقت جمهورية ألمانيا الاتحادية مائة ألف مليون مارك على الأهداف الحربية بين عامى ١٩٥٠ و ١٩٦١ ، وهو رقم يفوق ما أنفقته ألمانيا النازية على استعداداتها للحرب العالمية الثانية ، وأنفقت البلاد فى عام ١٩٦٢ أكثر من خمسة عشر ألف مليون مارك أخرى على التسلح ، كما وصلت الموازنة العسكرية فى عام ١٩٦٤ الى عشرين ألف مليون مارك •

ولكننا نرى صورة جد مختلفة بالنسبة الى الانفاق على الشـــئون الثقافية والاجتماعية • فلقد امتص « مارس » اله الحرب ، من حكومة ألمانيا فى سنة واحدة ، مثل ما أنفقته على شئون التعليم والخدمات الصحية والعلوم والفنون والرياضة والمتطلبـات الاجتماعية للصـغار والشيوخ فى عشر سنوات تقريبا •

ويمثل الجنوب « نقطة بيضاء » كاملة على خريطة ايطاليا الاقتصادية • وبالرغم من أن أربعين فى المائة من سكان البلاد يعيشون فى تلك المنطقة الا أنها لا تسـتهلك الا نحوا من ١٥ فى المائة من مجمـوع القوة الكهربية المولدة فى ايطاليا كلها • ولا يزيد معدل الدخل الفردى فى الجنوب على نصف معـدله فى الشمال • وفى وسع مخططات التنمية لجنوب ايطاليا والتى أعدها الاخصائيون والهيئات أن تعمل الكثير للتغلب على التخلف الاقتصادى فى المنطقة • فهناك على سبيل المثال برنامج تنمية سردينيا على أساس المشروعات الهندسية للطاقة الكهربية المائية والمقترحة من جانب شركة كهربا سردينية ، وبرنامج اعادة بناء ١٤ مدينة فى الجنوب وغيرها • ولو توافرت الموارد اللازمة ، لأمكن اختصار المدة اللازمة لتنفيذ برنامج رى صقلية لزيادة المســاحة المروية فى الجـزيرة من ٩٥ ألف هكتار الى ٢٤٠ ألف هكتار من ١٥ أو عشرين سنة كما هو مقرر فى البرنامج الى ثلث أو ربع هذه المدة •

واتخذ أول قرار لتأمين معونة الدولة للجنوب فى عام ١٩٤٧ . ولكن هذه المنطقة ما زالت بوجه عام زراعية متخلفة ، بالرغم من ظهور عدة مراكز صناعية فيها ، وهى المراكز التى تشبه ناطحات السحاب فى الصحراء ، والتى توجد فى جيلا وتورانتو ، وراجوزا ونابولى ٠

ولقد أنفقت الهيئات التى أقامتها الحكومة الايطالية لتمويل الاجراءات لتنمية الصناعة فى جنوب البلاد نحوا من ٤٧٧ ألف مليون ليرة حتى عام ١٩٦٢ ، فى حين زاد الانفاق الحربى المباشر في ايطاليا فى عام ١٩٦٤ فقط على ١٠٠٠ر١٠٠ر١ مليون ليرة ٠

ولا شك فى أن احتمالات استخدام الموارد التى يوفرها نزع السلاح فى أهداف الانتاج السلمى ، أكبر بالنسبة الى بعض البلاد الرأسمالية الأخرى كأسبانيا وتركيا واليونان والبرتغال ، وذلك لأن هذه البلاد لم تفعل شيئا حتى الآن ، الا القليل جدا ، لتصل بصناعاتها الى مستوى يقوم على أساس تقنى عصرى ٠

ولا تزيد المسافة بين « الجزيراس » فى اسبانيا وطنجة على مدى « رمية الحجر » ٠ ولكن هاتين المدينتين أقرب الى بعضهما فى نواح أخرى غير الناحية الجغرافية ٠ ولا شك فى أن الصورة الاقتصادية لكثير من المناطق فى اسبانيا وافريقية الشمالية ، هى واحدة أو متشابهة تقريبا ٠ فنحن نرى فيها الصورة التى كانت تسبق الثورة الصناعية فى أوروبا ٠ ولقد كانت افريقيا وما زالت واقعة تحت ظلم الاستعمار ، أما اسبانيا ، فهى على النقيض من ذلك مرتبطة بهذا الاستعمار ، وبما يحمله من نزعات عسكرية ٠

وسيؤمن نزع السلاح الشامل والكامل ، فرصا ممتازة ، لتنمية التعاون الاقتصادي الأوروبى بوجه عام وتطويره ٠ ويمكن للموارد التى يوفرها نزع السلاح أن توجه بشكل خاص الى تمويل المشروعات والمخططات المشتركة لتنمية قاعدة الوقود والطاقة الكهربية المحركة فى أوروبا ، حيث أصبح اللاتكافؤ ملموسا ، ولتوحيد الممرات المائية الرئيسية كالدانوب والراين ، والرون والالب والفستولا وغيرها ٠ وتقول الاحصاءات المتيسرة ، ان الدول الأوروبية الغربية الأعضاء فى المجلس الاقتصادى الأوروبى لن تستطيع فى عام ١٩٧٠ سد أكثر من أربعين فى المائة من متطلباتها من القوة المحركة من مواردها الخاصة فى حين كانت هذه الموارد تؤمن ٧٥ فى المائة من هذه المتطلبات فى عام ١٩٦٠ ٠

وسيكون تنفيذ الاقتراحات التى قدمها الاتحاد السوفياتى والبلاد الاشتراكية الأخرى حول قضايا الأمن الأوروبى وبينها تخفيف التوتر العسكرى ، وخفض التسلح فى أوروبا حافزا طيبا لتنمية التعاون الاقتصادى على أساس أوروبى شامل للقارة · ولا شك فى أن الوصول الى معاهدة صلح لألمانيا ، وحل الكتل والأحلاف العسكرية فى أوروبا ، وعقد معاهدة لحظر انتشار الأسلحة النووية وتصفية القواعد العسكرية الأجنبية على أراضى الدول الأخرى ، وسحب القوات الأجنبية من هذه الأراضى ، تمثل كلها اجراءات تخلق أساسا مضمونا لاقرار السلام فى أوروبا وتنمية العلاقات السلمية والمتبادلة النفع بين جميع البلاد الأوروبية ·

ولقد كانت اليابان حتى الآن تنفق نسبة مئوية أقل من مواردها القومية على الأهداف العسكرية ، اذا قورنت بغيرها من البلاد الرأسمالية المتقدمة · ولقد أعان هذا اليابان على التقدم بسرعة أكبر لتحقيق تبدلات نوعية مهمة فى صناعتها وعلى قيادة العالم الرأسمالى فى بناء السفن وانتاج « الترانزستورات » وعلى أن تكون الثانية فى انتاج الصلب والأسمنت والرابعة فى توليد الكهربا وانتاج مصنوعات البلاستيك ·

ولكن اقحام اليابان فى سباق التسلح يزداد يوما بعد آخر · ولقد بدأ هذا الاقحام فى عام ١٩٥٠ عندما تم انشاء فيلق لقوات الشرطة الاحتياطية ، وباتت القوات البرية الدفاعية اليابانية تملك الآن أربعة أضعاف القوة النارية والقدرة على الحركة التى كانت لدى الجيش الامبراطورى السابق · وأنفقت اليابان ٥٠٠ر١ ٠٠٠ر١ مليون على الأغراض العسكرية منذ أواسط عام ١٩٥٠ وحتى مستهل عام ١٩٦١ · وينص البرنامج الخمسى للدفاع على انفاق ٠٠٠ر١٦٦ر١ مليون بين عامى ١٩٦٢ و ١٩٦٦ على تعصير أسلحة القوات الحربية وحده ·

وقالت الحكومة اليابانية ردا على سؤال الأمين العام للأمم المتحدة ، حول النتائج الاقتصادية والاجتماعية لنزع السلاح ان أثر الخفض فى الانفاق على برامج الدفاع ، بالنسبة الى الاقتصاد القومى اليابانى سيكون تافها حتى ولو وقع هذا الخفض · ومع ذلك تبين الأرقام أن هذا الأثر لن يكون تافها أيضا · فلقد بلغ انفاق اليابان فى عام ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ على التسلح نحوا من ٠٠٠ر٣٠١ مليون ين أو ٨٠٤ ملايين دولار · وليس هذا المبلغ بالشىء التافه فهو يزيد بعدة ألوف الملايين من اليينات على المبالغ المخصصة فى السنة نفسها لمكافحة الكوارث الطبيعية وتنمية الزراعة والرى وزراعة

الأحراج . وعلينا أن نذكر أيضا أن ما يحققه مبلغ ٨٠٤ ملايين دولار فى اليابان يفوق كثيرا ما يحققه فى انجلترا أو أمريكا . فمعدل الدخل القومى بالنسبة الى الفرد يصل فى الولايات المتحدة الى ٢٥٢٨ دولارا وفى بريطانيا الى ١٢٤٧ وفى اليابان الى ٥٠٧ دولارات . ولا يتقاضى العامل اليـابانى الا ثلاثين فى المائة مما يتقاضاه العامل البريطانى .

وفى وسع اليابان ، مثلها مثل أية بلاد أخرى ، أن تجد أماكن كثيرة تستطيع أن تستخدم فيها الموارد التى ستتوفر عن نزع السلاح الشامل والكامل . فلليابان متطلبات مشتركة مع غيرها من البلاد المتقدمة ، كما أن لها الكثير من المتطلبات الخاصة بها .

وكان ماكليش الجغرافى البريطانى المعروف قد كتب فى الثلاثينات يقول : ان اليابان تمثل البلاد التى تحمل حجارتها آثار أصابع الانسان ، والتى يفيد فيها الناس من جميع الأراضى وبينها تلك القاسية كالجبال الصخرية . وأضاف ان الانســـان استصلح كل ما يملكه من أرض فى اليابان باستثناء البراكين والمناطق المجاورة لها تماما .

ولا شك فى ان الحقيقة تقترب هنا من الأسطورة . فنحن لا ننكر أن الأرض تمثل المتطلب الأول للفلاح اليابانى . ولكن كان هناك فى اليابان حتى عام ١٩٤٩ نحو من ٥٫٥٠٠٫٠٠٠ هكتار من الأراضى غير المستعملة والصالحة للزراعة وهى أقل بقليل من تلك التى كان اليابانيون يزرعونها . ولا شك فى أن الفلاحين اليابانيين لا يستطيعون أن يقوموا باستصلاح هذه الأراضى بأنفسهم . ولكن الوضع سيكون جد مختلف ، اذا كانت الدولة هى التى ستستخدم مئات الملايين الاضافية من الينات المتوفرة من نزع السلاح فى استصلاح الأراضى وسيعيد نزع السلاح الى اليابان أيضـا ، عشرات الألوف من هكتارات الأرض التى تحتلها القواعد الأمريكية الآن فى اليابان .

ويقول العلماء ان موارد اليابان تكفى لضعف تعداد سكان البلاد . وكل ما تحتاج اليه البلاد هو التنقيب عن هذه الموارد . وفى امكان الانسان أيضـا الافادة من القوة المدمرة للأعاصير والتيـارات البحرية وعشرات البراكين اليابانية ، ذلك فى استخراج الطاقة المحركة .

وتعانى اليابان الآن خسائر كبيرة من الفيضانات التى تحـدث بين الآونة والأخرى فى فترة سقوط الأمطار . وتقول التقديرات ان الفيضانات والأمطار ألحقت بالبلاد فى غضون الفترة بين ١٩٤٦ و ١٩٦٠ خسائر مادية وصلت الى ثلاثة ملايين مليون ين أو ما يعادل ٨٤٠٠ مليون دولار وقتلت

نحوا من ثلاثين ألف انسان • ولا شك فى أن السيطرة الشاملة على الأنهار واقامة السدود الجديدة والحواجز والخزانات ضرورة قصوى •

وستعمل الافادة العقلانية من موارد الطاقة ـ الكهربية على تنمية الصناعة المحلية وعلى دفع الدم الجديد الى اقتصاد المناطق المتخلفة ، اذ المعروف أن ثلثى الانتاج الصناعى ، متركز الآن فى المدن الست الكبرى ، وأن أكثر من سبعين فى المائة من مجموع مساحة البلاد تعتبر من المناطق المتخلفة •

وتحتاج طوكيو عاصمة اليابان كغيرها من المدن الى اعادة بنائها على نطاق واسع • ويزداد عدد سكانها بسرعة ، وينتظر أن يصل فى غضون عشرين عاما الى ما يتردد بين خمسة عشر وعشرين مليونا من الناس • ووضع مهندسو تخطيط المدن من اليابانيين عدة صور لانشاء مدينة بحرية جديدة على خليج طوكيو تضم حزاما صناعيا وميناء حديثا وقسما للاسكان• ويقضى المخطط باقامة هذه المدينة على أنقاض المدينة السابقة أو باستصلاح مناطق أخرى من الخليج • ولكن لم يبدأ العمل فى المشروع بعد نظرا لعدم توافر الموارد •

وكان المستوطنون الاوروبيون منذ نحو من مائتى عام قد شرعوا فى الاقامة فى استراليا . ولكن مازالت المساحات الشاسعة فى القارة الاسترالية تمثل حتى الآن منطقة خلفية جرداء تقف وراء الجزء النامى جدا من البلاد . وكان جون فلين المكتشف الاسترالى قد أطلق على الأجزاء الداخلية من استراليا اسم «القلب الميت للقارة» • وأدى سباق التسلح الى الشروع فى محاولة لاستصلاح هذه الأجزاء لتكون قاعدة لتجربة الصواريخ النووية البريطانية • ومع ذلك فان الماء لا الاسلحة هو الذى يستطيع عن طريق الرى الواسع النطاق أن يحمل الحياة الجديدة الى المناطق المتخلفة حاليا فى استراليا وأن يحولها الى صوامع للغلال لها أهميتها العالمية ، وأن يخلق الأوضاع الصالحة للاسراع فى استغلال موارد البلاد الطبيعية الوفيرة . وكتب روبرت بيرنز رئيس اتحاد الكتاب الاستراليين فى معرض الحديث عما تستطيع استراليا تقديمه الى العالم يقول : انه يأمل فى عام ١٩٨١ اقامة «صندوق عالمى للغذاء» تصب فيه جميع المنتجات الزراعية الفائضة ، وأضاف أن هذا الصندوق سيمثل أداة مهمة فى مكافحة المجاعة ، انى كان موقع وجودها . وقال بيرنز ان استراليا تستطيع أن تقدم الى العالم المعادن الكثيرة بالاضافة الى المواد الغذائية .

وهكذا نستطيع أن نتبين أن البلاد الراسمالية المتقدمة جدا على الصعيد الصناعى تستطيع أن تحقق تقدما ماديا وتقنيا أفضل ، لو تخلص المجتمع الانسانى من أعباء النزعة الحربية الثقيلة ، ومن أعباء سباق التسلح الذى يستهلك ثروات هائلة يخلقها عمل الملايين من الناس ، والذى يهدد سلام الشعوب وأمنها .

ولاشك فى أن جميع بلاد العالم ستفيد فائدة كبرى فى توسع التبادل الاقتصادى الدولى . وسيحرر نزع السلاح التجارة الدولية فى الحدود المصطنعة الزائفة ومن التمييز التجارى الذى يخدم اليوم أغراض الحرب الباردة .

وتشمل التجارة الدولية نحوا من عشرة فى المائة من المنتجات القيمة فى العالم . وتصل أرقام هذه التجارة الى نحو من ١٣٠ ألف مليون دولار . وفى وسع نزع السلاح الشامل أن يرفع مجموع المتداول فى البيع والشراء فى العالم من السلع الى رقم يتردد بين ستمائة وسبعمائة الف مليون دولار أى الى رقم يعادل خمسة أضعاف الرقم الحالى .

ولابد أن تتعرض التجارة بين البلاد الاشتراكية والراسمالية الى التحول الى اتجاه جديد . فلقد احتل الاتحاد السوفياتى وبلاد اوروبة الشرقية والصين فى السنوات الطيبة التى سبقت الحرب العالمية الثانية نحوا من عشرة فى المائة من صادرات الولايات المتحدة و ١١ فى المائة من صادرات بريطانيا و ٢٨ فى المائة من صادرات المانيا . أما الآن فلا تزيد الحصة على ٢٫٥ الى ٣ فى المائة من التجارة الخارجية للدول الرأسمالية بالرغم من القدرة الضخمة للأسواق الداخلية للبلاد الاشتراكية التى يزيد تعداد المستهلكين فيها على الالف مليون من الناس .

ويؤمن الغاء الحواجز التجارية وعودة الأوضاع الدولية الى طبيعتها ، فرصة لزيادة الدورة التجارية بين البلاد الاشتراكية والبلاد الرأسمالية الرفيعة التنمية الصناعية بما يتردد بين ثمانية آلاف وتسعة آلاف مليون دولار أو بما يزيد على ضعف الأرقام الراهنة .

ويؤدى نزع السلاح الى التنمية السريعة للتجارة بين البلاد المتقدمة صناعيا وبين البلاد الأقل منها تنمية . وقد لا يحتل التصنيع وادخال الأساليب التقنية الزراعية العصرية مكانة ظاهرة فى البلاد

النامية اقتصاديا ، اذا لم تستورد هذه البلاد الآلات والمعدات والسلع الصناعية الأخرى على نطاق واسع من البلاد الصناعية . وفى مكنة البلاد النامية من الناحية الأخرى وهى تسير فى طريق التقدم أن تصدر المزيد من سلعها .

ويؤمن العالم المنزوع السلاح للدول فرصا عظيمة لتبادل المعارف الاقتصادية والعلمية والهندسية وذلك بالنسبة الى البحوث النووية. على سبيل المثال ، واستعمال الطاقة الذرية للأغراض السلمية واستكشاف الفضاء وتنظيم المناخ واكتشاف محيطات العالم وغير ذلك من القضايا .

هذه هى المشكلات العالمية التى تثيرها الثورة العلمية والتقنية التى يشهدها العالم المعاصر الآن . وهى تتطلب المزيد من التفاعل الاقتصادى الدولى ، وخلق الأوضاع اللازمة لتبادل اقتصادى واسع النطاق بين البلاد الاشتراكية وبين بلاد النظام الرأسمالى . وفى وسع هذه العملية بدورها أن تترك أثرا مناسبا على الوضع الدولى .

ويساعد نزع السلاح وتنفيذ برنامجه الاقتصادى على تحسين التجزئة الدولية للعمالة ، اذ يتيح الفرصة لمزيد من الافادة العقلانية من موارد كل بلاد بحيث نضمن الافادة للبلاد نفسها ولجميع شركائها فى مجال التبادل الاقتصادى العالمى .

٩ الاشتراكية ونزع السلاح

ظهرت الدولة الاشتراكية الأولى الى حيز الوجـــود قبل نحـو من نصف قرن . ترفع شعارات «السلام والجهد الخلاق والحرية لجميع الشعوب» . وأصبحت هذه الدولة وهى تخلص لهـذه المبادىء التى جعلت منها أساس الســياسة الداخلية والخارجية السوفياتية ، فى فترة قصيرة من الزمن العملاق العالمى الصناعى الثانى ، وبلد التقدم فى العلم والهندســة . ويدين الاتحـاد السوفياتى وغيره من البــلاد الاشتراكية بما يتحقق من منجزات الى طبيعة النظام الاشتراكى نفسه، اذ أن التنمية الاقتصادية القومية فى ظل هذا النظام ومايلحق بها من اجراءات تتخذ على المسرح الدولى تكون لمصلحة الجميع ، لا لمصلحة قلة محدودة .

ومن الطبيعى أن البلاد الاشتراكية التى باتت تؤلف الآن ثلث سكان الكرة الأرضية تبـذل الجهود المركزة الآن لتنفيذ الخطط الشـاملة والبرامج الانمائية الاقتصادية لخلق الأساس المادى والتقنى للاشـتراكية والشيوعية . وستنفذ هذه الخطط ، وان كانت البلاد نفسها مضطرة الى مواجهة سباق التسلح الذى تشنه الامبريالية . ولا ريب فى أن ما حققته البلاد الاشتراكية حتى الآن من منجزات ومن تقدم سريع خير دليل على ذلك .

فلقد ارتفع مجمل الانتاج الصناعي في الاتحاد السوفياتي بنسبة ٨٤ في المائة في غضون سبع سنوات أي بين عامي ١٩٥٩ و ١٩٦٥ . فلقد ضاعفت المشروعات الصناعية الرئيسية التي بلغ تعدادها ٥٥٠٠ والعدد الكبير من المشروعات الانتاجية الأخرى التي بدأ العمل فيها ابان هذه الفترة الطاقات الصناعية للاتحاد السوفياتي بالنسبة الى ماكان عليه في عام ١٩٥٨ .

وبينما كانت حصة الاتحاد السوفياتي عشية بدء الحرب العالمية الثانية من مجموع الانتاج الصناعي العالمي لاتزيد على عشرة في المائة ، ارتفعت هذه الحصة في عام ١٩٦٥ الى نحو من عشرين في المائة .

ويحتل الاتحاد السوفياتي مركز القيادة في عـدد من المجالات المهمة في العالم أي في العـلم والهندسة ٠ ولقد حقق الاتحاد منجزات مهمة في اكتشاف الفضـاء وعلم الطبيعة النووية واسـتخدام الذرة والطبيعيات وعلم الالكترونات والهندسة الاذاعية ، والعلوم التعدينية والهندسة الصاروخية وصنع الطائرات والنقل البعيد المدى للطـاقة الكهربية وهلم جرا ٠

ووصل معدل الانتاج الصناعي بالنسبة الى الفـرد في البـلاد الاشتراكية الاعضاء في مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة في عام ١٩٥٠ الى معدل المستوى العالمي . وارتفع هذا المعدل الى ثـلاثة أضـعاف المعـدل السابق في عام ١٩٦٣ ٠ وباتت الدول الاشتراكية تنتج الآن في شهر واحد من السلع الصناعية ماكانت تنتجه قبل الحرب في سـنة كاملة .

ولقد حزمت شعوب الاتحاد السـوفياتي أمـرها على أن تبني المجتمع الشيوعي الذي يرتكز على مبدأ «من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته» . ولابد لتحقيق ذلك من اقامة ألوف محطات القوة الكهربية الاضافية ، والمشروعات الصناعية والمناجم ، وعشرات الملايين من الشقق السكنية ، واعادة تشكيل مساحات فسـيحة من الأرض ، ومسـح الموارد المعدنية واسـتخراجها ، والافادة الى الحد الأقصى من آخر منجزات العلم والهندسة .

وسـيكون لتحقيق مخططات التنمية الاقتصـادية في الفترة بين عامي ١٩٦٦ و ١٩٧٠ ، أهمية قصوى في اقامة الأساس المـادي والتقني للشـيوعية ٠ ولابد أن يصل الاتحاد السوفياتي في عام ١٩٧٠ الى الأهداف الصناعية التالية ٠

	١٩٦٥	١٩٧٠
القوى الكهربية بألوف الملايين من الكيلو واط ساعة	٥٠٧	٨٣٠ — ٨٥٠
البترول بملايين الأطنان	٢٤٣	٣٤٥ — ٣٥٥
الصلب بملايين الأطنان	٩١	١٢٤ — ١٢٩
الأسمنت بملايين الأطنان	٧٢ر٤	١٠٠ — ١.٥
البلاستيك والصمغ الصناعى بألوف الأطنان	٨٢١	٢ر١٠٠ — ٢ـ٣٠٠
أدوات الآلات القاطعة للمعادن	١٨٥	٢٢٠ — ٢٣٠
المنسوجات بألوف الملايين من الأمتار المربعة	٧ر٥	٩ر٥ — ٩ر٨
الأحذية الجلدية بملايين الأزواج	٤٨٦	٦١٠ — ٦٣٠
أجهزة التليفزيون بملايين الأجهزة	٣٠٧	٧ر٥ — ٧ر٥
الثلاجات المنزلية بملايين القطع	١ر٧	٥ر٣ — ٥ر٦

وكانت المهمة الاقتصادية الأساسية فى فترة الخطة الخمسية الوصول الى مزيد من النمو الكبير فى الصناعة والى معدل عال ومستقر من التنمية فى الزراعة ، وتحقيق ارتفاع كبير فى ضوء ذلك ، فى مستويات الشعب المادية والحضارية . وستطبق هذه المهمة عن طريق الافادة من انجازات العالم والتقنية ، وعن طريق التنمية الصناعية للانتاج الاشتراكى كله ، وزيادة الفاعلية والطاقة الانتاجية للعمالة .

وتتفق مؤشرات الخطة الرئيسية تمام الاتفاق مع المبدأ الاساسى وسيزيد الدخل القومى فى غضون السنوات الخمس بنحو من ٤٠ فى المائة تقريبا ، كما سيزيد مجمل الانتاج الصناعى بنحو من ٥٠ فى المائة ومعدل الانتاج الزراعى . السنوى بنحو من ٢٥ فى المائة ، عما كانت عليه أرقام معدل الانتاج السنوى طيلة السنوات الخمس السابقة . وستبلغ الاستثمارات الرأسمالية فى الانتاج القومى ٣١٠ آلاف مليون روبل ، أى بزيادة ٥٠ فى المائة تقريبا عما كانت عليه فى الفترة بين عامى ١٩٦١ و ١٩٦٥ .

ويعمل الشعب السوفياتى لخلق مزيد من القوة الكهربية والمراكز الصناعية التى ستفيد من الموارد الطبيعية الهائلة للمناطق الشرقية من الاتحاد السوفياتى والجزء الأوروبى منه أيضا . ويملك الاتحاد السوفياتى أكبر مخزونات من المواد المعدنية فى العالم . وتظهر على

الخريطة الجيولوجية للاتحاد السوفياتى أكثر من ١٥ الف علامة تشير الى المخزونات التى تم اكتشافها من المعادن الحديدية وغير الحديدية والمعادن النادرة والبترول والغاز والفحم والمواد الأولية الكيماوية والماس وغير ذلك من المواد ·

وستقوم فى سيبريا مجمعات كبيرة لانتاج الطاقة المحركة من الوقود كالفحم المحلى الرخيص والطاقة من نهر اينيس وغيره من الأنهر العظيمة · وأصبحت آسيا الوسطى بمواردها الهائلة من الغاز والقوة الكهربية ـ المائية ، احدى المناطق المهمة للغاية فى البلاد بالنسبة الى استهلاك الطاقة المحركة والى الصناعات الالكترو ـ كيماوية بوجه خاص . وسيقام مركزان كبيران للحديد والصلب فى وسط القسم الاوروبى من الاتحاد السوفياتى ، حيث بدأ استخراج المخزونات الضخمة من خامات الحديد من مناجم كورسك المغناطيسية ، ومثلهما فى تزاخستان . وستقام مراكز كيماوية رئيسية تستند الى الغاز الطبيعى فى مناطق الأورال ، والفولجا ، وأوكرانيا وشمال القفقاس ، وسيبريا وآسيا الوسطى .

وتسير التنمية الصناعية فى حوض نهرانجارا فى سيبريا بسرعة هائلة · ولقد شرع التوربين الأول فى محطة براتسك لتوليد الكهرباء المائية فى الدوران فى هذا النهر منذ خريف عام ١٩٦١ . وتعتبر هذه المحطة التى هى الكبرى فى العالم ، نواة القوة المحركة للمجمع الصناعى الممتد فى دائرة نصف قطرها ٢٥٠ كيلو مترا . ويقوم هناك أكبر مصنع للألومنيوم فى العالم ، ومصنع آخر لصهر المعادن الخام وسحقها ، وهو قادر على تكرير ١٢ مليون طن من المعادن كل عام ، ومصنع ثالث عملاق لصناعة الألياف والورق والعجينة الورقية · وينتج المصنع الثالث بعد اكماله مليون طن من هذه العجينة فى السنة ، كما ينتج مواد أخرى . وستصل طاقة محطة براتسك بعد استكمال انشائها فى السنوات القليلة القادمة الى ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ كيلو واط ، كما أن الأعمال التمهيدية لاقامة محطة اوست ـ ايليم لتوليد الطاقة الكهربية المائية والتى تولد القدر نفسه من الطاقة تسير على قدم وساق ، على مسافة أبعد على ضفاف النهر نفسه ·

وتسير اقامة المراكز الصناعية فى اشينسك ـ كرازنويارسك وسايانسكى وغيرهما من المراكز المهمة جنبا الى جنب مع اقامة المجمع

الصـــناعى فى براتسك فى منطقة انجارا ـ انيسى ، وفجرت اقامة محطة كرازنويارسك للطاقة الكهربية المائية العمل فى التنقيب عن الموارد الهائلة للطاقة المائية فى نهر انيسى الذى يستطيع تأمين طاقة تصل الى ٤٧٠ ألف مليـون كيلو واط ساعة من الكهرباء في السنة . وستكون مدى محطـة كرازنويارسك طاقة تبلغ خمســة ملايين كيلو واط أو مائة ضعف تقريبا لما تولده محطة فولخوف للطاقة الكهربية وهى أولى المشروعات التى نفذها الاتحاد السوفياتى فى هذا المجال . وستعادل كل وحدة مولدة للكهرباء فى محطة كرازنويارسك التى تقرر أن تضم اثنتى عشرة وحدة ، فى طاقتها تلك التى تولدها محطة نهر الدنيبير كلها ، وهى المحطة التى تركزت عليها أنظار العـــالم كله ، عنـدما قامت روسيا الســـوفياتية بانشائها .

وهنـاك تطلعات رائعة وعجيبة للتنمية الاقتصـادية فى المناطق الشمالية من الاتحاد السوفيتى . وسيتم استغلال موارد الخشب فى كاريليا الغربية ومنطقة أركانجل وجمهورية كومى المستقلة استغلالا تاما وســيقام عدد من مصانع تنقية الخشب والمصـانع الكيماوية هناك . وسيستفاد كل الفائدة من الاباتيت وخامات النحاس والنيكل والسيانيت والمعادن النادرة وغيرها من الثروات المعدنية فى شبه جـزيرة كولا . ويجرى بنــــاء محطات للطاقة المحركة تعتمد على تيـــارات البحر على ساحل بحر بارينستس وفى خليج مازين ، لتؤمن مصــــدرا جديدا من مصادر الكهرباء الرخيصة .

وستسـتغل موارد الخشب فى المجرى الادنى لنهر اوب فى القسم الشمالى من آسيا استغلالا واسع النطاق ، كما سيقام مركز رئيسى وجـديد لاستخراج البترول وتكريره فى حـــوض كوندا ، وسيبدأ باستغلال الموارد الصناعية لمنطقة نهر فيلوبى الغنيــة بموارد الماس . واكتشفت مخزونات كبيرة من الغاز الطبيعى والبترول فى حوض نهر فيلوبى وعند مصبه وعلى نهر لنيا ، كما اكتشفت مخزونات ضخمة من فحم الكوك وخامات الحديد فى ياكوتيا الجنوبية مما سيسهل اقامة مركز آخر للفحم والحديد والصلب هناك . وستصبح كمشـــاتكا فى القريب العاجل منطقة تعدينية مهمة ومركزا للطاقة الكهربية المائية أو الحرارية .

وسيمضى الاتحـــاد السوفياتى ـ سدا منه لمتطلبات العلم الحـديث والهندســة ـ قدما فى طريق التنمية السريعة لصناعات طاقاته المحركة

وانتاج الآلات والصناعات المعدنية والكيماوية ، وهى الفروع الصناعية الرئيسية التى تضمن التقدم الهندسى فى الصناعة القومية .

وتتحقق تنمية ضخمة فى المجال الزراعى أيضا . فلقد وضعت المخططات لرى مايتردد بين ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ و ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ هكتار من الارض ولصرف المياه فى مساحات تتردد بين ستة ملايين وستة ملايين وخمسمائة الف هكتار بين عامى ١٩٦٦ و ١٩٧٠ وتخلص من الوقوع تحت رحمة عوامل الطبيعة وتضمن محصولات عالية ومستقرة فى الحبوب وقصب السكر والقطن والفواكه والخضار وغير ذلك من المحصولات الزراعية . وسيتم رى عدة عشرات الملايين من المساحات الأخرى فى الوقت المناسب . ولقد أنتجت الأراضى المروية فى عام ١٩٦٤ ثلاثمائة الف طن من الحبوب فى عام ١٩٧٠ ، ويتوقع الخبراء أن يرتفع هذا الرقم فى عام ١٩٧٠ الى عدة أضعاف .

وهناك مشروعات كبرى للرى تحت التخطيط أو بدأ العمل فيها فى أواسط آسيا وقزاخستان وأوكرانيا وملدافيا والفولجا ، وما وراء القفقاس . ويستمر العمل فى بناء قناة قره ــ توم التى ستمكن مياه نهر امو ــ داريا من رى ثمانمائة ألف هكتار من الأراضى فى مناطق الهضاب الجائعة والمساحات المجاورة لها . ولقد بدأت المحاولات لاستصلاح أراضى هذه الهضاب الواقعة بين طشقند وبخارى والتى تضم ملايين الهكتارات من الأراضى القاحلة منذ أكثر من مائة عام . ولكن لم يكتمل قبل نشوب ثورة عام ١٩١٧ رى أكثر من ثلاثين ألف هكتار ليس الا . وتحولت مئات الألوف من هكتارات الأرض الى حقول ومراع ومروج وحدائق فى عهد الحكومة السوفياتية . وكانت الهضاب الجائعة بالأمس كما يقول بى . بى سيميونوف ــ تيانشانسكى ، الجغرافى الروسى المشهور ، «أرضا منخفضة ميتة شاحبة اللون ، تحرقها الشمس ، وينطبق عليها اسمها ، بما يسيطر عليها من حرارة محرقة ، وافتقار كامل الى الحياة» . وستصبح الهضاب الجائعة المستصلحة مع مرور الوقت أكبر المناطق الصالحة لزراعة القطن فى الاتحاد السوفياتى .

وستجرى مياه سيبريا الى المناطق الشمالية والوسطى من قزاخستان عبر قناة أريتش ــ قراجاندا التى تمتد الى ٤٩٠ كيلومترا والتى بدأ العمل بها فى عام ١٩٦٢ . وستصل المياه بعد ذلك الى قناة

اريتش ــ اليم ــ توبول التى تمتد ثمانمائة كيلو متر والتى تتسع لمرور ١٢٠ الى ١٥٠ مترا مكعبا من الماء فى الثانية الواحدة (١) ، وسيمر الشطر الأول منها عبر البطاح الواسعة التى لا ماء فيها فى منطقة اومسك ومنطقة تسيلينى ٠

ولقد بات استكمال مشروعات تحويل مقادير كبيرة من ميـاه نهر سيبريا الى آسيا الوسطى ،، أمرا متوقعا فى القـريب العاجـل . وتم اعداد المشروعات اللازمة لتحويل نهرين من انهر اوروبا الشمالية وهما بيشورا وفيشيجدا الى الجنوب . وسيصل خزان كاما ــ فيشيجدا ــ بيشورا الضخم بين أعالى هذه الانهار ومنطقة كاما ، مما يسـهل تحويل ماقدره ٤٠ كيلومترا مكعبا من الماء فى السـنة الى الفولجا . وستحول مياه نهرى بيشورا وفيشيجدا ، دون جفاف الميـاه فى بحر قزوين الذى يضـم موارد هائلة من الأسـماك ، كما سيزيد الانتـاج الحالى للكهرباء من سـلسلة المحطات الكهربية المائية على نهـرى الفولجا وكاما بنحو من ١١ ألف مليون كيلو واط ساعة ، ويؤمن المياه اللازمة لرى مسـاحات شاسعة من الأراضى الخصـبة فى منـاطق الفولجا والمساحات الواقعة بين الفولجا والأورال ، ومصب الفولجا ــ اخطوبا ٠ وستستخدم القناة العامة التى ستقام فى نقل فحم بيشورا والخشب من أحـواض الأنهر الشـمالية ، الى مناطق الفولجا وغيرها من الأماكن فى جنـوب البلاد .

ولاشك فى أن هذه المهام التى ترمز الى الطبيعة السلمية العميقة لسياسات الاتحاد السوفياتى الداخلية والخارجية تشير الى أنها ستنفذ حتى ولو استمر سباق التسلح . ومع ذلك علينا أن ندرس ماسيفيده الاتحاد السوفياتى لو تحقق نزع السلاح الشامل والكامل ، وتخلص من الحاجة الى انفـاق جزء من أمواله وموارده على شئون الدفاع وهو ماعادل ١٣٫٤٠٠ مليون روبل فى عام ١٩٦٦ . ولو استمر هذا المعدل فان الاتحـاد السـوفياتى سينفق فى عشرين عاما نحوا من ٢٦٨ ألف مليـون روبل على شئون الدفاع ٠ وسيوفر نزع السلاح هذه الأموال للأغراض السلمية ، وينال الاتحاد السوفياتى نفسه منها نحـوا من

---

(١) يؤمن كل متر مكعب من الماء يصل الى الصحراء انتاج ثلاثمائة غرام من القطن الخام ، أو ما يعادل مترا واحـدا من السـلع القطنية وثمانية كيلو جرامات من اللحوم والشحوم و ٤٫٥ كيلوجرام من الصوف ٠

٢١٤ ألف مليون روبل ، هذا اذا فرضنا أن عشرين فى المائة من الأموال التى يوفرها نزع السلاح ستخصص لمعونة البلاد النامية . وتعادل هذه الأموال المتبقيـــة للاتحاد الســوفياتى تقريبـــا جميع الاستثمارات الرأسمالية التى شهدها الاقتصاد السوفياتى فى غضون أربعين عاما أى بين ١٩١٧ و ١٩٥٨ من السلطة السوفياتية . وهى تعـادل خمسة أضعاف الاعتمادات التى رصدت فى الموازنة العامة للدولة السوفياتية لعـام ١٩٦٦ للأهداف الاجتماعية والثقافية كالتعليم والخدمات الصحية والرواتب التقاعدية والمنح والتطور الثقافى وهلم جرا .

وسيؤدى تحويل القوة العـاملة والموارد المالية والمادية فى شئون الدفاع الى أهداف البناء الســلمى والى الاسراع فى تحقيق مخططـات الاعمار الاقتصادى وتأمين المزيد من أموال الدولة للمتطلبات الاجتماعية ـ الاقتصادية ، وتحسين الأوضاع الحياتية للشعب السوفياتى .

ويقول بعض الاقتصـــاديين السوفيات ، ان المعدل السنوى لنمو الانتـــاج الصـــناعى فى الاتحاد السوفياتى يمكن أن يزيد بنسبة مئوية تتردد بين ٢ و ٣ فى المائة اذا تحقق نزع السـلاح .

وانعكس البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح فى وثائق أصـــدرتها البلاد الاشتراكية ولاسيما فى ردود حكومات بولندة وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوجوسلافيا على مذكرة الأمين العام للأمم المتحدة حول النتائج الاقتصادية والاجتماعية لنزع السلاح وكذلك فى البيانات الصادرة عن حكومة جمهورية المانيا الديمقراطية حول هذه المشكلة .

وبينت حكومة جمهورية بلغـاريا الشـعبية ذات مـرة ، انه لو استخدمت الأموال التى أنفقت على دفاع البلاد بين عامى ١٩٥٥ و ١٩٦٢ فى أعمال الانشاء الجـديدة ورفع دخل الشعب ، فان الأموال الثـابتة ، كانت ستفوق الأهداف المقررة بنسبة تتردد بين ١٠ و ١٢ فى المـائة . ويعنى هذا أن ماقيمته نحوا من ســتة آلاف مليون ليف أو مايعـادل ٤٢٠٠ مليون دولار من السلع كانت ستنتج من المشروعات الصناعية التى ستقام بهذه الاموال ، وهو مايزيد على مجمل حجم انتاج بلغاريا الصناعى فى عام ١٩٣٩ .

ولو أصبح نزع السلاح حقيقة واقعـة . فان فى وسع البـلاد الاشتراكية أن تستخدم بعض الامــوال المتوفرة ، لتنفيذ المشروعات المشـــتركة ضمن اطـار التعـاون والتنسيق الاقتصـادى فى تنميـة اقتصادياتها . وكانت الدول الأعضـــاء فى مجلس التعـاون الاقتصـادى

منشغلة منذ عام ١٩٦٤ فى تنسيق خططها المتعلقة بالموجودات الثابتة فى عدد من المشروعات المهمة . وتعد الآن الاقتراحات لانشاء عدد من المشروعات الصناعية المشتركة بموجب الخطة الخمسية للفترة بين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ . وتم مد أنابيب بترول الصداقة التى تمثل مشروعا أساسيا مشتركا لهذه الدول الأعضاء فى عام ١٩٦٤ · ويمثل هذا الخط الذى يبلغ طوله ٤٥٠٠ كيلومتر والذى ينقل البترول السوفياتى من ضفاف الفولجا الى بولنده وجمهورية المانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا والمجر أكبر خط فى العالم لنقل البترول . وهو أكبر من أى خط مثيل له فى البلاد الرأسمالية اذ يبلغ طول الخط الامريكى «البوصة الكبيرة» نحوا من ٢٢٠٠ كيلو متر وخط التابلاين فى العربية السعودية ١٨٠٠ كيلو متر · ويعتبر خط القضبان المتعالية لنقل الكهرباء والذى يحمل اسم خط « السلام » ويشمل خطوط أوكرانيا الغربية فى الاتحاد السوفياتى وبولنده والمانيا الديمقراطية والمجر ورومانيا وبلغاريا فى منتهى الأهمية للتنمية الاقتصادية للبلاد الأوربية الاشتراكية وهو يحمل طاقة تقدر بنحو من ٣٤ مليون كيلو واط ، وان كان لا يزال يمثل مجرد بداية ·

وفى وسع البلاد الاشتراكية أن تفيد كثيرا من التنمية الشاملة لنهر الدانوب ، وهو النهر الذى يتطلب أيضا جهدا مشتركا لعدد من البلاد · وتظهر التقديرات الأولية : ان الاحتمالات الكهربية المائية لنهر الدانوب تكفى لخمس عشرة محطة كهربية ـ مائية تؤمن قدرا كبيرا من الكهرباء · ويمثل حوض الدانوب مكانا مناسبا لاقامة مجمع اقتصادى يستطيع الافادة فائدة فعالة من البوكسيت المجرى ، والخامات المعدنية البلغارية والمنغنيز الرومانى والتشيكوسلوفاكى والأراضى الزراعية القريبة من الدانوب وهلم جرا ·

وهناك محطات القوة الكهربية المائية الضخمة على نهر الدانوب ونهر تيسا وغيرهما ومحطات القوة الكهربية الحرارية القوية والجهود المشتركة لاستخراج الفحم والبترول والغاز الطبيعى ، وهى كلها تؤلف بعض الطرق التى تستطيع البلاد الاشتراكية الأعضاء فى المجلس الاقتصادى ، أن تتعاون فى تنمية الوقود والأساس الاقتصادى طبقا لبرامج التخطيط الطويلة المدى .

ولقد درس العلماء الصينيون والسوفيات بالاشتراك فى وقت ما الموارد الاقتصادية لنهر آمور ، وتطلعات التنمية الاقتصادية فى حوضه.

وسرعان ما ظهر أن في امكان هذا النهر وروافده الرئيسية أن تؤمن توليد أكثر من ٦٠ ألف مليون كيلو واط ساعة من الكهرباء وهو قدر يزيد على الطاقة التي كانت محطات الصين الكهربية كلها تولدها في عام ١٩٦٠ وقدرها ٥٥ ألف مليون كيلو واط ساعة .

وفي وسع جمهورية الصين الشعبية كنتيجة لنزع السلاح أن تسارع في حل الكثير من المشكلات الاقتصادية الحادة التي تواجهها عن طريق تخصيص موارد وأموال اضافية تنفق الآن على الدفاع ورصدها للانشاء الاقتصادي والتنمية الثقافية .

ويتحدث مدى المخططات الانشائية في الاتحاد السوفياتي وغيره من البلاد الاشتراكية عن نفسه . ولاشك في أن بلادا كهذه تقع وتنفذ مثل هذه الخطط لابد أن تكون معنية بدوام السلام وتعزيز التعايش السلمي الواسع بين الدول المختلفة في أنظمتها الاجتماعية .

ولكن على الدول الاشتراكية في الوقت نفسه وفي ظل الأوضاع الراهنة التي ينشط فيها الرجعيون الامبرياليون . وتواصل القوى الاستفزازية للامبريالية تدخلها في الشئون الداخلية للدول المستقلة ، أن تعنى عناية مستمرة بتعزيز أمنها وخطوط دفاعها . فستتعرض المكاسب التاريخية التي حققها الشعب السوفياتي وغيره من الشعوب الى الخطر ، اذا لم تجد هذه الشعوب الضمان المباشر أو اللامباشر من القوة العسكرية الضخمة للمجموعة الاشتراكية ولاسيما من قوة الاتحاد السوفياتي . ويحمل الاتحاد السوفياتي وهو يؤدي واجباته الدولية العبء الأكبر . من النفقات لتنظيم شئون الدفاع المشترك عن البلاد الاشتراكية . ويعتبر الامبرياليون ، الاتحاد السوفياتي العقبة الأساسية التي تعرقل تنفيذ مخططاتهم العدوانية . ولعل هذا هو الذي يدفع الاتحاد السوفياتي الى تحمل المسئولية الكبرى عن مصير السلام والتقدم الاجتماعي .

ولا حاجة بنا الى القول بأن الاحتفاظ بالقوات العسكرية العصرية يتطلب انفاقا ماديا وماليا ضخما . ولو كان كل شيء متوقفا على الاتحاد السوفياتي ، لقام بتخفيض كبير ومهم للانفاق الحربي لاستخدام الأموال المتوفرة في زيادة الاستثمارات الرأسمالية في القطاعات المدنية للاقتصاد . ولقد أعلن الاتحاد السوفياتي المرة تلو المرة انه يعتبر الاندفاع نحو السلاح الذي جرت الدول الامبريالية وعلى

رأسها الولايات المتحدة الجنس البشرى اليه ، مؤذيا وخطرا . ولقد بذل الاتحاد السوفياتي قصارى جهده لوضع حد لهذا التبديد الأحمق للجهد الانساني وللطاقة والموارد ، ولكن التوفير في نفقات الدفاع فى هذه الأوضاع الراهنة التي تصعد فيها القوى الامبريالية العدوانية التوتر الدولى ، وتخلق مراكز للحرب ، لايعنى سوى العمل ضد مصالح الاتحاد السوفياتي والبلاد الاشتراكية ، وضد مصالح السلام والأمن لجميع الشعوب فى العالم .

ولم يضع الاتحاد السوفياتي ولن يضع أية مخططات لمهاجمة أية دولة أخرى . فالشعب السوفياتي مقتنع بأن السلام بين الشعوب والتعايش السلمى بين الدول هما متفقان تمام الاتفاق مع مصالح الشعوب كلها . وستكون الحرب العالمية الجديدة الكارثة الكبرى . حتى ولو حملت الدمار الى المعتدى . ويعتمد مستقبل الشعوب وما يحمله من فرص لتحسين أوضاع حياتها كل الاعتماد على حل مشكلة الحرب والسلام . ولذا فان الخط الذى يسير عليه الاتحاد السوفياتي فى الشئون الدولية يتجه في طريق الدفاع عن السلام وحق الشعوب فى الاستقلال والتقدم الاجتماعى ، وردع قوى العسكرية والعدوان بحزم واصرار ، والعمل من أجل نزع السلاح والتعاون الواسع بين الدول على أساس مبادىء التعايش السلمى . وكان المؤتمر الثالث والعشرون للحزب السوفياتي قد عاد فأكد هذا الخط السياسى .

ويعمل الاتحاد السوفياتي باصرار رغبة منه فى كبح جماح سباق التسلح ووقفه نهائيا على الوصول الى اتفاق حول الاجراءات العملية اللازمة للوصول الى نزع السلاح الشامل والكامل . وكل مايعنى الشعب السوفياتي ، تجنب وقوع حرب عالمية جديدة . ولاشك فى أن الاتحاد السوفياتي رغبة منه فى تحقيق هذا الهدف النبيل ، على استعداد للتعاون مع جميع الحكومات التى تقف أو ستقف الى جانب تخفيف التوتر الدولى وضمان الأمن للشعوب كلها .

١٠ حول الحكم المطلق "للفرسان الأمريكيين الثلاثة"

لا شك فى أن القارىء يود بعد حصوله على هذه الفكرة التصويرية لما يمكن عمله فى مجال المشروعات الهندسية التى عرضناها ؛ أن يدرس الفرص المتعلقة بتنفيذ البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح الذى بحثنا فيه ؛ وامكان تنفيذ نزع السلاح الشامل والكامل · ويواجه القارىء بعد انتقاله من مجال العلم والهندسة ؛ ومن الحسابات الهندسية السهلة نسبيا الواقع اليومى بما فيه من تسابق على السلاح ، ومن مشكلات دولية لم تحل كالعدوان الأمريكى فى فيتنام وكضمانات الأمن الأوروبى وتسوية الصلح مع المانيا وغيرها ·

ولا شك فى ان القارىء يحس بشىء من الارتباك بعد أن طاف بفكره فى أرجاء الكرة الأرضية · ويتساءل بعض الناس ، هل يتطلب التعود على شىء واضح كفكرة القول على سبيل المثال بأن الحرب النووية الحرارية تهدد الجنس البشرى بدمار لم يسبق له نظير ؟ وكالقول بأن نزع السلاح نعمة أرضية ، وبأن القذف بمئات ألوف الملايين فى هاوية سباق التسلح عمل اجرامى وأحمق من وجهة نظر المجتمع المعاصر ؛ والعقل الانسانى؛ شيئا من التكيف ؟ ولكن هناك آخرين يسألون ··· وهل نزع السلاح ممكن على الاطلاق ؟ أو لا تفرض الحتمية على الشعوب والدول التى

تفرضها قوانين علم الحياة التى تؤكدها ألوف السنوات عبر التاريخ ؛ أن تواجه الحروب وسباق التسلح ؟

وأمامنا رغبات ثلاث من علماء الاجتماع الأمريكيين هم ار · شترادز هوبى ، ودبليوآر · كينتز ، واس · تى بوسونى ، الذين يعتبرون من عظماء الاخصائيين فى الاستراتيجية العالمية والدبلوماتية · ولقـــد أعلن هؤلاء ؛ الفينة تلو الفينة أن نزع السلاح الشامل والكامل ، «حلم مطلق» وفكرة لا تستند الى أى أســاس تاريخى صحيح ·. ولقد قال السير اليك دوجلاس ــ هيوم ممثل بريطانيا فى قصر الأمم فى جنيف نفس الشىء تقريبا · وان نزع السلاح الشامل والكامل لن يصبح ممكنا الا فى حالة تغير طبيعة الانسان · وعلينا الآن أن ننظر الى الموضـــوع نظـــرة مفصلة ···

(أ) النهج الجديد مقابل القدرية :

تمثل القوى الرجعيـــة للامبريالية بسياسييها وواضعى مذهبيتها الخصـــم الأساسى لنزع الســلاح وبالتالى لمعاهدة نزع الســلاح الشامل والكامل وما تنطوى عليه من برنامج اقتصادى · ولو كان الأمر موكولا الى دعاة السلام وحدهم ؛ لكان نزع السلاح قد أصبح حقيقة واقعة منــذ أمد طويل · ولعل هذا هو الذى يفرض قبل كل شىء تحليل المفاهيـــم التى تسيطر الآن على ما يسمى بعالم الغرب · وسنقوم كذلك بدرس آراء الليبرالية البورجوازية المسرفة فى تطرفها وآراء البورجوازية الصغيرة التى تنبع كما سيبدو واضحا لنا من أبعاد مناقضة كل التناقض لليبرالية، ولكنها تنتهى وهنا موضع الغرابة الى نفس الاستنتاجات فى هذه القضية · ولما كانت القضية لا تعدو مجرد عداءات مذهبية فاننا لا نحس بأية حاجة الى الرجوع الى نفس الاستعارات اللفظية الغامضة أو شبه الغامضة التى يستخدمها الدبلوماتيون عادة ·

وكان العالم الذى تحدثنا عنه فى الفصول السابقة ؛ دنيا من الأفكار والآمال والأحلام الغريبة التى لا يعرف القسم الأكبر من الناس فى الغرب شيئا عنها ، وان عرفوا فلا يعرفون الا القليل ·

ولقد بات من الطبيعى جدا بالنسبة الى سكان الاتحاد الســـوفياتى وغيره من البلاد الاشتراكية ، أن يتبينوا الخطط التقنيـــة الاقتصــــادية والعلمية الجـديدة · ولقد بينا بوجه خاص أن أساليب التغلب على التخلف الاقتصادى فى البلاد والقارات المختلفة المتحررة من النير الاســـتعمارى تنحصر فى محاولة لنشر التجارب المتجمعة فى هذا الموضوع على العالم

كله فى حالة تحقيق نزع السلاح الشامل والكامل • ولقد حاولنا ونحن نفعل ذلك أن نؤكد أول ما نؤكد الجوانب المادية والتقنية للموضوع لنمكن القارىء من أن يتفهم بصورة أفضل الفرص المتاحة فى عصرنا • وفى وسعه أن يرى بنفسه أن البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح يشبه الأفكار والمشروعات الهندسية التى ظهرت فى المجتمع غير الاشتراكى أيضا •

فلقد كانت افريقية حتى عهد قريب قارة مستعمرة بكاملها « مجزأة » الى ممتلكات للدول الأوروبية الغربية ، ولكن الانسان تمكن الآن من ابتكار خطة انيجا المدهشة لتنمية المجرى الأدنى لنهر الكونجو ، والتى تقضى بانشاء محطات للطاقة الكهربية المائية تفوق فى طاقتها مجموع الطاقة التى تملكها محطات الطاقة الكهربية المائية فى ألمانيا الاتحادية •

وما زالت العواطف السياسية تجيش فى شبه جزيرة الهند الصينية، ومازالت القنابل الأمريكية تنهال على فيتنام ؛ فى حين تنعكس فى لاوس الصغيرة جميع العناصر التى تثير الجزء الأكبر من العالم ؛ كما تنعكس فى نقطة صغيرة من الماء • ومع ذلك فنحن نرى أن خطة نهر الميكونج التى بات العالم كله يعرفها الآن قد ظهرت فى تلك البلاد التى ما زالت بعيدة عن أن تنعم بالسلام والهدوء •

ولقد أصدر العالم البريطانى جون بيرنال (١) كتابه « عالم بدون حرب » ؛ فى انجلترا القديمة التى ما زالت تسير على نظام السيطرة والتى ما زالت مقتنعة من فائدة الاتجاه المحافظ والحاجة الى أحلاف الأطلسى والمركزى والباسيفيكى (جنوب شرق آسيا) • ويبدو أن جيمس بيرنال كان أول رجل استطاع أن يقدم عرضا عاما للتطلعات الاقتصادية للكرة الأرضية فى أوضاع نزع السلاح •

ولقد صدر كتاب آخر من هذا الطراز اسمه « الاقتصاد العالمى لعلم الطاقة » صدر فى ألمانيا الغربية «وكر النزعة العسكرية والانتقامية» لعالم اقتصادى بارز هو اف • بآدى •

---

(١) جون ديزموند بيرنال ولد عام ١٩٠١ عالم طبيعى بريطانى معروف ـ أستاذ فى جامعة لندن • نال جائزة لينين فى عام ١٩٥٣ • أصبح أستاذ شرف فى جامعة موسكو وعضوا فى عدد من الاكاديميات العلمية • من أشهر كتبه « مهمة العلم الاجتماعية» و « التحرر من الحاجة» و «العلم والصناعة فى القرن التاسع عشر» و «العلم فى التاريخ» المعرب •

ولم يكن مؤلفو خطة اينجا ومشروع الميكونج وكتاب « عالم بدون حرب » وهم جميعا يعيشون فى العالم الرأسمالى الوحيدين الذين تبينوا رومانسية انتصار الانسان على الطبيعة • فلقد نشأ مئات الملايين من الناس فى العالم الاشتراكى على الاحساس بذلك ؛ اذ ان السلام والعمل والمعرفة والبناء ، هى الشعور والايمان والعقيدة وهى أيضا معيار تقييم جميع القيم لديهم • ولقد كان لينين هو الذى وضع لهم هذا المفهوم فى خطته لكهربة روسيا السوفياتية • وعندما يقرأ المرء خطب الزعماء الكبار فى افريقية وآسيا ، يجد أن أفكار لينين عن كهربة روسيا ؛ تشرق ساطعة فى آسيا وأفريقية كما تتخلل الحجب ممتدة الى أمريكا اللاتينية • وتعتبر هذه الأفكار فى تلك البلاد القوة التى تلتف حولها الشعوب للنضال ؛ والراية المرفوعة لانتصارات شعوب البلاد النامية فى المستقبل •

ولا شك فى أن يوجين بلاك ؛ رجل البنوك الأمريكى الكبير (١) على حق الى حد ما عند ما يقول ان هذه الراية ترفع فى كثير من بلاد آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية فى بعض الأوقات لا من الجماهير العريضة وحدها ؛ بل من الجماعات المتقدمة من المثقفين والعمال المتعلمين وتنطلق ألسنة اللهب من الشرارة الصغيرة ، كما أن البذور الصغيرة التى تلقى فى الأرض التى تحرث فى الربيع تنتج حصادا جنيا فى الخريف •

فلم تنطلق نفس الأفكار والاقتراحات والمشروعات بوجه عام فى وقت واحد فى مختلف أرجاء العالم من أفكار الناس على اختلاف آرائهم ، ومهما كانت خطوط سيرهم فى الحياة ؟ أن هذا الانطلاق دليل على وجود قوة ضخمة ولا يمكن مقاومتها ، فقد ترفض الأفكار والمشروعات مرة ومثنى وثلاث بل مائة أو ألف مرة ، ومع ذلك فهى موجودة لتبقى ، على أساس القاعدة التى تقول ••• « اطرد الطبيعة من الباب لتجدها قادمة اليك من النافذة » •

ولم يقم أحد باختراع البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، وانما ولدته الحياة ، كما ولده العصر الذى نعيش فيه •

ويقول كارل ماركس ••• « ولذا فان الجنس البشرى ، يضع لنفسه فقط تلك الواجبات التى يستطيع حلها وأداءها • ولو نظرنا الى

---

(١) المدير العام السابق للبنك الدولى التابع للامم المتحدة •

التضحية نظرة أكثر دقة وتمعنا ، فاننا نجد أن هذه المهمة ، لا تنشأ الا عندما تكون الأوضاع المادية لحلها موجودة ، أو انها فى طريق الوجود» (١)٠

ويعرف الذين وضعوا المشروعات للمحطات المائية ـ الكهربية على نهر الكنج أو السند أو الكونجو تمام المعرفة ان هذه المشروعات سهلة على التنفيذ ٠ ويعرف الملايين من الآخرين ذلك أيضا ، كما يعرفه رجال الأعمال ٠ وليس هؤلاء على استعداد لاقحام أنفسهم فى الأوهام ٠٠ وهم يدركون خيرا من غيرهم أن الاقتراحات لتحويل هذه الأموال والموارد التى يوفرها نزع السلاح الى المتطلبات السلمية سهلة على التطبيق من الناحيتين الاقتصادية والهندسية ٠ فهم يعرفون أن المشروعات الهندسية ما زالت حبيسة خزائن الاحتكارات ، وأن الخطط لوضع طاقات القوة الهائلة والموارد الطبعية فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية بالاضافة الى موارد أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية يمكن أن توضع فى خدمة الانسان ٠

ومع ذلك هاجم المدافعون عن الامبريالية والاستعمار على الفور البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ٠ وليس هذا بالغريب ، فالبرنامج يستند الى فكرة نزع السلاح الشامل والكامل ، وهى فكرة غريبة كل الغرابة على مصالح الاحتكارات الكبرى ، اذ انها لا تعرض حلا لصور اللاتوافق فى العلاقات الاقتصادية الدولية التى يصوغها الامبرياليون لمنفعتهم ومصلحتهم ، كتقسيم البلاد الى متقدمة ومتخلفة ، وكالزراعة الفردية ، وكتحويل النقد اللامتكافىء وهلم جرا ٠

وكان رد الفعل الأول لواضعى المذهبية الاحتكارية محاولة ارضاء أكثر العناصر تخلفا ومحافظة فى حركات التحرر الوطنى ٠

وكان هؤلاء يقولون « ليست الحاجة الى برامج طوبائية واسعة تجرى حساباتها لزمن مقبل مازال فى طى الغيب بل الى اجراءات محددة تعالج مباشرة الآن أسوأ الشرور التى خلفها الماضى » ٠ وكان آخرون يتفلسفون فيقولون ٠٠ « ليس البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح الا اقتساما لجلد الدب الذى لم يذبح بعد ، أو عدا للفراخ الصغيرة قبل فقسها من البيض وتفريخها » ٠ ولا بد من التمعن فى هذه الآراء التى يراد منها اقناع الناس العاديين ٠

---

(١) كارل ماركس وانيجلز ـ منتخبات ـ المجلد الاول ـ دار نشر «اللغات الأجنبية» ـ موسكو ١٩٥٥ ـ ص ٣٦٣ ٠

ولكن هذه الآراء مجرد افتعال زائف · ولماكانت الاحتكارات الكبيرة فى الغرب نفسها تنشد ارضاء البلاد النامية نفسها واقناعها بنظرية « الأهداف الفورية » ، فقد حزمت أمرها على أن تكون بعيدة النظر بقدر الامكان بالنسبة الى اقتصاداتها·وهى تدع نظرية « الأهداف الفورية » الى الآخرين ، وهذا أمر منطقى طبعا ·

ولقد سبق لنا أن بينا أن القوى المنتجة فى الوقت الحاضر أصبحت تحمل طابعا عالمى الشمول · ويتطلب المزيد من تركيز المتطلبات الرأسمالية الكبيرة ومن مركزيتها بعض التخطيط الأساسى وبعد النظر وتقييم التطلعات بالنسبة الى المدى والزمن · يضاف الى هذا أن مخططات التنمية الاقتصادية البعيدة المدى ، تمثل عاملا سياسيا ذا أهمية عالمية كبيرة ، مما يفرض على كبار رجال الأعمال ، أن يحاولوا انتاج شىء لارباك هذه المخططات ·

وتقوم الاحتكارات الكبيرة فى الولايات المتحدة وألمانيا الاتحادية وبريطانيا وفرنسا باعداد توقعاتها الانمائية لعشرين سنة وأربعين سنة قادمة ·

وقام خمسة وعشرون خبيرا من المؤسسات الأمريكية «موارد المستقبل» ولمدة خمس سنوات باعداد دراسة عن تطلعات التنمية الأمريكية فى غضون الاربعين سنة القادمة ، والى أى مدى ستظل البلاد مزودة بالموارد · ولقد قامت مؤسسة فورد بتمويل المؤلف الذى أعده هؤلاء الخبراء والذى ضم ألف صفحة وحمل اسم «موارد أمريكا ومستقبلها ــ احتياجات وفرص» · ترى ما الأفكار التى حملها هذا المؤلف ؟ افترض واضعو الكتاب أن الحرب الباردة ستستمر أربع حقب قادمة ، وأن الانفاق العسكرى الامريكى سيتضاعف مرتين أو ثلاث مرات فى الخمس عشرة سنة القادمة ليصل الى ما يتردد بين مائة ألف ومائة وخمسين ألف مليون دولار ·

وقدمت مؤسسة روكفلر مثل هذا العون لاعداد مؤلف آخر من هذا الطراز حمل اسم «تطلعات أمريكا» · وهو يعالج موضوع المشكلات الرئيسية التى ستواجهها الولايات المتحدة فى غضون السنوات العشر أو الخمس عشرة القادمة ·

وناقش المؤتمر الخاص بالموارد المقبلة ، وقد عقد فى مدينة مونتريال فى أكتوبر من عام ١٩٦١ ، صورة الأوضاع والتطلعات لتنمية الموارد الاولية فى كندا ، وهى سادس دولة صناعية منتجة بين البلاد الرأسمالية

الامبريالية . واشترك فيهذا المؤتمر نحو من ٦٥٠ مندوبا يمثلون مختلف المؤسسات الحكومية ودوائر الأعمال والبحوث فى البلاد ، كما أشرفت عليه الحكومة الكندية . ولقد ناقش المؤتمر عددا كبيراً من المشكلات المتعلقة بالطريقة العقلانية لاستغلال الثروة الطبيعية للبلاد فى المستقبل. وتركز الاهتمام بوجه خاص فى المؤتمر على الافادة الشاملة من موارد كندا المائية ، وعلى المزيد من تنمية الصناعات المستهلكة للقوة الكهربية .

ويعتزم ملوك المال والبورصة وضع خطة لتنمية الاقتصاد العالمى فى المستقبل ، ولكن فكرهم ينصرف أولا وقبل كل شىء الى توسيع سباق التسلح على أساس انهم غير راضين عن الأرباح الأسطورية التى جنوها حتى الآن من هذا السباق . أما بالنسبة الى الدول الفتية ذات السيادة، فان الاحتكارات لا تستطيع أن تقدم اليها سوى نظريات منسوخة تهدف الى حرمان الشعوب حتى من الثقة بمستقبلها ، ومن الحاجة الى النضال من أجل هذا المستقبل .

ولقد بدأت فلسفة جديدة فى الظهور فى الولايات المتحدة بوجه خاص . ويقال هناك ان من الواجب تنفيذ برنامج طموح للتسلح ، واغراق البحر الأبيض المتوسط والمحيطين الهندى والأطلسى بغواصات بولاريس الحاملة للأسلحة النووية والاندفاع بعد ذلك الى تنفيذ مشروع جديد كمشروع مارشال (١) ، وعلى أساس أوسع فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية . ولكن هذا المشروع الجديد يفترض خلق طبقة «رقيقة» من الأغنياء فى البلاد المتخلفة اقتصاديا تمثل قوة تالية وتتولى خدمة الاحتكارات بصورة مباشرة أو لا مباشرة . ويأمل الامبرياليون عن طريق هذا المخطط فى توجيه تنمية هذه البلاد فى سبيل سلطوى يحفظ كل ما فى الاستعمار والنزعة العسكرية والاقطاع من «محسنات» . وكتبت صحيفة فرانكفورتر الجمانية زايتونج الألمانية الغربية فى هذا الصدد تقول .. « يجب أن تهدف سياسات المعونة الغربية الى اقامة طبقة عريضة من الملاك الافراد فى البلاد النامية ومن التجار والصناعيين الذين سيقيمون اقتصاد السوق الحر ويجسدونه » . وتعنى اقامة هذه الطبقة تحول الشعب الى وجود تعس وحياة تتميز بالفاقة . ولكن الشعب بعد هذه الحياة فى هذه الطريق الملأى بالضحايا الذين ماتوا من المجاعة والمرض ،

---

(١) نسبة الى الجنرال جورج مارشال وزير خارجية أمريكا فى الاربعينات وواضع المشروع الذى يحمل اسمه لتقديم المعونات الى الحلفاء الغربيين تمهيدا لضمان السيطرة الاقتصادية الأمريكية عليهم . — المعرب —

لا يستطيع اللحاق بالبلاد النامية صناعيا ، فى مجال الانتاج الا بعد عدة قرون ٠

حقا انها طوبائية دموية ٠ ومن الطبيعى أن يكون هناك تناقض صارخ بين «الحلم الجميل» بوجود اقتصاد سلمى سريع التطور على الأرض وهو الحلم الذى يتحول الى واقع فى البلاد التى تبنى الاشتراكية ، وبين الواقع الذى يسيطر على ما يسمى بالعالم الحر ٠ ولكن المخططات الخاصة ببرنامج سريع لزيادة اقتصاد الطاقة المحركة فى كندا ، قد تسمى أيضا، مجرد «حلم جميل» ، طالما أن خطر نشوب الحرب النووية الحرارية مازال قائما ٠

ويؤمن البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، استشفافا للتنمية العالمية في المستقبل ، اذ انه يتعلق بما سيتحقق من انجازات فى العلم والهندسة والفكر الاجتماعى ٠ فلا بد من اقامة مراكز صناعية جديدة ذات أهمية علمية كتلك القائمة فى الأورال والروهر وبيتسبرج وغيرها ، فى البلاد الاسيوية والافريقية وفى أمريكا اللاتينية أيضا ٠ وتستطيع جميع شعوب الأرض بل لابد أن تحقق تقدما هائلا فى طريق تنميتها المادية والتقنية وذلك عن طريق اقامتها لصور جديدة من العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية ، وضمانها ايجاد تعاون اقتصادى دولى متبادل النفع فى ظروف من السلام الدائم ٠ ولا شك فى أن الوحيدين الذين يشكون فى ذلك ، هم أولئك الذين يتصورون جديا بأن نهاية الحياة على الأرض قادمة ، أولئك الذين يشبهون ذلك المالك السىء الخلق ، الذى أمر خدمه عندما عرف أن موته قريب ، بقطع كل ما فى بستانه قائلا « لا أريد أن يظل أى شىء بعد أن أموت » ٠

وعلى الانسان ألا يكون قدريا فى نظرته الى الحاضر والمستقبل بالنسبة الى الجنس البشرى ، وأن يعتبر الحرب والدمار والفاقة الصور الوحيدة لمستقبل الانسانية الذى تخفيه طيات الغيب ٠ فلقد حققت الحياة الاجتماعية تقدما عظيما ، وان كان بعض الساسة المحافظين فى الغرب ، يعتقدون بأن الشكل وحده هو الذى تغير ، وأن محتوى الحياة السياسية والدولية والطبيعة الانسانية قد ظلا على حالهما قبل مئات السنين ٠ ولكن هذا هو الذى يدعو بالضبط الى احساس الانسان بتعفن الماضى وجموده ، وهو يقرأ مؤلفات مثل هؤلاء الناس ٠

فمن الضرورى فى عصرنا هذا أن يفكر الانسان بأسلوب جديد ، لا بنفس الأسلوب الذى كان يفكر فيه قبل عدة قرون ٠ فالمستقبل يصنع من جديد ، وهو يولد من مخاض الحاضر وآلامه ٠

ويتطلب المستوى الجديد للقوى الانتاجية والذى يكتسب الآن طابعا عالمى الصورة ، تنظيما جديدا للعلاقات الدولية وصورا جديدة من الحياة الدولية • ويتمثل المتطلب الأول والرئيسى فى وجـود التعايش السلمى بين الدول المختلفة والتكافؤ بينها ومحو الاستعمار محوا كاملا ، والقضاء على تخلف البلاد المتخلفة ، والوصول الى نزع السلاح الشامل والكامل• وتكون كل هذه الظواهر لمصلحة جميع البلاد والشعوب ، ولذا فهى تتطلب العمل لا مجرد التصور •

ولا تستطيع شعوب البلاد فى الشرق والغرب والجنـوب والشمال تبنى العقيدة المتـوحشة التى تؤمن بهـا الاحتكارات المنتجة للسلاح • وتنشـد الحروب وتجرى وراء سـباق التسلح ، وذلك لأن هذه الشعوب تريد السـير قدما فى طريق حيـاة فضلى • وهى تعبر عن هذه الارادة بمختلف الصور وبينها تأميم المشروعات الخاصة والبنوك كمـا حدث فى جمهورية مصر العربية وبورما والجزائر •

ونحن نشهد المدى غير العادى للأحداث التـاريخية التى تسير فى طريق الوقوع ، والطبيعة المتعددة الصور للطوفان القوى الذى ينفذ عبر سدود المستعمرين والامبرياليين وحواجزهم بمختلف الأشكال وفى مختلف البلاد ، ليسرع فى طريق بناء الحياة الجديدة •

ويعرض تحليلنا الموجز للبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، الكثير من الواجبات التى تواجه الجنس البشرى ، والتى يعرفهـا كل انسان ، وكذلك الكثير من الواجبـات الأكثر تعقيدا • فمن الضرورى تأمين الرى للأرض والصرف للمستنقعات وحفر الأقنية وخلق المزيد من الطاقة المحركة والقدرات الصناعية • ولو كرس الجنس البشرى نفسه لهذه المهـام بدلا من الاشتباك فى الحرب ، فان المسـتحيل لابد أن يتـحول الى ممكن • ولو أن العمـل بدأ جادا فى اسـتغلال الموارد المائية لأنهار السـند والكنج وبراهما بوترا فى الهنـد والباكستان والنيـل والكونجو فى افريقيـة والأمازون واوزينوكو فى أمريكا اللاتينية ، فان السياسات الخارجية للدول والعلاقات الدولية ستكتسب معنى مختلفا كل الاختلاف عن معناها الحالى •

وكما أن الانسان الآن فى وضع أفضل للسيطرة على الطبيعة ، فانه بات يملك قوة أكبر ووسـائط أكثر للسـيطرة على تنمية المجتمع وعلى الشئون الدولية •

وتستند الاقتراحات التى تقدم بها الاتحاد السوفياتى حول موضوع

نزع السلاح وبرنامجه الاقتصادى والتى لقيت التأييد من الأغلبية الغالبة للدول الأعضاء فى الأمم المتحدة الى فهم الحقيقة الواقعة وهى أن فى الامكان بل لابد من ضمان السلام والتعايش السلمى بين الدول على أساس اتفاق يعقد بينها حول نزع السلاح الشامل والكامل ، وحول الوصول الى اتفاق آخر باحلال التعاون بينهما ضمن اطار التنافس الاقتصادى السلمى بين النظامين العالميين • ولابد أن يتضمن هذا الاتفاق تقديم العون الى البلاد النامية لمساعدتها فى التغلب على التخلف الاقتصادى •

ولن يحل نزع السلاح بالطبع جميع المشكلات الاجتماعية • ولكن لو أن الانفاق المجنون للجهود والموارد فى انتاج أسلحة الدمار استخدم للأغراض السلمية ، فانه لابد أن يمارس بدون شك نفوذا مواتيا على الحياة اليومية فى جميع البلاد •

وسيؤمن نزع السلاح الأساس الأفضل للتنافس الاقتصادى السلمى ، للنظامين الاجتماعيين العالميين ، وأن تفيد من هذا الأساس جميع الشعوب والدول سواء أكانت فى الشرق أم الغرب أم الجنوب أم الشمال •

ومن الصحيح أن اقامة سد حتى على نهر صغير ، يتطلب قدرا معينا من النضال والجهد • ويزداد هذا المتطلب عندما يكون المشروع يهم العديد من الملايين من الجماهير ومختلف الطبقات •

ولا تطبق حتى أحسن الأفكار أوتوماتيكيا فى المجتمع ، فكل شىء لابد أن يتحقق عن طريق النضال ، والجهد الانسانى ، أو اذا شئنا الدقة فى القول ، فان كل شىء لابد أن يتحقق عن طريق الصراعات بين الطبقات المختلفة والفئات الاجتماعية التى تحتل أماكن مختلفة فى الانتاج القومى والعالمى•ولقد قيل منذ أمد طويل ، انه لو كانت للقواعد الحسابية أية تأثيرات على المصالح المادية للمجموعات ذات النفوذ ، فانها أيضا ستجد من يتحداها •

وسنجد أيضا مجموعة كبيرة من المحافظين العنيدين ، الذين يدعون بأن نزع السلاح شىء طيب بالطبع ، ومستحب ، ولكنه غير عملى •

(ب) على مقعد ثلاثى الأرجل :

ولنعد الآن الى قصر الأمم فى جنيف لنرى ما يدور هناك • يقول المندوب البريطانى •• « أعتقد أن من أهم المتاعب التى نواجهها ، استحالة تصور عالم منزوع السلاح » •

ويقول المستر دين المندوب الأمريكي ٠٠ « أعتقد أن مؤتمرنا قد بين أن مشكلة تنفيذ نزع السلاح الشامل والكامل أكثر تعقيدا من التسلح وذلك بالنسبة الى بعض الأوجه » ٠ ويمضى المستر دين فيقول ٠٠ « وليس في وسعنا في مثل هـــذا الوضع أن نتوقع القفز فورا الى اجراءات ذات طبيعة مغرقة في جذريتها ، اذ لا يمكن أن يكون ثمة أى تطور مفاجيء » ٠

وكان منطق المستر دين أول عرض للاعتراض الأول الذى أثاره ممثلو حلف الاطلسي حول الموعد المحدد لاستكمال نزع السلاح الشامل والكامل٠ فلقد تصـــور المشروع السوفياتى حدا زمنيا يتردد بين أربع وخمس سنوات ، فى حين حاول المشروع الأمريكى أن يقيم الدليل على استحالة ذلك واقترح فترة ست سـنوات للمرحلتين الأوليين فقط ؛ ثم أحاط تعريف المرحلة الثالثة لنزع السلاح بعدد ضخم من التحفظات بحيث باتت عملية نزع السلاح الشامل والكامل تبدو كأنها ستستمر الى أجل غير مسمى ٠ وأعلن المســتر دين أن « نزع السلاح لابد أن يكتمل فى رأيى فى أسرع وقت ممكن ، ودون أى تسويف لا مبرر له ٠ ومع ذلك ، فان من رأينا أن من المستحيل وضع حد زمنى ثابت سواء لأى اجراء فردى أو مرحلة أو برنامج كامل ، الى أن نكون قد درسنا التفصــيلات الفعلية لمشكلة نزع الســلاح ، والزمن اللازم لتعزيز جهاز الحفاظ على السـلام فى الوقت نفسه » ٠

ولو أخـــذنا موقف الدول الغربية فى مجموعه من اللجنة حتى هذه اللحظة يتبين لنا انه تمخض عن لغز محير يتلخص فيما يلى : « يمثل نزع السلاح الشامل والكامل هدفا مشتركا ٠ ولكن يبدو أن من المستحيل على أى حال تحقيقه ، أو أن من المتعـــذر على الأقل أن يبين المرء متى يمكن تحقيقه الى أن يقدر الخبراء فى نهـــاية المرحلة الثانية ان فى الامكان الوصول اليه ، أى ان فى الامكان اقامة اشراف فعال وكاف على اكتشاف سلاح نووى يمكن للانســان اخفاءه فى كمه أو جيبه » ولا شك فى أن هذا التفكير هو من النوع المعقد الذى يطلق عليه طلبة المدارس اسم « التفكير باستعمال الأنف لا العقل » ٠

وقال مندوب الهند ٠٠ « نحن نرى أن علينا أن نحقق نزع السلاح بسرعة كافية والا فان عملية اعادة التسلح ستستمر ، وذلك لأن أى شىء يتحقق فى صورة اجراء متدرج بطىء سيتعرض الى الشكوك والمتاعب على اختلاف أنواعها ٠ وستظهر أسباب جديدة للشكوك والصراعات » ٠

وأكد المندوب البلغارى أن « المشروع الأمريكى لا يحدد أى موعد زمنى لاستكمال المراحل الثلاث ، وليس ثمة حد زمنى بوجه خاص للمرحلة الثالثة ·· فهناك اصرار من جانب الوفد الامريكى وغيره من الوفود الغربية على مقاومة وضع حد زمنى » ·

وقال ممثل الهند ·· « ولو شئنا الصراحة فى القول ، لذكرنا أن الخطة الغربية تسمح باستبقاء ربع أو ثلث أو نصف الأسلحة النووية حتى المرحلة الثالثة لخطة نزع السلاح حتى مرور أمد زمنى من هذه المرحلة ·· ويبدو من الواضح ، أن كميات من الأسلحة النووية ستظل موجودة حتى قبيل نهاية المرحلة الثالثة ، وذلك وفق اقتراحات احدى الخطط ، وهى تكفى لتدمير العالم » ·

وقال السير مايكل رايت ، المندوب البريطانى موجها حديثه الى مندوبى الدول المحايدة ·· « وان ما أرجوه هو أن ندرك نحن أن هناك ثلاث ارجل للمقعد ، وهى نزع السلاح · والتحقق من نزعه ، وتقوية جهاز الحفاظ على السلام · ولا يمكن للمقعد أن يستند الى رجل واحدة أو رجلين بل يجب أن تتوافر الأرجل الثلاث معا » ·

وتعنى الرجل الثالثة للمقعد تنظيم « الجهاز المعزز للحفاظ على السلام » أى اقامة « سنن لسلوك الدول » ، ونظاما للتدخل الالزامى من جانب المحكمة الدولية فى الشئون الداخلية لهذه الدول ، واقامة جهاز دولى يتألف وفقا للاقتراح المقدم من الوفود الغربية يضم فيلقا دوليا من المرتزقة يكون تحت اشراف الدول الغربية بالطبع ·

ويمثل الزيف والنفاق ضريبة تدفعها الرذيلة الى الفضيلة · وليست البيانات الزائفة المنافقة التى صدرت عن الوفود الغربية حول موضوع المقعد ذى الأرجل الثلاث ، الا طريقة للاعتراف بالتصميم الثابت من جانب الشعوب للحفاظ على السلام ، ولتحقيق نزع السلاح الشامل والكامل · ولقد سبق لنا أن تحدثنا عن الثلاثى من علماء الاجتماع الأمريكيين الذين أعلنوا أن نزع السلاح الشامل والكامل ليس الا حلما مطلقا · وليس هؤلاء بالوحيدين فى هذا المجال ، بل انهم كالفرسان الثلاثة فى قصة اليكساندر دوماس (١) فى خدمة جلالة الملك · ولكن الملك تغير الآن فغدا

---

(١) اليكساندر دوماس (١٨٠٣ ـ ١٨٧٠) ـ الكاتب الفرنسى المشهور · نشأ يتيما ، وعمل كاتبا عند أحد النبلاء · من اشهر كتبه «الفرسان الثلاثة» و «الكونتيسة دى شارل» و «الكونت دى براجيلون» و «مدام دى شامبيه» · وتعتبر قصة «الفرسان الثلاثة» من روائع الادب العالمى · — المعرب —

ممثلا فی رأس المال الضخم • ولعل من المحزن أن الفرسان فی ألمانيا الغربية يطلقون على أنفسهم الآن اسم « الاشتراكيين الديمقراطيين » • ولنضرب على سبيل المثال الكتاب الذى وضعه هيلموت شميدت نائب الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى برلمان ألمانيا الاتحادية والذى سماه « الدفاع أو الثأر • دور ألمانيا فى البرنامج الاستراتيجى لحلف الأطلسى » •

ولقد كتب شميدت يقول •• « لا شك فى أن اطلاق اسم التوأم من القطط السيامية على استراتيجية الدفاع واستراتيجية نزع السلاح أمر صحيح كل الصحة » • ويبدو ان هذا الفيلسوف الديمقراطى الاشتراكى، بعد أن توصل الى هذا الهراء الخادع الذى عادل فيه بين سياسة السلام وسياسة الحرب ، راح يعادل أيضا بين سباق التسلح ونزع السلاح الشامل والكامل • ويمضى بعد ذلك بالطبع الى أن يجعل من « الحديث المنفتح عن نزع السلاح الذى لم يعد احد يكترث به » هزءا وسخرية ويقول ان نزع السلاح « حلم طوبائى جميل » • ثم يصل الى الاستنتاج بان الذين يقترحون « نزع السلاح الشامل والكامل ، اما ان يكونوا من الحالمين ، أو من الذين يمضون فى طريق الدعاية المكشوفة » •

ويقول شميدت فى كتابه أيضا ... «ولو فرضنا أن الدول احتفظت بأسلحتها الصغيرة فقط ، فان خطر الحرب لن يزول أيضا».

وينتقل هذا الكاتب المفعم بالحيوية من الأسلحة الصغيرة الى الأسلحة النووية الحرارية ليقول ... « وليس ثمة من يشك فى الوقت الحاضر بأن من المستحيل ممارسة أى شكل من أشكال المراقبة الفعلية على مايقرب من نحو من مائتى ألف رأس نووى ، كانت توجد على سطح الكرة الارضية فى نهاية عام ١٩٦٠ . ولاشك فى أن من المستحيل أيضا السيطرة والاشراف الكامل على جميع المخزونات من المواد المتوافرة الصالحة للتهشيم والتفجير» .

ويصل هذا الرجل الذى يدعو الى النزعة العسكرية والأفكار الثأرية بعد ذلك الى النتيجة المذهلة التالية ... «وليس ثمة من شك فى أن قدرة بلاد حلف الأطلسى على التأثير على الزعماء السوفيات بأن فى قدرتها ، بل فى انها على استعداد ، اذا تطلبت الحاجة الى تنظيم شئون دفاعها بتنفيذ خططها الاستراتيجية التى كانت تهدد بها من قبل ، مما يحفز الاتحاد السوفياتى على الشروع فى محادثات جادة حول نزع السلاح» .

أو ليست هذه الطريقة بارعة كل البراعة فى عرض الموضوع ؟ •

فالرجل يمضى الى الاعلان بأن نزع السلاح «حلم» ، «ودعاية مكشوفة» ثم يقول بأن من الضرورى الاهتمام بتأمين « الحوافز المسلحة للشروع فى محادثات جادة عن نزع السلاح» .

وفى وسعنا أن نرى أن هذا السياسى الذى يتحدث باللهجة البروسية العنيفة عن القوة وينادى بها ، يعتبر على قدر من الكفاية فى موضوع نزع السلاح الشامل والكامل ككفايته فى قضايا التسلح وهو يرفق أقواله بتفجرات غاضبة شريرة وان كانت عاجزة من الأقوال الهستيرية المحمومة .

(ج) ـ ادعاء الفرسان الثلاثة ـ « انه ليس حلما مطلقا » :

أثبت تاريخ العالم الحر أن مذهبية رأس المال الكبير ليست الا مذهبية ذات نزعة عسكرية . ولقد انقضى وقت كانت فيه النزعات العسكرية والحروب تفسر على أساس السيطرة المزعومة للقوانين الحياتية التى تتحكم فى « بقاء الأصلح » على المجتمع ، بحيث تتمثل فى نضال الجميع ضد الجميع . وكان هناك آخرون يرون فى النزعة العسكرية والحروب التعبير الكبير عن الروح الانسانية وعن القانون الذى ينادى بسيطرة « عنصر السادة » وتحكمه فى « العناصر المتدنية » . وكان هناك آخرون يتحدثون كما فى عصبة الأمم عن الطبيعة الشريرة الكامنة للانسان ، ويمضون الى القول بأن الأسلحة لو نزعت من جميع الدول ، فان الناس سيواصلون ذبح بعضهم البعض بواسطة الأمواس العادية . وكان ثمة وحوش من أمثال جوبلز (١) يعتقدون أن جذور الحروب وأهدافها تكمن فى تطلعات «العنصر السيد» ، وهو العنصر الجرمانى فى رأيه ، للوصول الى لحوم الخنزير فى أوكرانيا والى السجق من كوبا .

وليست الاعتراضات التى تثار الآن فى جنيف على نزع السلاح الشامل والكامل . الا تأكيدا مكررا للافكار العسكرية القديمة التى كان الرأسماليون يعرضونها دائما . ولكن الطاقات المدمرة للأسلحة النووية الحرارية ، تضفى نغمة من الجنون على هذه السيمفونية الناتجة عن الجهل والزيف والنفاق .

---

(١) وزير الدعاية الالمانى فى عهد النازية .

ويقول ممثلو الدول الغربية بشيء من التعالى وهم يتحدثون الى الممثلين السوفيات فى جنيف ... «انكم لتعتزمون تدمير كل وسائل حمل الأسلحة النووية فى المرحلة الأولى من مراحل نزع السلاح ، ولكن هذا الاقتراح غير عملى ، اذ لو شئنا الدقة فى التعبير لقلنا ان فى امكان سيارة شاحنة أو قارب صيد أو حتى انسان يمشى فى الطريق وقد حمل حقيبة جلدية على ظهره ، أن يحمل سلاحا نوويا» .

ويبدو أن هؤلاء الناس وهم مزهوون بصلاحياتهم الخطابية المدهشة ينسون أن مجلس حلف الاطلسى يدرس الآن موضوع انشاء «قوة نووية متعددة الاطراف لا على أساس زيادة أساطيل الصيد الموجودة أو عدد المشاة الذين يسيرون وعلى ظهرهم الحقائب الجلدية » ومن الطبيعى أنه لو صحت رغبتهم هذه فان فى امكانهم أن يطالبوا بالقضاء على جميع المشاة الذين يحملون الحقائب الجلدية كمقدمة لتحقيق نزع السلاح الشامل والكامل . ومن الممكن أيضا أنه فى نهاية الخطوة الثانية من خطوات نزع السلاح وفق المخطط الأمريكى يطلب الى الخبراء الذين سيواجهون المهمة الشاقة فى اعداد أساليب الاشراف على المشاة والصيادين ، مخافة أن يؤدى العجز عن ذلك الى جعل نزع السلاح يبدو مستحيلا وغير عملى .

وعندما يتحدث خصوم نزع السلاح عن « عدم العملية » ، فانهم يبدون وكأنهم يحاولون أن يقيموا الدليل أولا وقبل كل شيء . ان هذا التعذر قائم فى ظل الأوضاع الدولية الراهنة . ولا شك فى أن هذا صحيح . فلو توافر وجود جميع الظروف المواتية لنزع السلاح فى الماضى ، فانه لابد أن يكون الآن قد تحول الى حقيقة واقعة . ولكن لما كان نزع السلاح لم يتحقق بعد ، فان هذا يعنى أن الأوضاع اللازمة لتحقيقه لم تتوافر بعد . وهنا نجد أنفسنا وقد وقعنا فريسة حلقة مفرغة .

ونحن لا ننكر أن هناك عقبات تقوم الآن فى طريق نزع السلاح بل ستظل قائمة فى أية لحظة ، وهذا يعنى أن تظل بعض الأوضاع اللازمة لتحويل نزع السلاح الى واقع غير موجودة . ولابد لتنفيذ نزع السلاح من تغيير الأوضاع التى يستند اليها نزع السلاح فى الوقت الحاضر . ولعل هذا هو الذى كنا نسعى للوصول اليه فى كل حين .

وليس ثمة من ينكر أن التصعيد الامبريالى للعدوان وأن جنون سباق التسلح فى البلاد الغربية أمران واقعان وانهما يجعلان من

محادثات جنيف أسطورة كبيرة . وليس ثمة من ينكر أيضا ان التخلف البالغ فى التقنية وفى مستويات الحياة الخفيضة للشعوب فى البلاد المتخلفة اقتصاديا ، حقيقة واقعة ـ ولا ريب فى أن النقص فى سد المتطلبات السلمية للشعوب فى البلاد الرأسمالية والضرائب العالية والأسعار المرتفعة ، تمثل كلها واقعا ثالثا . ولا شك فى أن خصومنا جميعا يتعلقون بهذه الوقائع .

ولكن يظل السؤال قائما ، وهو هل هذه الوقائع هى الوحيدة القائمة ، وهل يقرر الجنون السياسى للدوائر الاحتكارية وحده فى البلاد العدوانية ، الوضع العالمى ؟ ومن الواضح أن الاحتكارات لا تميل الى طرح هذا السؤال . بل انها تتعرض الى نوبة عصبية من مجرد اثارته لانها راغبة فى اقحام نفسها فى مغامرات تعتبر اعتداء على حقوق الشعوب والدول . كالعدوان الأمريكى فى فيتنام على سبيل المثال أو تدخل الولايات المتحدة فى شئون جمهورية الدومنيكان . ويبدو أن هؤلاء السادة قد حزموا أمرهم على أن يضموا الى السنن الخلقى الذى وضعوه ، التجاهل الشرير لقواعد القوانين الدولية ، وللاستبداد المكشوف والاجراءات الغريبة . وليست النتيجة الحتمية لهذه الاعمال ، بالأمر المجهول . ولاشك فى أن النظام الاجتماعى المنسوخ المرتبط ارتباطا حتميا بهذه الأفعال يغدو ممجوجا . وتفرض هذه النتيجة بصورة بطيئة ولكنها مؤكدة ، العزلة على هذا النظام فى المجتمع ، ويمهد السبيل للثورات ، والهزات ، التى تجعل من تطلعات شعب الدومنيكان المحبة للحرية تبدو وكأنها عبث أطفال . ونحن نعرف أن هتلر شرع فى أعماله الشريرة ، واعتداءاته عن طريق الاعتداء على حريات الأفراد بل حركات شعوب بأكملها . ويعرف الجنس البشرى كله كيف انتهت القصة الفاشية ، وهو يعى هذه النهاية كدرس لن ينساه أمد الدهر .

ولقد أكدت الحكومة السوفياتية المرة تلو المرة ، أنها تدرك تمام الادراك ، النشاطات الواضحة التى تقوم بها دوائر الحلف الاطلسى العدوانية وانها تتخذ اجراءاتها لضمان آمن الاتحاد السوفياتى وحلفائه . وليس للاتحاد السوفياتى مناص من ذلك . والعبيط وحده ، أو السلامى الذى لم يعد له وجود ، هو الذى لا يعى ان السبيل الوحيد لكبح جماح سباق التسلح النووى ومنع العالم من الانزلاق الى الحرب النووية الحرارية هو أن تجد البلاد المحبة للسلام وقواها تحت تصرفها وسائل كافية «للدفاع والرد الرادع» لتحطم بها المعتدين . فالسياسة الخارجية المحبة

للسلام التى يتبعها الاتحاد السوفياتى والبلاد الاشتراكية مصحوبة بالقوة النووية الصاروخية الهائلة التى يملكها الاتحاد السوفياتى ، هى التى استطاعت تجنب خطر الحرب العالمية ابان أزمة البحر الكاريبى فى شهر أكتوبر من عام ١٩٦٢ ، وابان العدوان على السويس فى عام ١٩٥٦ . هذا هو الواقع . ترى ما الذى يعنيه هذا الواقع ، اذا التففنا حول الدائرة ؟ وهل يكون الفرسان الأمريكيون الثلاثة الذين أعلنوا أن نزع السلاح الشامل والكامل « حلم مطلق » على حق ؟ أو أن هناك آخرين على حق ونعنى بهم أولئك الذين يعلنون ان نزع السلاح « أسطورة » أو مجرد دعاية أو اجراء دبلوماتيا على اعتبار أن الدبلوماتية تعنى أن يقول المرء شيئا وأن يعنى به شيئا آخر يغايره ؟

وبالرغم من أن المتناقضات قد تلتقى ، فان الصدق يجانب هذا الرأى أو ذاك فى هذا الصدد .

فهناك سؤال أو يبرز الى حيز الوجود وهو لم حمل الفرسان الأمريكيون الثلاثة أقلامهم وشرعوها ليخدموا المؤسسات الكبيرة ؟ ولم أصبحت هذه المؤسسات الآن فى حاجة ماسة الى الدعاية ، زاعمة أن نزع السلاح « حلم مطلق » ، وأن البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح مجرد « وهم جميل » ؟ .

وليس ثمة من يدفع أى مال لانسان ليقيم له الدليل على أن الماء يغلى عندما تصل حرارته الى ١٠٠ درجة فهرنهايتيه . ولكننا نجد هنا ظاهرة طبيعية غريبة ونعنى بها ظاهرة وجود فصائل كاملة من الفرسان الذين يغوقون أنفسهم فى محاولة اقامة الدليل على أن نزع السلاح وهم مطلق ، حتى ولو كان المستر فوستر ، الخبير الامريكى فى التسليح ، قد وضع على رأس ادارة أمريكية لنزع السلاح والاشراف على الأسلحة ، أى على رأس ادارة للسيطرة والاشراف على الوهم المطلق .

وتحشد الاتحادات المشغولة فى العمل الحربى كل قواها ، من الصحفيين المرتزقة الى الاساتذة وكبار الساسة و « الديمقراطيين الاشتراكيين » من أمثال شميدت ، وذلك لاقناع الكل بأن نزع السلاح وهم مطلق . انهم يفعلون ذلك لأن نزع السلاح ليس وهما على الاطلاق ، بل انه مفهوم سياسى واقعى ، قادر على توجيه ضربة ساحقة الى المخططات العدوانية المكروهة للنزعة العسكرية .

ويحاول تجار الموت بيع الناس الفكرة القائلة بأن لا أمل فى نزع السلاح وأنه أمر غير عملى . ولكننا نقول من الناحية الأخرى ان هناك آمالا

كبيرة معلقة على نزع السلاح ، وانه أمر واقعى وممكن · ولكننا لا ننكر أن واقع نزع السلاح ، يمثل شكلا خاصا من أشـــكال الواقع · انه ليس بالمفهوم المطلق ، بل مجموعة من بعض التحركات الدبلوماتية ، وهو ليس باللغة الحافلة بالاستعارات التى يســتخدمها الدعاة فى مؤتمراتهم ، كما يستعملها الوعاظ فى مواعظهم · فنزع الســـلاح واقع اذا دعم بالنضال الواقعى من الدول المحبـــة للسلام ، وبنضـــال الجماهير العريضة لتعزيز الســـلام والجهود التى لا تكل ولا تمل من جانب جميع المنظمات والرجال الشرفاء ، لتبيان الأخطـــار التى يتعرض لها الجنس البشرى من احتمـــال نشوب الحرب النووية ، ولشرح الطريقة التى يمـــكن بهـــا تنفيذ نزع السلاح ·

وقد يقول بعض الناس، وما الذى تستطيع الحركات المعادية للحرب وغير ذلك من صـــور النضال من أجل نزع الســـلاح أن تحققه طالما أن الامبرياليين يملكون الأسلحة النووية ، حتى ولو كان ما يملكونه لا يزيد على شطر منها ؟ ونرى ان لا حاجة بنا الى القـــول ، بانه لو وجدت جميع الأسلحة النووية فى أيدى الشعوب ، لما ظلت هذه الأسلحة حتى الآن · فلا شك فى أن الامبرياليين يملكون رءوسا نووية كما أن هناك اصبعا على الزناد النووى ، وان هذه الحقيقة تفرض اثارة الجماهير فى جميع البلاد الآن وعلى أوسع نطاق ممكن ، لحثها على النضال نضالا يحمل طابع الاصرار والشمول وحتى الثورة اذا تطلب الامر ضد خطر الحرب وسباق التسلح، وفى سبيل تحقيق نزع السلاح الشـــامل والكامل · فالصراع من أجل السلام ، صورة من أهم صور الصراع الطبقى فى هذه الأيام ، وان كان قد تحول أيضـــا الى قضية بقاء البلاد بكاملها بل القارات فى مجموعها ، طالما أن السياسة العسكرية للرأسمالية الكبيرة ، تهدد وجود هذه البلاد·

وليس ثمة من شك فى أن مما يجافى الحـكمة أن يغلق المرء عينيه ويتعامى عن رؤية المتـــاعب · فالامبرياليون الذين يزدادون تخمة نتيجة سباق التسلح ، يحاولون بعث الرعب فى نفـــوس الجماهير فى البلاد الرأسمالية ، والشعوب فى البلاد النامية · وما زالت هنـــاك قوى كبيرة تقاوم نزع الســـلاح فى العالم الغربى · ترى ما النتيجة ؟ هل تسمح لأنفسنا بأن نظل تحت رحمة تلك العناصر ، باستسلامنا أمام تلك القوى العدوانية الامبريالية ، وسكوتنا عليها دون أن نعمل شيئا؟ لا · وطبعا لا·

فالمصالح الأنوية للمشروعات العـــاملة فى المجهود الحربى هى أولى العقبات فى طريق نزع السلاح · والمتعصبون فى المعسكر الامبريالى أولا

وقبل كل شيء هم المنادون بالسياسة الجنونية لسباق التسلح والاعداد للحرب الجديدة . ولقد انتهت أحلام جولدووتر في الرياسة الامريكية الى هزيمة ، وان كان عدد كبير من المضللين الامريكيين قد اقترعوا الى جانبه. يضاف الى هذا أن من العسير أن يميز المرء أحيانا بين ما نادى به جولدووتر وبين السياسة التي يتبعها البيت الابيض اليوم • ولذا فمن الضرورى في ظل مثل هذه الأوضاع أن نعمل عندما يكون الأمر متعلقا بالسياسات الدولية ، بشكل يضمن عزل «القوى المتوحشة» في معسكر الامبريالية ، ووضعها في صف القوى المناهضة لنزع السلاح ، واخراجها من الميدان ، واعداد كوابح قوية في الوقت نفسه من قمصان المجانين ، لتقييد هذه القوى في حالة تفجرها في نوبة جنون •

ويقال ان العقلاء يمكن أن يتحولوا الى مجانين في حالة وجودهم في مستشفيات المجانين • فهناك كثيرون من المحامين والاقتصاديين والفلاسفة وهم من المتعلمين طبعا • يجدون بعد أن قضوا وقتا طويلا في النظام الدولى للامبريالية ، وسباق التسلح الجنوني وألفوهما ، من العسير أن يصدقوا بأن هناك نظاما مختلفا تمكن اقامته على الارض ، بحيث يضمن تحرر الكرة الارضية من وحشية الامبريالية والاستعمار ونوباتهما الجنونة • وهم يرون أن امكانية التحول العملي من عالم التسلح الى عالم منزوع السلاح ، غير عملية على الاطلاق ، هكذا فان هذا التحول في غضون سنوات عدة مع وجود الدول التي تسير على نظم اجتماعية مختلفة ، أمر غير ممكن •

ولو أخذنا بوجهة نظر هؤلاء ، لتحتم علينا أن نؤمن بأن الانسان وهو المخلوق الذى اكتشف أدق أسرار المادة ، ووصل الى الفضاء الخارجي ، واخترع أكثر الأجهزة دقة وعلما ، وابتكر وسائل الضغط العالي لنقل الكهرباء الى ألوف الكليومترات ، واخترع المركبات الكيماوية المعقدة ، وشيد المصانع الآلية الذاتية والعقول الحاسبة الالكترونية • قد قدر عليه أن يظل متمسكا الى الأبد بنظام عتيق ومنسوخ تحل فيه المشكلات الدولية عن طريق الحرب ومساعدتها • ولكن هؤلاء يعجزون عن هضم الفكرة القائلة بأنه في الامكان بل من الضرورى اليوم أن ننظم العلاقات بين الدول بأسلوب يضمن استبعاد خطر التدمير المتبادل •

ولا شك في أن دعاة التسلح والوزراء من ذوى الألقاب ، والسفراء فوق العادة الذين يتمتعون وهم في مناصبهم وبفضل الدعم السياسي بالشهرة وبصلاحيات ضخمة وشبه مقدسة ، والسحرة الذين كانوا حتى عهد قريب للغاية من محامي الاتحادات التجارية المغمورين ثم تحولوا اليوم

وبصورة مفاجئة الى نجوم من المشهورين ، عاجزون عن فهم جلال العصر الذى نعيش فيه ، وعظمة العقل البشرى • ونحن نؤمن حقا أن جهودهم تشبه كما قال جى • طومسون(١) المحاولات التى تقوم بها جراثيم الطاعون وميكروبات الأنفلونزا لابادة الجنس البشرى . فهم يدافعون عن النزعة العسكرية ، كما كانوا ولا يزالون يدافعون عن الاستعمار • وهم يدافعون فى حملتهم على نزع السلاح • وعلى تصفية الاستعمار • بما يحسونه من رعب من كابوس الشيوعية •

ولكن أولئك ينظرون الى المشكلة ، نظرة أكثر بساطة ، وبأسلوب اكثر سطحية . انها تحدد لهم الطريق المباشر الى نزع السلاح .

د ـ مشاعر الهنود

لعل من الطريف ان نستمع الى ما يقوله ممثلو بلاد عدم الانحياز . كممثلى الهند مثلا ، فى موضوع نزع السلاح الشامل والكامل . وسنقتطف هنا بعض ما قاله ممثل الهند فى جنيف فى احدى خطبه ..

« لم يعد سباق التسلح والحرب يمثلان أمرا يعنى الأسر المالكة ، أو أية بلاد أو امة بمفردها ، وذلك لأن جميع دول العالم وشعوبه ، ستقع ضحية الحرب » •

وكانت هذه الكلمات ردا مباشرا على أولئك الساسة من دعاة النزعة العسكرية فى الغرب الذين يرون ان سباق التسلح والاستعداد للحرب الجديدة هما من القضايا الداخلية التى تهم الدول الأعضاء فى الحلف الأطلسى كدول مستقلة ذات سيادة • لأنهما ليسا من القضايا الداخلية ، وليسا من الاجراءات التى تقوم بها هذه الدول ، لتعزيز طاقاتها الدفاعية ، وانما من النشاطات الدولية ذات الخطر الاجتماعى ، والتى تمثل تهديدا للعالم كله وللجنس البشرى قاطبة •

ومضى المندوب الهندى يقول .. « ولهذا فان الأمن الذى ننشده : يوجد الآن فى الهبوط فى كيان الأسلحة لا فى زيادتها ، وذلك لاننا وصلنا الآن الى الوضع الذى تؤدى فيه أية زيادة اضافية فى التسلح الى دمار يتجاوز حدود كل ما عرفته الانسانية حتى اليوم . وانا

---

(١) جون ويليام • طومسون (١٨٠٣ ـ ١٨٨٥) كاتب انجليزى معروف • اشتهر بمقالاته التى كان يكتبها فى مجلة «ملاحظات وأسئلة» •

أعنى بقولى هـــذا ، إنه إذا تم تدمير العـــالم مرة بالأســـلحة الموجودة الآن ، فلن تتاح الفرصة لتدميره ثانية ، لأن الدمار سيكون شاملا » ٠

ولا شك فى أن هذا الفهم للمشكلة بسيط وأكثر دقة وأبعـد عن السذاجة من اى فهم آخر لقضية الأمن ، اذ انه يعرض صـــورة ادق « لطبيعة الانســـان العصرى الحديث » .

وانطلق المندوب الهندى بعد ذلك فاقتطف بعض اقوال المرحـوم جواهر لال نهرو ، رئيس وزراء الهند السابق اذ يقول ....

« لعل قضـية نزع السلاح قد غدت الآن وبالنسبة الى الشــئون الخارجية أو الى أية شئون أخرى ، وبعد النظر اليها من وجهـة النظر العالمية أهم قضية . فاذا لم يتحقق نزع السلاح فان العالم كله سينزلق باتجـــاه الصراع والحرب ٠ فالحرب القادمة اذا وقعت ستكون نووية ، ومثل هذه الحرب الممكنة لابد أن تقع دون اعلان عنها ٠٠

٠٠ ولهــــذا لم يعد نزع السلاح يمثل اليوم قضية تخفيض للسلاح بمعدل ١٠ أو ١٥ أو ٢٠ أو ٢٥ فى المائة . ولو ظل هــذا الخـوف الأساسى قائما فليس من المهم مدى ما يقع من خفض للأسلحة ، لأن هذا الخفض لا يتطلب كما تبين الأرقام الوف القنابل النووية التى تملكهـا القوات النووية الكبرى ، لأن ربع هذه القنابل يكفى العالم او اية بلاد من بلاده » ٠

وتمثل كل كلمة من هذه الكلمات صـفعة فى وجه الفرســـــان الثلاثة وأولئك الذين يقفون وراءهم ٠

ومضى المنـدوب الهندى يقول ٠٠ « وفى وسع الانســـان أن يضيف الى ذلك ، انه لو وقع صراع عالمى بعد هذا التخفيض الجزئى ، وان المتبقى من الأسلحة سيستخدم فى هذا الصراع ، فان جميع الأسلحة التى كان الفريقان قد تخلصا منها . ستعود الى الظهور لدى الجانبين فى غضون ستة أشهر أو اقل من ذلك ، كمـا ستظهر أسلحة جديدة ، ويتضح من هذا ان نزع السلاح الشـــامل هو الرد الوحيد على خطر الحرب ٠ وليس ثمة طريقة لاصلاح هـذا الوضع الا بوضع حد للتسلح ، ونعود فننقل عن رئيس وزرائنا قوله .. « ولو قدر الفشل لهذا المؤتمر ، فلن يكون من السهل العودة اليه بأية حال من الأحوال ٠ ولابد أن يصل العالم ان آجلا وان عاجلا الى نزع الســـلاح ، الا اذا قام بتدمير نفســه قبل الوصول الى نزع السلاح » ٠

او هناك حاجة الى القول بأن الشعب الهندى ينظر نظرة أكثر عقلا وحكمة ورصانة الى الموضوع من بعض الدوائر فى بريطانيا العظمى او الولايات المتحدة .

هـ ـ مشكلة الرقابة والاشراف

تمثل مشكلة الرقابة والاشراف احدى العقبات التى تتعثر فيها محادثات جنيف .

ولو كان حقا أن من الضرورى فرض الرقابة على كل صياد يخرج الى البحر طلبا للأسماك ، وعلى كل رجل من المشاة يحمل حقيبة ، وعلى كل شاحنة أو عربة للفلاحين تحمل شحنة من الهشيم الجاف ، فسنكون فى حاجة الى حشد كبير من المراقبين والى عدد كبير من المكاتب والادارات والسكرتارين وهلم جرا • ويتطلب ضمان فاعلية «الادارة العليا للرقابة» ، مبتكرات بصرية أو عقول الكترونية حاسبة ، يقال انها مع مضى الزمن ستحل محل عقول بعض المديرين ومن يدرى فلعل عدد المراقبين ورؤسائهم سيزيد على مجموع عدد أفراد القوات العسكرية فى جميع جيوش العالم ، وبدلا من أن نمضى فى تطوير مشروعات أنهار الكينج والميكونج والكونجو وفقا للبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح . سنصبح عاجزين عن المضى قدما فى المشروعات التى بدأ العمل بها .

وللمستر ويليام رويس ، وهو فارس آخر من الفرسان الأمريكيين الذين سبق لنا التحدث عن آرائهم فى الحدود الزمنية لنزع السلاح ، راى خاص به فى موضوع الرقابة .

فلقد أكد رويس أنه كما سبق له القول ، لا يتوقع امكان تنفيذ الاتفاق المتعلق بنزع السلاح الشامل فى وقت قصير كالسنوات الخمس . وعندما تقل فى الشطر الأكبر من هذه الفترة الزمنية مشتروات السلاح، فان الانفاق العسكرى المتناقص سيستبدل بانفاق على نظام التفتيش وعلى المواصلات اللازمة لمراقبة عمليات تسريح القوات العسكرية وتدمير أسلحتها • وستكلف المعدات الضرورية لتنفيذ الاتفاق على تحريم التجارب على الأسلحة النووية ما يتردد بين عشرين ألفا وخمسة وعشرين ألف مليون دولار تنفق فى غضون ثلاث الى خمس سنوات ، ومما يجدر ذكره أن تقريرا أجرى لتكاليف وقف الأسلحة النووية وان هذا التقرير أشار الى أن التكاليف ستبلغ خمسة عشر ألف مليون دولار • وقد تبلغ هذه

التكاليف أكثر من الفي مليون دولار في السنة وهو المبلغ الذى ينفقه الأمريكيون على صناعة الرءوس النووية • ومضى المستر رويس فى أقواله فبين ان التأكد من ضمان وقف الانتاج (١) يدفع الانسان الى الدهشة والى التساؤل عما اذا كانت العملية كلها تستحق هذا العناء •

وليس ثمة من داع هنا الى اقحام أنفسنا فى جميع التعقيدات القائمة فى مشكلة الرقابة على النحو الذى عرضته الولايات المتحدة فى مشروعها ، وذلك لأن العقبات تلى بعضها ، فاحداها تؤدى الى الأخرى • ونحن لا نريد أن نعالج مشكلة الرقابة على النحو الذى عولجت فيه المشكلة فى قصر الأمم فى جنيف . وكل ما نريده أن نقدم الى المستر فوستر ومساعديه اقتراحا عقلانيا واحدا ، وهو وصف يستحق منا اطلاقه بالنسبة الى الرقابة .

فلم لا نقيم بالاضافة الى الرقابة الدولية الصارمة والفعالة ، على نزع السلاح ، رقابة دولية أخرى صارمة وفعالة على تنفيذ البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ؟ ففى وسع الأمم المتحدة أن توفد مراقبين الى أنهار الكنج والميكونج والكونجو ، لا للتدخل فى الشئون الداخلية للبلاد التى تقع فيها هذه الأنهار ، بل لممارسة الرقابة الدقيقة على الأموال المتوفرة نتيجة نزع السلاح وطريقة تسليمها الى الحكومات القومية المعنية أو الأجهزة الاقليمية • وفى وسع هؤلاء المراقبين التثبت مما اذا كان العمل يدور على قدم وساق فى حفر الأساسات وبناء السدود والحواجز وشق مشروعات الرى واقامة المشروعات الصناعية المستندة الى استهلاك القوة المحركة ، والتأكد مما اذا كانت الدول كلها تنفذ التزامات التى تفرضها الاتفاقات وطلبات صنع المعدات ، وتسلم ما تصنعه منها ، مع العلم ان هذه الأمور سهلة على التحقيق باشراف أولئك الذين يتولون الآن بناء المطارات العسكرية طبقا لبرامج الهياكل الأساسية لمنشئات حلف الأطلسى وحلف جنوب شرق آسيا ، اذ انهم

---

(١) يمكن الحكم على قدرات رويس كعراف ينظر الى المستقبل فى الكرة البللورية من الحقيقة الواقعة ، وهى ان معاهدة موسكو التى عقدت فى صيف عام ١٩٦٥ لتحريم التجارب النووية فى ثلاثة مجالات ، قد تمت دون أية نفقات تستحق الذكر • ولقد اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى شهر اكتوبر من عام ١٩٦٧ قرارا بناء على اقتراح تقدم به الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة يقضى بتحريم تجربة الأسلحة النووية او اية أسلحة اخرى من اسلحة الدمار الشامل ، أو تخزينها فى أية اجرام سماوية ، ويتضح من هذا أيضا أن رويس كان يتخبط تمام التخبط كمتنبىء أو كعراف •

من الأكفياء وقد حان الوقت للعهدة اليهم بأعمال نافعة . وفي وسع مراقبي الأمم المتحدة أن يتثبتوا مما اذا كان الخبراء الأجانب مدربين تدريبا حسنا ، وما اذا كانوا يبدون نفس الاهتمام بمصالح أية دولة ذات سيادة كالهند وكمبوديا وجمهورية الكونجو ، الذي كانوا يبدونه لمصالح بعض الشركات أو الاتحادات الخاصة .

ولا شك في أن الاتجاه الأهم بالنسبة الى الرقابة ، ضمان وجود محاسبة دقيقة وفعالة للانفاق الذي تقوم به الدول على الأغراض السلمية من الموارد التي تبدو الآن على سباق التسلح . فلو التزمت الولايات المتحدة مثلا ، نتيجة اتفاق دولي على النزع الكامل والشامل للسلاح ، بتخصيص عشرين في المائة من نفقاتها العسكرية الراهنة لمساعدة الدول النامية على التغلب على تخلفها الاقتصادي ، فان من الضروري مراقبة الطريقة التي ينفذ فيها هذا الالتزام ، والتأكد في الوقت نفسه قدر الامكان من أن الثمانين في المائة الباقية من الموازنة العسكرية الأمريكية الراهنة تستخدم في الانفاق على الأهداف السلمية الصحيحة .

ولن يشكل هذا التأكد تدخلا في الشئون الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية من جانب الأمم المتحدة أو اية جهة أخرى . ولا بد لتحقيق نزع السلاح من استعادة الثقة بين الدول في علاقاتها المتبادلة . ويعني هذا أن على كل دولة أن تتبع بصدق نشاط سياسة سلمية ، اذ أن هذا هو الأسلوب الوحيد لتنمية الثقة بين الدول والشعوب . أما اتباع السياسة العدوانية واخفاؤها وراء الحديث عن اقامة الثقة ، فعمل يشبه تظاهر الذئب بمظهر الغنم . ويقوم أنصار هذه السياسة بأعمالهم هذه في مثل عصرنا وايامنا هذه التي يبدي الناس فيها كل اهتمام بالسياسات العالمية ، معتبرين أنها جزء من قضاياهم الخاصة .

واذا أردنا ايضاح هذا فان علينا أن نقيم جهازا للرقابة على الأسلوب الذي يتبع في تحويل الموارد الحالية التي تنفق على التسلح الى الأهداف السلمية . وليست اعتمادات الموازنة بالشيء المجهول ، كما أن المشروعات التي يجري بناؤها معروفة ، ولذا فان الرقابة عليها لا تؤلف مشكلة ، ولا تسمح الأعمال الانشائية السلمية الضخمة بانفاق أي وقت على الاصطراع ، اذ ان أمام الناس اعمال كثيرة لا بد من ادائها .

ولذا فلن تكون ثمة حاجة الى سنن لسلوك الدول ، كما أن القضاة الدوليين سيكونون بعيدين عن الشك بعد قيصر عنه .

و ـ الفدية

وتؤلف مصالح المشروعات التى تتعامل بالذخائر أول عقبة فى طريق نزع السلاح فى الوقت الراهن ، سواء كانوا من صانعى السلاح أو المتاجرين به والذين يجنون أجزى الأرباح من سباق التسلح . ويظهر نفوذهم القاتل فى قصر الأمم فى جنيف وفى المبنى الزجاجى للأمم المتحدة الواقع على النهر الشرقى فى نيويورك . ويسيطر هذا النفوذ على المؤسسات الحكومية فى الدول الغربية .

وكثيرا ما يقال انه لما كان للمشروعات الصناعية الحربية مثل هذا التأثير على السياسة وعلى الانتاج المادى للولايات المتحدة وبريطانيا وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، فلا يمكن استبعاد هذه المشروعات عن حلقة اعادة الانتاج والتوزيع دون المجازفة بوقوع توقف رهيب فى الانتاج . ويقال أيضا : ان نزع السلاح الشامل والكامل لابد أن يمس الأسس الرئيسية لمبدأ الملكية الخاصة المقدس ، وهو المبدأ الذى يقضى بحق كل صاحب صناعة بأن يفعل ما يشاء ، حتى ولو كان ذلك على صعيد اطلاق الحرب النووية الحرارية من عقالها .

وهنا أليس من الحق أن نفكر فى صيغة أخرى ؟ فلم لا نأخذ شطرا من الموارد التى يوفرها نزع السلاح الشامل والكامل ، للتعويض عن جميع الأملاك المنقولة ، والعقارات الخاصة بالمشروعات الصناعية الحربية ؟ ولن يتعارض هذا الشراء مع مبدأ الملكية الخاصة الذى يتعلق به « العالم الحر » ، كما أن فى وسع الاتحادات الصناعية التى ستتوقف عن عملها الحربى أن تنصرف الى اقامة السدود ومحطات الكهربا ، طبقا للاتفاقات التى تعقد مع الدول المعنية على أساس تبادل النفع . وقد يكون من الأجدى انفاق بعض الأموال الاضافية للارتفاع بمستوى الربح العادى الذى تأخذه هذه الاتحادات ، ولو فى المرحلة الأولى ، لدفع ملوك صناعة الأسلحة فى هذا الاتجاه الى أن يألفوا العمل فى هذه المشروعات العامة النفع . وقد يعنى هذا على أية حال ، التخفيف من المجازفة الراهنة التى يتحملونها ، وستحتفظ الدول الرأسمالية بمبادئها الاقتصادية الأساسية ، وسيضمن التعايش السلمى دون التدخل فى الشئون الداخلية لأية دولة .

ويعنى هذا ان المجتمع سيدفع الفدية الى الاحتكارات الصناعية الحربية ، ويتخلص بذلك من سباق التسلح المخرب الحالى .

(ز) حلم جميل :

أطلق ممثلو المشروعات الصناعية الحربية الغربية على الاقتراحات السوفيتية الخاصة بالبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح وصف « الحلم الجميل » . وليس هذا الوصف مجرد تعريف مؤلف من كلمتين وانما هو أسلوب كامل في التفكير ومحاولة تافهة للحط من وجهة نظر عالمية الطابع .

ويقول ممثلو الدول الغربية وهم يظهرون صورة اليأس فى حركات أيديهم أنهم « لا يفكرون مطلقا بالطبع فى التشكيك بحسن نوايا الحكومة السوفيتية ، ولكنهم يرون أن عرض مشكلة اعداد برنامج اقتصادى لنزع السلاح فكرة سابقة لأوانها » . وقال المندوب البريطانى فى اللجنة الثانية للأمم المتحدة ، انه بالرغم من أن سبعة عشر عاما قد انقضت على محادثات نزع السلاح ، فان هذا النزع لن يتحقق الا نتيجة المزيد من المحادثات المطولة . واعلن هذا المندوب انه فى حالة تحقيق تقدم فى محادثات نزع السلاح فان الوفد البريطانى على استعداد لدراسة الاقتراح السوفيتى الخاص بالبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح من جديد .

وراح المندوب الهولندى يردد صدى أقوال زميله البريطانى ويقول ... « بالرغم من أن المشروع السوفياتى طافح بالأفكار النبيلة الا أنه لا يحدد لنا كيفية تحقيق هذه الأفكار » . وحذا المندوب الاسترالى حذو زميليه فأعلن أن المشروع لا يوضح المبالغ التى يجب أن ترصد للبلاد الأقل تنمية بعد تنفيذ نزع السلاح ، كما لا يبين الوسائل التى سيؤمن تقديم هذه المبالغ بواسطتها . وقال انه ليس من المفيد وضع برنامج اقتصادى يستند الى الفرضيات . وان هذا البرنامج لا يمثل اى ضغط لمصلحة نزع السلاح . ويفهم من هذه العبارات أن المندوب الاسترالى يريد أن يقول نفاقا انه يؤيد زيادة مثل هذا الضغط وانه يأسف لأنه لم يتحقق .

وأكد ممثلو الدول الغربية أن المشاورات المقترحة فى المشروع السوفياتى تفتقر الى الواقعية والنضج وانها خطرة اذ يمكن أن تخلق آمالا لا أساس لها . يؤدى انهيارها الى اليأس العميق .

وهكذا يبدو طبقا لأقوال هؤلاء السادة ، أن السيطرة على قوى الطبيعة الضخمة والتحكم فى ثرواتها الأسطورية لتحقيق التقدم فى

الاقتصاد السلمي لجميع البلاد والأمم فى العالم ، ليسا الا مجرد « حلم جميل » .

حقا ان رجال الكرملين يحلمون !! ويبدو أن هؤلاء الرجال ما زالوا يقيمون فى قصر الكرملين في موسكو منذ الساعة التى اقترح فيها لينين مخططه لكهربة روسيا . ولقد كان هذا المخطط آنذاك ، يهدف الى تحويل روسيا المتخلفة والتى تستبد بها الفاقة الى شيء جديد . وسرعان ما تلته مخططات ضخمة أخرى لأعمال الانشاء الاقتصادية الواسعة النطاق ولتنمية العلم وتطوير الثقافة والرياضة . ونحن نتحدث الآن على صعيد آخر ، عن التطلعات الى التحول الممكن للاقتصاد العالمي على أساس التعايش السلمي بين الدول المختلفة وعن طريق تحقيق نزع السلاح الشامل والكامل .

واضطرت وفود الدول الأعضاء فى الحلف الأطلسى على أى حال ، الى الموافقة على تبنى قرار الأمم المتحدة المؤيد للبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح . وسيظل اعداد برنامج اقتصادى لنزع السلاح . يدور طوعا أو كرها ضمن اطار الأمم المتحدة أو خارجه ، وضمن نطاق الحكومات أو بعيدا عنه . وفى البرلمانات أو خارجها . فلقد باتت القضية موضوع الساعة ، وأخذت دوائر واسعة من الناس والاخصائيين تعنى بهـا كل العناية . ولكن الانسان الساذج وحده ، هو الذى يؤمن بأن فى الامكان تحول الاحتكارات الصناعية الحربية التى تقاتل باصرار ضد اقرار نزع السلاح الشامل والكامل وضد البرنامج الاقتصادى لهذا النزع بين عشية وضحاها ، والانتقال من موقف النذالة الى مواقف النوايا الطيبة .

وليس تعبير « الحلم الجميل » الا الاطار الذى يضم الحجج الرئيسية للامبريالية فى مكافحتها للسلام ، ونزع السلاح الشامل والكامل ، والتقدم الاقتصادى . وتحاول الرأسمالية الكبيرة معارضة هذا « الحلم الجميل » بشيء واقعى ، وهو الواقع البشع والمعيب الذى تخلقه هى ، فى تأييدها ودفاعها عن سباق التسلح المجنون ، وعن الاعداد للحرب النووية واستغلال البلاد النامية وعن التبديد الأحمق للموارد والقوى الاجتماعية التى تستقطع بل لا بد من استخدامها فى سد المتطلبات السلمية وتحسين الأوضاع الحياتية لجميع الشعوب فى جميع البلاد والقارات .

ولكن هل يمكن أن تكون تطلعات نزع السلاح والتغلب على التخلف

الاقتصادي فى البلاد المضطهدة سابقا ، مثالية حالمة وغير واقعية ؟ قد يصح هـذا فى عالم لا أخلاقى . ولكنه لا يصح بالنسبة الى العالم الأخلاقى ، فقد ذكر اليكزاندر هيرزى (١) . الثورى الروسى العظيم ذات مرة ان « اللاعملية لا تعنى الزيف وان كان كل ما يتعلق بالمستقبل لابد أن يضم شيئا من المثالية . ولو انعدم وجـود اللاعمليين من الناس ، فان الانتهازيين الذرائعيين سيواصلون القيام بالأعمال التى تخلق الضيق، المرة تلو المرة » .

ونحن جد مقتنعين الآن بأن التصميم على محو الفاقة والتخلف والجوع عن وجه الأرض واستعادة كرامة جميع الشعوب المظلومة والمنهوبة بعد أن حصلت على استقلالها السياسى وان ظلت هدفا من الناحية الاقتصادية لاستغلال البلاد الامبريالية شبه الاستعمارى ، ليسا مجرد حلم جميل . بل واجب واقعى ، يمكن تحقيقه تماما فى ظل بعض الأوضاع . ولا بد أن توضع انهار النيل والكونجو والميكونج والثروات المعدنية فى الصحراء الكبرى وفى أمريكا اللاتينية فى خدمة الانسان . وكل ما يتطلبه هذا ان تعرف الشعوب لا مجرد التصرف فى الطبيعة ، بل السيطرة على مستقبلها ومقدراتها . ولا بد أولا وقبل كل شىء ، من الحفاظ على السلام الدائم ووضع حد نهائى لسباق التسلح .

يقولون انه حلم جميل ، ولكن أليس فى امكان الانسان أن يحلم وان يظل واقعيا فى الوقت نفسه ؟ ولقد تخطى التطور الاجتماعى والعلم والهندسة ، ابعد شطحات الخيال التى عرفها الانسان فى القرن الماضى . ولقد باتت الحياة متجاوزة فى عصرنا لشطحات الخيال البعيدة . ولا شك فى أن الذين يظنون أن هـذا التجاوز مقصور على ارتياد الفضاء والعلوم النووية انما يخطئون خطأ كبيرا . وليس فى مكنة الأحذية السحرية التى تمكن الانسان من قطع سبعة فراسخ بسرعة هائلة ولا أية قوة فى الأرض أن توقف الحركة المتجهة الى الأمام .

ولسنا ننكر أن من السذاجة بل السخف أن يحمل المرء الآن

---

(١) اليكزاندر هيرزى (١٨١٢ ـ ١٨٧٠) ـ مؤلف روسى كبير . أدت به صراحته الى الابعاد من البلاد حيث خرج من روسيا فى عام ١٨٤٧ ليقضى بقية حياته متنقلا بين باريس ولندن وجنيف . انشأ دارا للنشر فى لندن تولت اصدار الكثير من الكتب الداعية للاصلاح فى روسيا . وضع كتاب «مذكرات الامبراطورة كاترين» وعددا من القصص والمؤلفات السياسية . ـ المعرب ـ

نظريات طوبائية . فمن الضرورى الآن خلافا للفكرة الطوبائية ، أن يفهم الناس بوضوح أولا وقبل كل شيء ، أن المثل البراق والمشع للانسانية التقدمية · والهدف المثالي للاشتراكية في اقامة سلام ثابت ودائم وفي تحقيق نزع السلاح الشامل والكامل ، لا يمكن أن يتحققا دون نضال · فهناك قوى ما زالت في العالم تعمل وستعمل كل ما في طاقتها للحيلولة دون تحول التطلع المثالي الى واقع . فالعالم الوضيع للعواطف الشريرة والمصالح الحقيرة يتعارض في الواقع مع عالم المثاليات ومع الشعوب التي تعبد المثاليات الرفيعة .

وليس ثمة من شك في أنه اذا لم يحمل المرء مفهوما واقعيا عن الواقع الدقيق لعصرنا ، واذا لم يأخذ في عين اعتباره القوى الضخمة جدا لحماة السلام والمدافعين عن نزع السلاح الشامل ، واذا أخذ عوضا عن ذلك يبني قصوره في الهواء · دون أن يفهم الأهمية الحاسمة لنضال الطبقات العاملة ، الذى يمثل القوة المحركة للتاريخ . فان هذا الانسان يتحول الى حالم سليم النية يتعلق بالطوبائيات . أما اذا كان المرء يحلم ليرى ويستشف ما وراء الواقع اليومى ، واذا كان يؤمن ايمانا جادا بما يحلم به ، ويحزم أمره على العمل باصرار ومثابرة ، لتنفيذ هذا الحلم مدعوما بتأييد الجماهير ، فان هذا الحلم الجميل لا بد أن يتحول الى تنفيذ وواقع .

وليس ثمة من شك في أن أولئك الذين يصفون اليوم النزع الشامل والكامل للسلاح بالطوبائية ، وبانه لايمثل واجبا سياسيا واقعيا ، لايرون واقع الحياة الراهنة ، ولا يرون القوة الهائلة المتزايدة لحماة السلام ، وهم مازالوا يعيشون في الماضي ، دون أن يتفهموا الأهمية العظمى للنضال الراهن من أجل تحقيق النصر للغد المشرق ·

وكثيرا ما تتحدث الصحف الغربية عن « الصراع على النفوذ » الدائر بين النظامين العالميين الاشتراكي والرأسمالي ، وذلك في الدول المستقلة الغنية ، وتقول انه صراع يعزز حدة الحرب الباردة وسباق التسلح ، وان نتيجة هذا الصراع ستقرر على المدى الطويل وعلى نطاق عالمي ، انتصار أحد النظامين على الآخر · ولكن هذه الآراء تفتقر من الناحيتين النظرية والسياسية الى الأساس الصحيح . ولكن المجال للحديث عن ذلك ليس ماثلا هنا .

ولكن الاقتراحات السوفياتية حول البرنامج الاقتصادى لنزع

السلاح ، تستند الى مبدأ مغاير تماما • فهى تستند الى الحقيقة الواقعة وهى ان السلام والتعايش السلمى يجب أن يضمنا عن طريق اتفـــاق يعقد بين الدول حول نزع السلاح الشامل والكامل ، وحول الاتفاق على تعاونها ضمن اطار التنافس الاقتصادى السلمى للنظامين العالميين ، وهو التنافس الذى يشتمل أيضا على النضـــال من أجل التغلب على التخلف الاقتصادى للبلاد النامية .

وسيمثل نزع السلاح الأساس الأمثل للتنافس الاقتصادى العالمى بين النظامين الاجتماعيين • وستفيد جميع الشعوب والدول فى العالم من مثل هذا التنافس .

ولو قامت الدول الامبريالية بنسف الاتفاق على نزع السلاح ، فانها ستعرض نفسها للظهور بمظهر العدوة للسلام والتنافس الاقتصادى السلمى . ولا شك فى أن هذا المظهر يقوض نفوذها ، ويمهد الطريق أمام ظهور نظام آخر أكثر عقلانية .

ولا ريب فى أن الحلم الجميل سيتحول بطريقة أو بأخرى الى واقع جميل ، اذا تحقق السلام واذا تم لجم قوى الحرب وكبح جماحها .

١١ حول المذهبية..
السياسة الخارجية ونزع السلاح

(أ) المذهبية ، النزعة العسكرية والسياسة الخارجية

تصطرع القوى الاجتماعية المختلفة وبينها القوة الدولية ، مع بعضها في الصراع من أجل السـلام : فهناك قوى تقف صامدة في نضالها من أجل السلام الدائم ومن أجل نزع السلاح الشامل والكامل ، ولكن هناك قوى أخرى مصممة على مواصلة سباق التسـلح « والحرب الباردة » ، التي قد تنمو ، كما سبق لنا أن قلنا ، وتتحول الى حرب نووية حرارية ٠

وليست القضية هنا مجرد مبارزة بين الدبلوماتيين ، بل انهـا موضوع صراع متعدد الجوانب سياسيا ومذهبيا بين الدول والطبقات ٠ فمذهبية السلام والصداقة بين الشعوب تواجه في هذا الصراع من الناحية الأخرى مذهبية النزعة العسكرية والقوة المتوحشة ومذهبية التفرقة بين الشعوب وخلق العداءات بينها ٠ ومن المعروف تماما ان الأدب والسـينما والاذاعة والفلسفة ٠ والأخلاق والاعراف ولعب الأطفال تستخدم في الدول الامبريالية كوسائل للتوجيه العسكري ٠

وهنـاك قول معروف بأن « خطر الحرب سيظل قائما طالما أن

الرأسمالية موجودة » ٠ وقد يشترك فى هذا القول كل انسان ٠ حتى الملوك وأمراء البيوت المالكة ٠٠ فكل انسان يعرف هذه الحقيقة ، ولكن هذه المعرفة ليست كافية لتفهم كامل للأحداث والأعمال الصحيحة ٠ وفى الامكان تجنب الحرب بل يجب تجنبها ، وان كان هذا التجنب لايتحقق عن طريق الاقناع والخطب الحلوة المزوقة ، اذ ان سبيله قائم فى النضال من أجل منع الحروب ٠

ويكرر أذناب الاحتكارات الصناعية الحربية أن نزع السلاح متعذر تحقيقه ٠ ويتجاهل هؤلاء فى قولهم الألاعيب والمناورات التى يقوم بها الساسة المحترفون من أتباع الرأسمالية الكبيرة الذين يحاولون اخفاء عزوف بعض الدوائر الامبريالية عن الموافقة على نزع السلاح عن طريق ادعاء الحاجة الى الدراسات المجهدة لاستحالة احداث « تغييرات خطيرة » وادعاء العقبات التى تقف فى طريق مراقبة نزع السلاح وما شابه ذلك من مزاعم ٠

ويقيم هذا الدليل من جديد على صحة الحقيقة المعروفة وهى أن النزعة العسكرية والامبريالية متشابهتان فى لبابهما وجوهرهما ٠ ولاشك فى أن الأساس الاقتصادى للنزعة العسكرية يتمثل فى استغلال الانسان لأخيه الانسان ، وفرض الظلم من أمة على أخرى ، والتنافس العنيف الذاتى بين حفنة من الناس من أصحاب الاتحادات الصناعية وحفنة أخرى٠

ويعنى هذا أن من المستحيل ايجاد تعايش سلمى بين المذهبيات فى الصراع بين نزع السلاح وبين النزعة العسكرية ٠ ولا يمكن الجمع بين النار والجليد فى مكان واحد ٠ وليس فى وسع أحد توفيق ما لا يصلح للتوفيق ، كالتوفيق بين السلام والحرب وبين الاستعمار وكفاح التحرير ٠ وبين تمكين البلاد المقهورة فى الماضى من الاسهام فى موكب الحضارة الحديثة وبين الابقاء عليها متأخرة وفقيرة ، وبين الانسانية وبين المفاهيم الفاشية العنصرية٠وقد يكون هناك بالطبع من يؤمنون « بالزج المنسجم » بين المفاهيم المتعارضة قطريا ، ولكننا لسنا بين هؤلاء ٠ فنحن مقتنعون كل الاقتناع بأن التعايش السلمى بين مختلف البلاد ، أمر ممكن وواجب ، ولكنه لا يمكن أن يقوم فى الوقت نفسه بين الحرب والسلام وبين مفهوم تسوية الخلافات العالمية والدولية عن طريق الحرب ، وتسويتها عن طريق سلمى ٠ ومن الضرورى أن يناضل المرء من أجل السلام وتسوية المشاكل الدولية سلميا ، واحترام الحقوق السيادية للبلاد والأمم والتصفية الشاملة لجميع صور الاستعمار والعدوان ٠

أو هناك وسيلة أخرى غير نضال الشعوب الطويل والعنيف والمتعدد الجوانب من أجل نصر الارادة الذاتية للأمم ، لاخراج الاستعمار من قواعده ؟ وينطبق نفس القول على النزعة العسكرية • فلا يمكن اقتلاع هذه النزعة دون وجود نفس النضال الشامل • والمصمم من أجل السلام والصداقة بين الأمم ومن أجل نزع السلاح الشامل والكامل •

ولا يمكن الحاق الهزيمة بالاستعمار على الصعيد السياسى دون تحطيمه خلقيا أولا وقبل كل شيء • ولا يمكن أيضا استبعاد النزعة العسكرية دون الاطاحة براياتها السود والدوس عليها بالأقدام ، ودون كسر سهامها المسممة ، وتعرية الساسة من دعاتها • ولابد من عمل هذا على الصعيدين القومى والعالمى •

ومن المستحيل تعزيز السلام فى العالم ، وتحقيق نزع السلاح الشامل والكامل بدون نضال يحمل طابع التصميم والاصرار ضد مذهبية الحرب المبغضة للبشر وضد سباق التسلح ، وبدون نشر أفكار السلام والصداقة والاخاء بين الأمم ، وسط الجماهير العريضة • وتجسد أفكار السلام والتعايش السلمى المتطلبات الملحة للقرن الذى نعيش فيه ، وهى لهذا وجدت لتبقى • ومن الضرورى أولا وقبل كل شيء نظرا لوجود قوى العدوان والنزعة العسكرية فى بلاد عدة ، توحيد القوى المحبة للسلام ، للوصول الى الهدف الرئيسى وهو منع الحرب النووية الحرارية وضمان السلام العالمى ونزع السلاح الشامل •

والواجب الملح الأول يتلخص فى الحط من استراتيجية النزعة العسكرية الحديثة والامبريالية وتكتيكهما ، وسياساتهما ومذهبيتهما ، وتعرية ذلك أمام العالم كله ، وتجنيد البلاد والقوى المحبة للسلام لخوض الصراع الملح ضد خطر الحرب النووية الحرارية وضد سباق التسلح وضمان السلام الدائم ونزع السلاح الشامل • ولقد أصبح هذا الواجب أكثر الحاحا الآن ، بعد أن تحولت الدوائر الحاكمة فى الولايات المتحدة ، وهى أغنى البلاد الرأسمالية من سياسة كنيدى الى سياسة جونسون التى تجمع بين أعمال العدوان المكشوف وبين التعابير الحلوة الزائفة التى لا تتفق فى أى حال من الأحوال من الأفعال • وأصبحت اليقظة والاستعداد لكبح جماح المعتدين والنضال من أجل السلام أكثر الحاحا اليوم منها فى أى وقت مضى •

ولقد باتت الاتفاقات التى تحتاج الدول الى عقدها اليوم بين بعضها

البعض لتحقيق نزع السلاح أو للسير في هذا الاتجاه قضـــية سياسة خارجية أكثر منها قضية مذهبية • وقد ترغم الضرورة الدول على الوصول الى اتفاقات وسطية ، وقد تفرض الحاجة الشروع في الخطوات الأولى لتلحق بها خطوات تالية • ويعني هذا أن هـــذه الاتفاقات تمثل المكان الصالح لظهور براعة الدبلوماتية ومرونتها واصرارها وحبها للسلام • وتتطلب الفاعلية في دبلوماتية حب الســـلام التقدم في حل المشـــكلات الدولية الملحة ، والتحول من خطر الحرب الى تثبيت دعائم السلام •

وكان التوقيع في صيف عام ١٩٦٣ على معاهدة موســـكو لوقف تجارب الأسلحة النووية في الجو والفضاء الخارجي وتحت الماء في منتهى الأهمية لأنها ساعدت قبل كل شيء على تخفيف حدة التوتر الدولي وخلقت جوا أفضل لاتخاذ خطوات جديدة وبذل الجهود من جانب الدول المحبـــة للسلام •

وكانت الحكومة السوفياتية دائبة العمل على تحسين علاقاتها مع جاراتها كتركيا وايران والباكستان والبـــلاد الاسكندينافية وكذلك مع فرنسا وايطاليا واليابان وغيرها • ويتجه الاتحاد السوفياتي في سياساته الى تعزيز صداقته وتعاونه مع الدول المستقلة ذات السيادة في آســـيا وافريقية وأمريكا اللاتينية التي تحـــارب الاستعمار والاستعمار الجـــديد وذلك عن طريق تقديم كل عون ودعم الى حركات التحرر الوطني التي تغذ السير قدما في البلاد المستعمرة والبلاد التابعة لغيرها •

وفي وسع كل انسان أن يتبين أن السياسة السوفياتية • تقوم على أسس السلام والتعايش السلمي بين مختلف الدول • وتؤمن هذه السياسة للاتحاد السوفياتي مكانة محددة في العالم وتعزل المعتدين ، وليس ثمة من شـــك في وجود الكثير من المتاعب والعوائق بل الأخطـــار اذا شئنا الصدق في القول في هـــذه الطريق • فلقد ادى العدوان الأمريكي في فيتنام على سبيل المثال ، الى تردى الوضع الدولي ، وضاعف من خطر الحرب ، إذ أرغم الاتحـــاد السوفياتي وغيره من البـــلاد الاشتراكية على اتخاذ الاجراءات لتقوية طاقاتها الدفاعية واستعدادها لردع المعتدين •

ومن الصعب التكهن بالكيفية التي تتطور فيها الأوضاع ، ولذا من الضروري بالنسبة الى قوى السلام أن تكون على استعداد بحيث لا تؤخذ على غرة • ولـــكن من الواضـــح كل الوضـــوح أن العدوان الأمريكي على فيتنـــام وجمهورية الدومنيكان لم يحقق لواشـــنطن النتائج التي كانت

تريدها سواء على الصعيد العالمي أو المحلي · ومازال النضـال البطولي الذى يخوضه الشعب الفيتنامي مستمرا ، كما أن الولايات المتحدة ، تجر الآن جرا الى شرك لا تسـتطيع الخروج منه عسكريا بأية حال من الأحـوال · وسيواجه المعتدون فى تصعيدهم للحرب المعيبة التى يشنونها على الشعب الفيتنامى ، مزيدا من الدعم يقدمه الاتحاد السـوفياتى وغيره من الاخـوة والأصدقاء الاشتراكيين الى الشعب الفيتنامى · وسيغدو الشعب الفيتنامى السيد الوحيـد لبلاده كلها · ولن يكون فى وسع أحد أن يخمد الشـعلة الاشتراكية التى ترفعها جمهورية فيتنام الديمقراطية عاليا · ولقد ثبت أن البيانات الحمقاء التى تصدر عن الساسـة الأمريكيين بأنهم يصـارعون حركة التحرر الوطنى فى كل من فيتنام وجمهورية الدومنيكان ، لوضع حد لهما ، والقضاء عليهما ، لا أساس لها من الصحة وكاذبة · فلم تعد حركات التحرر الوطني والصراع ضـد الاستعمار من الحركات القومية المنعزلة وانما باتت عالمية فى طابعها · ولم تعد هذه الحركات محصـورة فى فيتنام أو فى الجمهورية الصغيرة فى جزيرة هايتى ، وانما أخذت تغطى القارات الثلاث كلها ، مدعومة من قوى السـلام والاشتراكية ، كما لم يعد فى وسـع أحـد أن يوقف اتجاه الحياة فى هـذه القارات أو يعرقل التطور المستقل والظاهر لأكثر من ثمانين دولة مسـتقلة تنشد سـيادة مقدراتها وسيادة منجزات الحضارة الحديثة ، وتصفية الاستعمار فى جميع صـوره وأشكاله تصفية كاملة ، الا اذا كان هذا الشخص قادرا على وقف دوران النجوم والكواكب · ولا شك فى أن هذا الهدف ، لن يتحقق ، وأن كل من يحاول الوصول اليه انما يقوض موقفه نفسه ، لا كحاكم يتطلع الى « حكم العالم » فحسب ، بل كسياسى عادى يفترض فيه أن يعـرف ما يحدث حوله ، وأن يضع خططه فى ضوء معرفته ·

ويواصل الاتحاد السوفياتى احتجاجا منه على الأعمـال الخطرة والمغامرة لقوى العدوان ، القتال باصرار وثبات من أجل السـلام وتخفيف التوتر الدولى ·

وتم فى المؤتمر الثالث والعشرين للحزب السوفياتى الذى عقد فى ربيع عام ١٩٦٦ وضع برنامج عملى لتعزيز السلام وتحسين الوضع الدولى، قدم الى المؤتمر وتضمن ما يلى :

« وضع نهاية للعدوان الأمريكى فى فيتنام وسحب جميع القوات الأمريكية والأجنبية من فيتنام الجنوبية واعطاء الشعب الفيتنامى فرصة فى تنظيم شئونه الداخلية بنفسه ، وأن تؤخذ كأساس لحل المشـكلة

الفيتنامية ، المواقف التى حددتها حكومة الجمهورية الفيتنامية الديمقراطية وجبهة التحرير الوطنى فى جنوب فيتنام ٠

« احترام مبدأ عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الأخرى احتراما دقيقا » ٠

عقد معاهدة دولية تحرم انتشار الاسلحة النووية ، والعدول نهائيا عن موضوع تسليح جمهورية ألمانيا الاتحادية تسليحا « نوويا » والسماح لها بحيازة مثل هذه الاسلحة بأية صورة من الصور ، وارضاء تطلعات الشعوب فى خلق مناطق تحظر منها هذه الأسلحة فى مختلف مناطق العالم والتزام الدول التزاما مقدسا بعدم استعمال الأسلحة النووية التى تملكها ، وعقد اتفاق يحظر التفجيرات الذرية تحت الأرض ٠ ولاشك فى أن تنفيذ هذه الاجراءات الهادفة الى وقف خطر الحرب الذرية سيمهد الطريق لمزيد من التقدم نحو المنع الكامل للأسلحة النووية وتدميرها ٠

« الشروع فى التفاوض على قضايا الأمن الأوروبى ودراسة الاقتراحات المقدمة من البلاد الاشتراكية وغيرها فى أوروبا لتخفيف حدة التوتر العسكرى وتخفيض التسلح فى أوروبا وتنمية العلاقات السلمية المتبادلة النفع بين الدول الأوروبية والدعوة الى عقد مؤتمرات دولية لهذا الغرض ومواصلة البحث عن وسائل الوصول الى معاهدة صلح ألمانية ، اذ تؤلف هذه المعاهدة مشكلة من أهم المشكلات المتعلقة بالأمن الأوروبى ، للتخلص تماما من مخلفات الحرب العالمية الثانية على أساس الاعتراف بالحدود الراهنة فى أوروبا وبينها حدود الدولتين الألمانيتين الراهنتين » ٠

ويهدف هذا البرنامج الاجرائى الذى يعمل الاتحاد السوفياتى على تحقيقه الى حل مختلف المشكلات المهمة فى السياسة العالمية لمصلحة الشعوب ، كما يهدف الى تعزيز السلام العالمى والأمن الدولى ٠

وسيمثل عقد معاهدة لحظر انتشار الأسلحة النووية خطوة كبيرة فى طريق المنع الشامل لها وتدميرها ٠ وتقدم الاتحاد السوفياتى بمسودة مشروع لمثل هذه المعاهدة الى لجنة الدول الثمانى عشرة لنزع السلاح فى جنيف ٠ وكان هدف المشروع السوفياتى سد جميع الفجوات أمام انتشار الأسلحة النووية فى العالم على النحو المطلوب بموجب القرار الصادر عن الدورة العشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة ٠ وهناك مخططات

لتحقيق هذا الانتشار وان تقنعت بقناع الاختفاء وراء حب السـلام ٠ ويتمثل لباب هذه المخططات فى تمهيد الطريق الى تسليم الأسلحة النووية الى حملة النزعة العسكرية من الألمان الغربيين الذين يودون اعادة النظر فى الحدود فى أوروبا وتعديلها ، والاستيلاء على أراض غريبة عليهم ٠

ولن يتسامح الاتحـاد السوفياتى وأصدقاؤه فى موضـوع الرضا بالخطط الهادفة الى اعطاء جمهورية ألمانيا الغربية الحق فى الوصول الى الأسلحة النووية ٠ ولقد وجهت بلاد حلف وارسو الانذار فى بيان مشترك صدرعنها حول هذا الموضوع ٠

وتواجه قوى السلام فى العالم كله مهمة سياسية دبلوماتية وعامة لتخفيف حدة التوتر الدولى ، وعرقلة سباق التسلح واحباطه ، ووضع نهاية كاملة له على المدى الطويل ٠

وليست المعركة التى يخوضها الاتحاد السوفياتى من أجـل نزع السـلاح ، مجرد قضية تكتيكية ٠ فهى تتفق مع مبادىء الماركسـية اللينينية ٠ ولقد بين فريدريك اينجلز منذ نهاية القرن الماضى احتمـال تحقيق نزع السلاح واطلق عليه اسم « ضمان السلام » ٠ وتقدم لينين بعـد ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى التى تحققت على أيدى الطلائع العمالية البروليتارية بالتحالف مع الفلاحين بشعار نزع السـلاح كالأمر اليومى للواجب السياسى ٠ وتقدم الممثلون السوفييت فى مؤتمر جنوة فى عام ١٩٢٢ بأول الاقتراحات حول نزع السـلاح الشامل أو الجزئى فى حالة رفض الرأسماليين للنزع الشامل ٠

وليس ثمة من شك فى أن الماركسيين ـ اللينيين لا يعادلون مطلقا بين السـياسة الخارجية لأية دولة اشتراكية وبين مبدأ التعايش السلمى وحده ، ولا يطبقون هذا المبدأ على الصراع الطبقى أو صراع الأمم المضطهدة مع الاسـتعمار ٠ فالتعايش السلمى ينطبق على العـلاقات بين البلاد الاشتراكية ٠ وبين الدول الرأسمالية ، فى حين تتمثل المبادىء الأساسية للعلاقات بين الدول الاشتراكية نفسـها فى المعونة المتبادلة بين الرفاق والأصـدقاء ٠ ويقول برنامج الحزب السـوفياتى ان « التعايش السلمى يمثل أساسا للتنافس السلمى بين الاشتراكية والرأسمالية على المستوى الدولى ويؤلف شكلا محددا من أشكال الصراع الطبقى بينهما » ٠

ويميل مذهبيو النزعة العسكرية الى اقتطاف هذا الجزء من برنامج الحزب السـوفياتى ، ويتجاهلون نصوصه الأخرى المتعلقة بالتعايش السلمى ، ويقولون :

« انظروا ان الساسة السوفيات يتشدقون بالحديث عن السلام ، وهم لا يعنون به الا صورة للصراع الطبقى على صعيد عالمى » ·

يا له من لوم غريب ! ان هؤلاء المذهبيين يودون من الناس أن يصدقوا أن الشيوعيين الذين طوروا منذ القرن الماضى نظرية الصراع الطبقى · خلقوا هذه الطبقات ، وحطموا بذلك وجود السلام والثقة على الأرض · وها هم الشيوعيون الآن يزعمون أن وزارة الخارجية الأمريكية · أداة للصراع الطبقى الذى تخوضه الاحتكارات على مستوى دولى ويعلنون أن الأعمال الحربية فى فيتنام ليست عمليات لخلق السلام بل لتجسيد نفس الصراع الطبقى الدولى ·

ويدعى الشيوعيون أيضا أن جميع الصراعات المسلحة التى وقعت بعد الحرب العالمية الثانية انما شنتها القوات الامبريالية والاستعمارية وكانت تجسيدا للصراعات الطبقية · ويمضى المذهبيون الامبرياليون الذين قضوا وقتا طويلا ، وبذلوا جهودا مضنية لاقامة الدليل على أن الاستعمار لايمثل سياسة طبقية امبريالية ، وعلى انه متكافىء النفع بالنسبة الى الشعوب المستعمرة والشعوب التى تفرض استعمارها عليها ، فيصفون أقوال الشيوعيين بالسخف ويؤكدون أن الأعمال العسكرية فى فيتنام والكونجو وجمهورية الدومنيكان هى لمصلحة جميع الشعوب ، ولاسيما تلك التى تضيق بالقوات الأجنبية ·

هذا هو منطق دعاة النزعة العسكرية تماما ، فهم يرغبون فى وضع نهاية لنظرية الصراع الطبقى التى تعكس واقع الحياة وتساعد فى تعرية أولئك الذين يسيرون جريا وراء مصالحهم الطبقية الضيقة ، فى متابعة سياسة العدوان والحرب والاضطهاد الاستعمارى ، وحرمان الدول والأمم من حقوقها السيادية ·

لا فالشيوعيون جد صريحين ومخلصين فى نضالهم من أجل التعايش السلمى بين مختلف الدول · ويفترض التعايش السلمى بين الدول بالطبع احترام الحقوق السيادية لجميع الشعوب واحترام حق كل شعب فى أن يعيش فى ظل النظام الذى يختاره · ويعنى السلام احترام كل دولة لحقوق الدول الأخرى · فالمحاولات التى تقوم بها الطبقات الحاكمة فى الدول الامبريالية للتدخل فى شئون الدول والأمم الاخرى كالعدوان فى فيتنام مثلا ، ومحاولات التدخل فى كوبا ، تؤدى فى النهاية الى أزمات دولية حادة تهدد السلام العالمى بالخطر ·

ونحن نعيش بالطبع في أوقات مضطربة كل الاضطراب وعندما نتحدث عن التعايش السلمي ، فاننا نعني به أن العالم يتطور دائما ويتغير باستمرار في طريق التقدم • وقد يجعل هذا التطور المستمر مهمة تأمين السلام والتعايش السلمي أكثر تعقيدا ، ولكنه لا يغير حاجة جميع الدول الى تكييف نفسها بالنسبة الى الوضع العالمي المتغير ، كما أن نزع السلاح لا يحدث أى تغيير على الأقل •

وسيخلق نزع السلاح الشامل والكامل أفضل الأوضاع للتنافس الاقتصادى السلمي بين النظامين الاجتماعيين ويكون نافعا لجميع الشعوب ولا شك في أن البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح يمثل دليلا على ذلك • ويمكن عن طريق تحويل الصراع بين النظامين الاجتماعيين الى الصعيد الاقتصادى أن نحصل على أحسن النتائج من المنجزات المذهلة في ميادين العلم والتقنية ، وأن نصل الى أفضل الأوضاع المادية والتقنية الجديدة تماما لتطوير المجتمع وتنميته •

ويرى الشيوعيون ان المزايا التي يتفوق بها نظام اجتماعي على آخر لابد أن تثبت عمليا ضمن نطاق التنافس الاقتصادى السلمي بين مختلف الأنظمة الاجتماعية • وستفيد جميع الأمم من هذا التنافس • اذ لن يكون هناك عن هذه الطريق أمم مهزومة وأخرى منتصرة •

ولعل من الحقائق الواضحة أن فكرة السلام ونزع السلاح أخذت تشق طريقها الى الأدب الرأسمالي والكتابات الرأسمالية ، بعيدة كل البعد عن المذهبية الشيوعية • وتبين هذه الحقيقة ما في هذه الأفكار من حيوية ونضج ، وتوضح أنها تعكس تماما الحالة الراهنة للأوضاع وما يجب أن يعمل • ولا يؤمن الشيوعيون بالعزلة ولا بالتزمت الفكرى ، ولذا فهم على استعداد لضمان الوصول الى الهدف المشترك وهو ضمان السلام للتعاون مع الآخرين الذين لا يتفقون معهم في جميع المجالات •

ومن الضرورى لتحقيق الاتفاق على نزع السلاح ، تعزيز الثقة الدولية ، التي تعني أن الاجراءات العملية للدول ، ضرورية لتثبيت دعائم السلام وتخفيف حدة التوتر الدولي • ويمثل الاتجاه الذى تسير فيه سياسة الدولة ، لباب القضية وجوهرها • وليس الخلاف راجعا في الواقع أن وجد الا بالنسبة الى الصراع بين القوى المحبة للسلام والقوى المعتدية • ولهذا فان المحاولات المتصنعة للموضوعية « للبقاء في وضع المترفع » عن الموقف المتخذ من جانب الدول المختلفة ، ولاختراع أى « مسلك ومنطق »

بالنسبة الى « العالم القديم المنهك » ، ليست الا سخافة صبيانية أو رغبة فى الهروب من الواقع والعيش فى عالم من الأحلام ٠

وتضم الكتابات الأمريكية والالمانية الغربية والانجليزية الكثير عن سباق التسلح والحرب الباردة ٠ وهذا صوت الرأسمالية الكبيرة المتلهفة على ابقاء السوق الرأسمالية العالمية تحت تأثير حوافز الانفاق العسكرى المتضخم ٠ ويخشى ملوك المال المحتكرون أن تضعف حدة التوتر الدولى كما يخافون من تحقيق نزع السلاح الكامل والشامل ٠ فهم يرتعدون من معاناة الضياع فى وضع سلمى عالمى ، اذ انهم ألفوا « المسالك المطروقة » للدبلوماتية الحربية ٠ ويظهر أن الكثيرين منهم يبدون عاجزين عن توجيه سياسة الدولة واقتصادها خارج نطاق الأحلاف العسكرية وتبديد موارد الأمة على سباق التسلح ٠ ومن الجلى أن الرأسمال الاحتكارى الكبير عاجز دائما عن انتاج رجال من بعيدى النظر وواسعى الأفق ٠ ومنها تتبلور الأكذوبة فى أوروبا الغربية التى تنادى تحت ستار الاهتمام بقداسة الأمم « وبسيادتها » وبالمساواة فى الحقوق بينها ، بالصراع العنيف بين أشد الدوائر العدوانية ضراوة ، للوصول الى الأسلحة النووية ولتأكيد حق القوى العدوانية فى ألمانيا الغربية وغيرها من البلاد فى وضع أصابعها على الزناد النووى ٠ وليس ثمة من يجهل أن الدوائر الأمريكية ذات النفوذ تشجع القوى العدوانية فى ألمانيا الغربية على التصرف بهذا الشكل ٠ ولكن لم هذا ؟ انها تريد التركيز على المناوشات الدبلوماتية الآتية ، لتجاهل المستقبل ٠ أو ليس من الضرورى معالجة مثل هذا الوضع من قصر النظر ؟ ٠

وتلعب السياسة الخارجية العاقلة والمرنة والملتزمة بالمبادىء للاتحاد السوفياتى وغيره من البلاد الاشتراكية دورا مهما وفعالا فى الشئون الدولية ٠ ولكن من الواضح فى الوقت نفسه انه مهما كانت الخطوات الدبلوماتية من جانب البلاد المحبة للسلام ، ومهما كانت دبلوماتيتها بارعة فى تعرية القوى العدوانية ، فان تخفيف التوتر الدولى ، بما فى ذلك نزع السلاح ٠ لن يتحقق بالنضال الدبلوماتى وحده ٠

ولابد من دعم الأفكار الصالحة بالعوامل المادية ، والا فانها تصبح عرضة للتجاهل ٠ وهذا هو السبب فى أن على جميع الناس فى البلاد الاشتراكية أن يلعبوا عن طريق عملهم وحيويتهم ومحاولاتهم فى مجال التنافس الاقتصادى مع الرأسمالية ، وفى تعزيز الطاقة الدفاعية للبلاد

المحبة للحرية ، دورا حاسما في تعزيز مواقع السلام . ولقد أصبحوا جميعا مهما كان مجال عملهم ، من دبلوماتيي السلام .

وعلينا ألا ننسى أن الحرب في حاجة الى جانب واحد يقوم باشعالها مهما كان هذا الجانب ، سواء أكان مقهورا أم عاجزا . ولهذا فمن الضروري لضمان السلام العالمي وتحقيق برنامج نزع السلاح توفير الطاقة الدفاعية القوية ، والحفاظ على وضع الاستعداد للحرب وردع العدوان. فمن الضروري تأمين اليقظة والحذر وتعبئة جميع قوى السلام . ولا شك في أن الافتقار الى التنسيق والكمال في جهود أنصار السلام لن يحقق هذا الهدف .

(ب) الأسلحة النووية ـ الصاروخية ـ الخطط التكتيكية الخاصة بالنزعة العسكرية والحركة المناهضة للحرب .

تقرر خصائص الأسلحة النووية ـ الصاروخية ، وخصائص الوضع الدولي الراهن الأساليب التكتيكية الخاصة لدعاة سباق التسلح . وتكيف الأسلحة النووية ـ الصاروخية بوصفها من النوع ذي القوة التدميرية الهائلة ، لاستخدامها في عمليات حربية قصيرة الى حدما . وفي قدرة بعض الهجمات الصاروخية النووية المكثفة أن تشل الحياة في بلاد بكاملها . ولذا فعلى سبيل النقيض في الماضي ، وعندما يحول اقتصاد الدولة بصورة متدرجة ، وابان الحرب ، الى الأساس العسكري الذي يعني الى حد كبير التعبئة واعداد الخطط الحربية ، فان هذه الدولة عندما تصبح مالكة لأسلحة الدمار الشامل ، تبادر الدوائر العدوانية فيها الى الانهماك في الاعدادات الشاملة للحرب ، وهي الاعدادات التي تنطوي على توجيه الصناعة الى المتطلبات العسكرية حتى في أوقات السلام .

ويصبح انتاج الصناعات الحربية في ظل مثل هذه الظروف جزءا مهما من اعادة الانتاج الاقتصادي في البلاد الامبريالية . ففي الولايات المتحدة يخصص عشرون في المائة من الانتاج القومي الى التسلح والقوات المسلحة في حين يخصص خمسة في المائة فقط الى التصدير . وتصبح النزعة العسكرية حجة سواء بالنسبة الى السياسة الداخلية أو الخارجية لبعض البلاد . وتوضع هذه السياسة لتكون نافعة الى حد ما ، اذ انها تؤمن العمل للكثيرين من الناس وتنظم العملية الانتاجية . ولكن تنظيمها لشكل العمل وشكل الانتاج يمثل قضية أخرى . وكان رجال الصناعة الحربية دائما يشبهون في غرورهم كبار العسكريين ، يضاف الى هذا أن

الصناعيين كانوا دائما واقعين تحت سيطرة الرغبة فى ابتزاز كل شيء من الدولة التى يستطيعون فرض سلطانهم عليها ٠

ولا شك في أن تولى زمام المبادرة فى سباق التسلح ابان أوضاع السلام يعتبر دليلا واضحا على النوايا العدوانية لأية قوة دولية ٠ وهذا هو السبب الذى يدعو القوى الامبريالية العدوانية الى رفض المشروعات الصادقة الخاصة بنزع السلاح الشامل والكامل ، لأن هذه المشروعات تشل سباق التسلح وتشل الاعدادات التى تتم فى وقت السلام استعدادا لشن الحرب النووية الحرارية ٠

وتبطل المظاهر السابقة الذكر للأسلحة النووية الحاجة الى اعداد الشعب مذهبيا للحرب مقدما كما كان الوضع من قبل ٠ ويفترض بعض رجال الاستراتيجية العسكرية فى الغرب أن ليس من المحتمل أن يقوم بشن الحرب النووية فوهرر شديد التعصب أو وزير مجنون للدفاع أو رئيس مشتت الفكر ، وذلك بالضغط على الزر لتنطلق الحرب بعد ذلك٠ ولقد فكر رجال البنتاجون أو القيادة العليا للجيش الألمانى الغربى طويلا بفكرة الحرب الرادعة أو الهجوم النووى الأول ٠ وتستند مثل هذه المخططات الى الافتراض بأن هذه الدوائر لا تأبه بما يفكر به سكان مناطق بأسرها ، تجاه الاحتكارات الرأسمالية الكبيرة ، اذا نسفوا وتفتتوا تفتيتا دون أن يكونوا قد أهلوا مذهبيا للحرب مقدما ٠

ولهذا تؤثر الدوائر الامبريالية العدوانية الدعاية المؤيدة لسباق التسلح على الدعاية المكشوفة والصريحة للحرب ٠ وتعبىء الرأسمالية الكبيرة فى البلاد الغربية جميع الموارد لتغطية السياسة الحربية وجميع العهر الصحفى لاعداد الأساس المذهبى لسباق التسلح ٠ ولا شك أن أمهات المسرحيات تجسد العروض التى تمثل فى هذا المجال ٠ ولا شك فى أن هذا لايثير الدهشة ففى تمجيد النزعة العسكرية يورث من جيل الى آخر ، ولا ينطوى على أى موضوع يتصل بالأخلاق ٠ فهناك من يصرون على سبيل المثال على ضرورة صياغة « السيف النووى » و « الدرع النووى » لحلف الأطلسى بقصد الدفاع طبعا ، وتشكيل « المظلة النووية » فورا لتقرر « ملائكة السلام » من رجال مقر القيادة العامة لحلف الأطلسى بصورة مستقلة ، استعمال الأسلحة النووية الحرارية ٠ وهناك حديث عن نشر الأسلحة النووية فى بلاد لا تملكها الآن ، لأن حكومات هذه البلاد تضم بعض الحكماء أيضا ٠ ويندر أن نسمع تعليقا من بطل الساعة هو لشتاين أو من الجنرال نورستاد القائد العام السابق لقوات الخلف

الأطلسي في أوربا ، لتوجيه الطبقة التي ينتميان اليها ، عن « تكامل أوروبا حتى جبال الأورال » أو صوتا يعبر المحيط الأطلسي ليذكر احتمال « قيام الولايات المتحدة بالمبادرة الى الصراع النووي » ، لنعود فنسمع بعد ذلك خطبا مهدئة تؤكد أن الحرب لن تقع « وأن هذا هو المجهود الأخير » على النحو الذي كنا نسمعه في الحروب الماضية عن « الدفاع عن العالم الحر » • ولكن أركان حرب بلاد الحلف الأطلسي يقومون في غضون ذلك باعداد المخططات المختلفة « للضربة النووية الأولى » متحدثين عن استراتيجية الانتحار النووي •

ومن المحتمل أن يكون هناك رجل كجولد ووتر يتميز بالرغبات العنيفة أو رجل آخر كالخبير الاستراتيجي الألماني هويسنجر ، وكلاهما يعرفان تماما حدود الدمار النووي الذي قد يتعرض له « العالم الحر » ، يحاولان القيام « ببلفة » نووية ، ليتوقفا قبل اللحظة الأخيرة وعلى شفير الحرب • ولكن لسباق التسلح والسياسة المغامرة منطقهما الخاص بهما بالرغم مما قد يقوله مثل هذين السيدين والخطباء المفوهون في جلسات حلف الأطلسي • فلقد مرت تجربتا سيراجيفو ودانزيج المؤلفان بالجنس البشري ، وسجلتا بدايتي حربين عالميتين • فهل من الضروري تكرار هاتين التجربتين في ظل مثل هذه الأوضاع المتغيرة ؟

ولقد سجل اختراع الأسلحة الصاروخية النووية ثورة في العلم العسكري أكبر من تلك التي سجلها اختراع خمسة أسلحة • يضاف الى هذا أن هذا الطراز من السلاح • قد جعل من الحرب جنونا وانتحارا ، ولاسيما بالنسبة الى الأمم التي تسمح لحكوماتها بشن العدوان • ويعني تسليم مقاليد الحكم الى دعاة سباق التسلح والمغامرين أن شعوب البلاد الامبريالية تدفع بدولها وبالدول الأخرى الى شفير الحرب حتى في أوقات السلام • ولا يمكن تبرير السلبية السياسية من جانب الشعوب بالقول بأن الدوائر الحاكمة تخفي القضايا عنها الى الحد الذي يتعذر فيه على رجل الشارع تبين الحقيقة • ولا ريب في أن تبلد الدوائر الحاكمة في البلاد الامبريالية وعجزها عن مواجهة الواقع لابد أن تعوض بالاحساس المتزايد بالمسئولية من جانب الجماهير العريضة لسكان هذه البلاد وتفهمها حقائق الوضع الدولي الراهن • ولابد أن يرتفع قناع الأكاذيب ، وأن يتبدد الضباب الخفي ، وأن تحطم الأوهام والخيالات •

وليس التوتر الدولي الراهن الا ثمرة التقاء عالمين مختلفين عالم الامبريالية وعالم الاشتراكية • فالعالم يرتكز في الجهة الأولى الى استغلال

الانسان للانسان . واستغلال حفنة من الاحتكارات فى بعض الأمم القيادية لمعظم بلاد العالم . أما من الناحية الأخرى فالعالم يرتكز الى حرية الانسان وتحرره من جميع صور الاستغلال ، والى الصداقة بين الأمم ، وتنفيذ المبدأ العظيم « من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله » ، ليتحول بعد ذلك « لكل حسب حاجته » . ولا يمكن أن تعود ساعة التحرر الى الوراء . فليس فى امكان أحد أن يوقف حركة الشعوب نحو حياة جديدة ، كما لا يمكن له أن يوقف بزوغ فجر جديد . وعندما يتواجه هذان العالمان المختلفان ، بما ينطويان عليه من نظامين اجتماعيين مختلفين ، فان الخطر الوحيد الذى يهدد الشعوب سينبع من العالم الذى يقوم على أساس الظلم . ولا يكفى فى مثل هذه اللحظات التاريخية أن نبتهل الى السماء ليتجاوزنا كأس العذاب المرير . ولا يكفى قوى السلام والتقدم أن تقول « اننا ندعو الاحياء ونبكى الموتى » . ففى وسع هذه القوى الآن أن تقول .. « لن تكون هناك حرب » .

فليسقط التشاؤم الواهن ، وليسقط التفاؤل الأعمى !! فالنضال ضد الحرب النووية الحرارية ومن أجل السلام ونزع السلاح الشامل والكامل ، يتطلب جهدا شاملا وبكل وسيلة ممكنة . ولابد أن يمضى هذا النضال قدما داخل الأمم المتحدة وخارجها ، وفى البرلمانات ، تحمل رايته الشعوب فى كل ميدان من ميادين الجهد وفى كل مكان .

ويتطلب وجود الأسلحة النووية الصاروخية بصورة واضحة أن يكون ميدان النضال ضد الحرب وطبيعته على أوسع نطاق ممكن . فلو وقع الصراع النووى الحرارى لن يخلص أحد من أذاه ، سواء أكان عاملا أم فلاحا . أم محتكرا أم قائدا عسكريا . وليس فى امكان أى عالم اختراع قنبلة ذرية لا تعقل الا العمال أو الرأسماليين . وهذا هو السبب فى وجود مصلحة مشتركة للانسانية وهى النضال من أجل السلام . فالحركات المتباينة والمؤتمرات والحكومات بل حتى الساسة البورجوازيين القساة فى البلاد الامبريالية ، كلها عناصر تؤلف مصلحة مشتركة فى السلام . وعندما تتحد هذه القوى تصبح قوة فعالة ومؤثرة . وقد أثبتت تجربتا السويس وكوبا صحة هذه الحقيقة .

ولقد وصل النضال ضد الحرب فى الماضى ذروته بوجه عام ابان الحرب العالمية ، عندما قامت جماهير الشعب وقد أنهكتها أعباء الحرب ومفازعها مقتنعة بتهور الطبقات المستغلة الحاكمة ، وبأن ليس أمامها سبيل آخر لانقاذ نفسها وانقاذ الانسانية ، باللجوء الى أكثر وسائل

النضال ضـد الحرب تصميما فتظاهرت وأضربت جماهيريا ، ثم اختارت العصيان والثورة . وها نحن الآن نواجه مهمة أكثر صعوبة ، وهي أن نحول دون وقوع الحرب النووية الحرارية ، قبل نشوبها ، دون انتظار سقوط القنابل الذرية على رءوس الناس .

وهذه مهمة شاقة للغاية ، وهي تعنى أن على جميع القـوى التى تؤيد السـلام ونزع السـلاح الشامل أن توحد جهودها . وتضم هذه القوى البلاد الاشتراكية بأسلحتها الجبارة ودبلوماتيتها ، وهي البلاد التى تحمى السلام والحرية والاستقلال للشعوب ، وحركات الطبقـة العـاملة فى البلاد الرأسمالية ، وحركات التحرر الوطنى والبلاد المستقلة حديثا ، والتى ظهرت الى حيز الوجود بعد انهيار النظام الاستعمارى العالمى ، والحركات الديمقراطية العامة التى تناضل من أجل السلام والديمقراطية والتقدم .

ولابد من تجربة جميع الوسائل المعروفة وغير المعروفة للنضال النشط والفعال ضـد الحرب ، والأساليب السـلمية وغير السـلمية ، والطرق التطورية والثورية لكبح جماح «الرجال الهائجين المتوحشين» فى المعسكر الامبريالى ، وعزلهم ومنعهم من شن العدوان . ولعل هـذا هو الذى يدفع المرء الى الحديث والتفكير فى نزع السلاح والكفاح من أجل تحقيق الهدف دائما وفى كل مكان سواء تحقق اليـوم أم غدا أم بعد غد . ونقيم محادثات جنيف الدليل بوضوح على أن ارادة الشعوب وعملها المصمم سيرغمان الامبرياليين على الموافقة على تحويل السـيوف الى محاريث» ، والشروع فى تنفيذ البرامج الاقتصادية لنزع السلاح .

ولاينفصل مفهوم نزع السـلاح الشـامل والكامل عن البرنامج الاقتصـادى لنزع السلاح . وليس سباق التسلح وعشرات الألوف من الملايين التى تنفق على الاسـلحة الا وجهين لنفس القطعة النقـدية ، وتكلف الاسلحة العصرية مبالغ ضخمة ، فلايمكن انتاجها أو الحصول عليها دون انفاق مبالغ مذهلة من المال . ويسير نزع السلاح والتحسين الجذرى فى مستويات الحياة والبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح جنبا الى جنب . ولذا فان المطالبة بنزع السلاح ، ينطوى على النضال من أجل تحقيقه وعلى منع الحرب النووية ـ الحرارية من الناحية الأولى وعلى النضال من أجل تحسين فورى وضخم فى مستويات حياة الجمـاهير العريضة من الناس ، ومن أجل تنفيذ البرنامج الاقتصـادى لنزع السلاح من الناحية الاخرى . ولايمثل هذا البرنامج مجرد وسيلة للاسراع فى

تنمية قوى الانتاج ، اذ انه بطبيعته يمثل برنامجا للتعاون الاقتصادى السلمى بين الدول والأمم المتحررة من الاستعمار ومن القهر شبه الاستعمارى .

وليس البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح مجرد رغبة أو شعار وانما هو جزء لايتجزأ من المطالبة بنزع السلاح الشامل والكامل على النحو المعروف به اليوم . ولو انه اقتصر على الوسائل والاساليب للخلاص من القوى المسلحة وسباق التسلح ، فانه يظل فى الغالب مجرد قضية عسكرية . فالخلافات على وسائل مراقبة نزع السلاح ووسائل ضمان الأمن الدولى تقع أيضا فى نفس هذه المجموعة . ولكنها مجموعة ضيقة وغير كافية للغاية . فالبرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، يحسر النقاب عن جانب آخر من القضية وهو جانب مهم آخر ، اذ انه يرمز الى الضرر الذى تلحقه النزعة العسكرية بالمجتمع عن طريق محاولتها لجم القوى الاجتماعية الانتاجية وتبديدها . ويحسر هذا البرنامج النقاب عن زيف ونفاق الطبقة الرأسمالية ــ المالكة فى الدول الامبريالية ويركز الاهتمام على البناء الاقتصادى السلمى فى العالم كله وهو يبين مايمكن عمله اذا سيطر العقل ، كما يدفع الناس الى التفكير بنزع السلاح . ولاشك فى أن التغيرات الجذرية فى التفكير كانت تعقب دائما بالجيشان فى البرلمانات وفى الشوارع .

ويقر بعض الناس بامكان تحقيق نزع السلاح الشامل والكامل ولكنهم يشككون فى واقعية برنامجه الاقتصادى . ولكن تحقيق نزع السلاح فى حد ذاته يفترض تنفيذ برنامجه . وفى وسعنا أن نقول أيضا ان البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح أكثر واقعية وسهولة فى التنفيذ الى حد ما من نزع السلاح الشامل والكامل ولاسيما بالنسبة الى البلاد النامية ، ولاشك فى أنه سهل على التحقيق بالنسبة الى البلاد التى تسير فى الطريق غير الرأسمالية للتنمية .

جـ ـ واقع نزع السلاح

قد تتولد فكرة لدى الانسان ، بأن المصالح الاقتصادية للرأسمالية الكبيرة التى تفيد من الانفاق العسكرى ، وتتخلص بذلك من الأزمات الاقتصادية وحالات الكساد ، تمثل عقبة لا يمكن التغلب عليها فى طريق

نزع السلاح . ولكن مثل هذا التفكير لايعدو أن يكون اغراقا فى تبسيط الأمور .

وتؤكد تجارب بعد الحرب فى تحويل الاقتصاد الحربى فى كثير من البلاد الى الاقتصاد السلمى ، والتحليل العلمى لتطور الدائرة الاقتصادية بصورة منظمة فى البلاد الرأسمالية ، والحقيقة الواقعة وهى أن الاقتصاد حتى فى أكثر الدول نزعة عسكرية يعتمد على الفروع غير العسكرية ،، ان المصالح الارتزاقية لفئة قليلة العدد وان كانت قنوية النفوذ من ملوك صناعة الذخائر الذين يستغلون سباق التسلح لا تمثل مصالح جميع الراسماليين . وترتبط الارباح والارباح الفائضة التى تجنيها المشروعات العاملة فى الصناعة الحربية ، والتى تخرج من جيوب الشطر الغالب من البورجوازية المتوسطة والصغيرة ، بالفروع المدنية للانتاج . يضاف الى هذا أن شطرا كبيرا من الضرائب التى تدفعها المشروعات غير العسكرية ، تعود فتخرج من الموازنة العامة للدولة ، لتمويل الانفاق الحربى ، وتنتهى الى ربح تجنيه الاحتكارات العسكرية .

فلايمكن اعتبار الهدف الرئيسى لسباق التسلح ولتردد الدول الغربية فى الشروع فى نزع السلاح . مجرد اعتماد اقتصاد هذه الدول حتميا على الانفاق العسكرى ومايؤمنه من أرباح . وعلينا أن نتعمق فى بحث الأمور ، وندرس التناقضات الجوهرية فى عصرنا وعالمنا ، وهى التناقضات التى ترفض الامبريالية . فهذه فى محاولتها تبز كل جهة أخرى فى سباق التسلح ، وفى رغبتها فى الوصول الى موقف يمكنها من فرض ارادتها على البلاد التى خرجت من فلكها أو ستخرج منه ، تأمل عن طريق قطاعها الصناعى ــ الحربى فى انقاذ نفسها والعودة بعجلة التاريخ الى الوراء . ومن هنا تكون المقاومة العنيدة لنزع السلاح ، ويكون تصعيد سباق التسلح ، وتكون الاستفزازات والمغامرات الدولية التى لاتسفر الا عن زيادة التوتر الدولى .

ولكن العالم قد تغير كثيرا منذ مستهل هذا القرن . فلقد بات تحت تصرف المعسكر الاشتراكى الجبار درع نووى ــ صاروخى أمين ، كما تتوافر له وسائل الرد والثأر . ولقد انهارت الامبراطوريات الاستعمارية السابقة ، وحلت محلها دول جديدة محبة للسلام ومستقلة كل الاستقلال ، وأخذت هذه الدول تخطو أولى خطاها فى تركيز استقلالها . وتسير القوى المحبة للسلام فى طريق التصاعد . وفى وسع

الجهود القوية أن تعزل الدوائر الامبريالية العدوانية ، وان تفرض عليها قبول نزع السلاح . ويدرك بعض الساسة المتزنى الفكر والبعيدى النظر فى البلاد الامبريالية ، أن القوى الاشتراكية سترد بضربة ساحقة فى حالة نشوب الحرب النووية ، وهم يدركون أيضا أن الصراع التاريخى بين المجتمعين القديم والجديد فى العالم لايمكن أن يقع بالوسائل الحربية . ونحن لا نفكر أن هذا الادراك لم يصبح عالميا شاملا بعد . فقد يقطع جنون أولئك « العشاة المتوحشين » الذين يسيرون قدما فى طريق الحرب ، الطريق على صوت العقل وعلى التقدير المتزن للأمور . ولا يمثل التاريخ المعاصر ، طرقا ممهدة ومستقيمة خالية من الأماكن الصاعدة والهابطة . ولم يسبق لطريق التاريخ ان كانت سهلة فى أى يوم من الأيام ، ولكن متى بدأ التاريخ سيره فليس فى وسع أية قوة أن توقفه .

ويعمل أنصار السلم فى طريق معاكس لما يقوله المذهبيون المرتزقة والمدافعون عن الامبريالية من أن نزع السلاح حلم طوبائى ، ولما تنطلق به ألسنتهم من بيانات منافقة وزائفة عن أهميته بالرغم من طوبائيته ، فهم ، أى أنصار السلم ، يقومون باجراءات جماهيرية تحمل طابع التصميم لتأييد السلام ونزع السلاح الشامل والكامل .

ويقال أحيانا ان الامبريالية والنزعة العسكرية يؤلفان شيئا واحدا . ولكن الامبريالية والاستعمار يسيران أيضا جنبا الى جنب . ولكن هذا لايعنى على الاطلاق أن ليس فى الامكان القضاء قضاء تاما وكاملا على الاستعمار مع بقاء الامبريالية فى العالم . فلابد من وضع القوى الامبريالية فى موقف يفرض عليها أن تظل مكبوحة الجماح ، وأن تصبح عاجزة عن مواصلة طغيانها الاستعمارى أو قدرتها على استغلال الشعوب سياسيا واقتصاديا . ولاشك فى أن هذه الاجراءات تضعف، بالطبع مواقف القوى العسكرية والامبريالية ، وتخلق أوضاعا أفضل لنزع السلاح .

ومن المعروف أن الامبريالية تقف الى جانب الرجعية بمختلف السبل والوسائل ، ويعنى هذا أن جميع التطلعات الديمقراطية بما فيها التطلع الى خلق علاقات ديمقراطية بين الدول ، لايمكن تحقيقها فى ظل الامبريالية . ولكن هذا التحقيق لايمكن أن يتم بدون كفاح حاسم، تماما كما كان من العسير تأمين حق الشعوب فى تقرير مصيرها دون نصر الاشتراكية فى بعض البلاد ، ونصر الثورات المعادية للاستعمار فى بلاد

أخرى . وبالرغم من أن الامبريالية والديمقراطية ، متعارضتين تمام التعارض ، الا ان حركة الشعوب التى تنشد التقدم والديمقراطية ، لابد أن تنتصر على وجه العموم على الرجعية والامبريالية على المدى الطويل . والسبب فى هذا أن الامبريالية نفسها تبنت أعداءها ، وان هؤلاء الأعداء باتوا الآن أقوى من الامبريالية نفسها التى أخذت تمر الآن بفترة من الأزمات العامة والنكسات التى تعانى منها ، وأصبحت تنهار أمام ارادة الشعوب المصممة والواضحة كل الوضوح .

ولعل هذا هو الذى يجعل من تقرير الشعوب لمصيرها ، حقيقة واقعة ، وان كانت هناك حقيقة أخرى وهى أن الامبريالية مازالت قوية نسبيا فى عدة بلاد أخرى . وتوجد بين هاتين الحقيقتين الواقعتين فترة كاملة من الثورات التحررية الوطنية والاجتماعية المهمة . فالحياة تمثل عملية تطورية . وقد تمر فترات يتعايش فيها الماضى مع الحاضر والمستقبل . يضاف الى هذا أن القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة تستمد بداية أدوارها فى أوقات مختلفة .

وتنبع المعارضة الأساسية لفكرة نزع السلاح الشامل والكامل فى ظل الاوضاع الراهنة من البورجوازية الكبيرة فى الدول الامبريالية، ولاسيما من ذلك الشطر منها الذى تتركز مصالحه مباشرة أو لا مباشرة فى مواصلة سباق التسلح والحرب الباردة . ولكن فى وسع الجنس البشرى أن يعالج امر هذه العصبة . أو ليست قوى الشعوب المحبة للسلام أقوى مئات المرات من تلك الفئات المصممة تصميما جهنميا على الحرب ؟ ويكون نزع السلاح فى ظل الاوضاع الراهنة متعذرا على التحقيق ، كتعذر الالغاء الكامل والنهائى للاستعمار ، ويعنى هذا أن من المتعذر تحقيقه دون نضال جماهيرى يحمل طابع التصميم ، ودون سياسة نشطة وفعالة من جانب الدول الاشتراكية والبلاد النامية .

ولذا يجب ألا يمنع الصراع الواضح بين المصالح الارتزاقية للامبريالية وبين نزع السلاح الشامل والكامل ، القوى المحبة للسلام فى مواصلة مطالبتها بنزع السلاح ، ومن كفاحها المصمم من أجله ، كما يجب ألا يؤجل تحقيقه الى أن يتم النصر الشامل للاشتراكية فى العالم كله . فأى تسويف فى فكرة النضال أو تأجيل له يكون لمصلحة أصحاب النزعة العسكرية والمعتدين . فالحاجة الى توسيع النضال من أجل نزع السلاح الشامل والكامل ومن أجل السلام ، تنبع على النقيض من ذلك من صورة الوضع على حقيقته . فعلى الناس ألا يرضوا بالاجراءات

الدبلوماتية أو البرلمانية ، بل عليهم أن ينظموا الجماهير في حركات فعالة لتوسيع النضال ومضاعفته حتى يتخذ صورة الضربة المباشرة التى توجه الى مراكز «القساة المتوحشين» ، وسادتهم من الاحتكاريين .

وليس المستوى الراهن للأسلحة فى البلاد الكبرى ولسباق التسلح الا النتيجة الطبيعية لما تخلفه القوى العسكرية والعدوانية من اضطراب فى بعض البلاد الراسمالية ، ولاسيما فى الولايات المتحدة الامريكية التى كانت تمثل دائما منبت المجموعة الصغيرة من الاحتكارات الكبرى التى ترتكز مصالحها على تصعيد سباق التسلح واتباع السياسات العسكرية العدوانية . ويشعر الكثيرون من حلفاء الولايات المتحدة فى الحلف الأطلسى بعدم الارتياح من تطور هذه السياسة ومن تطلعاتها البعيدة ، وهم يرون أحيانا انهم ليسوا على استعداد المضي بعيدا معها ، الى أن يجرفهم التيار . وليست القضية مجرد دوافع وراء هذه السياسة ، وانما هى قضية ماتحمله من معنى موضوعى . يتركز فى حقيقة واقعة وهى أن البلاد الامبريالية لاتؤيد بصورة شاملة مثل هذه السياسة الموجهة الى اشعال نيران الحرب العالمية الجديدة . وتمثل هذه الحقيقة تناقضا فى المعسكر الامبريالى ، يشبه الى حد كبير التناقضات التى ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية وان كان أكثر تعقيدا وأبعد عمقا فى الغالب .

فهناك بين أكثر من ١٢٠ دولة عضوا فى الأمم المتحدة اليوم أربع عشرة دولة اشتراكية وأكثر من ثمانين دولة من المستعمرات أو أشباه المستعمرات ، أو الدول التابعة السابقة ، وقد حققت استقلالها وأصبحت تهتم بالغ الاهتمام وعميقه بالسلام .

وتعنى مشكلة نزع السلاح الآن أولا وقبل كل شيء كبح القوى العسكرية العدوانية فى بعض البلاد ، لامجرد التغلب على بعض المتاعب الدولية العامة .

وجهود الجيل الراهن وحدها هى التى تستطيع أن تخلق عالما بلا سلاح وعالما بلا حروب . ولاشك فى أن هذا سيتحقق . وليس من الخير أن نحاول الحدس بما يحتاج اليه الجنس البشرى من وقت لوضع حد للحرب الباردة وسباق التسلح ، وتحقيق نزع السلاح الشامل والكامل . ولا يعرف أحد اذا كان تحقيق هذه التطلعات سيستغرق عامين أو ثلاثة أعوام أخرى ، ولكن الساعة لتحقيقها ستحين

حتما ، وهى ساعة جديرة بأن يعمل الناس على حلولها . ويمكن ضمان السلام الذى تتعلق به الشعوب تعلقا شديدا ، عن طريق حركة نشطة لجميع القوى المحبة للسلام ، ولجميع الشعوب التى تشترك فى تسوية مشكلة الحرب والسلام . وهو فى حاجة ايضا الى السياسة الخارجية الثابتة والحكيمة من جميع البلاد المحبة للسلام ، على أن تجمع هذه السياسة بين أقصى مايمكن من المرونة والمناورة والسرية ، وبين التصميم الذى لايهن على النضال من أجل الحفاظ على حقوق الشعوب السيادية والسلام .

د ـ مزيد عن المذهبية

وعلينا هنا أن نبدى بعض التحفظ . فقد تجد آراؤنا نقدا حتى ممن يسمون باليساريين الذى يعتبرون انفسهم من الماركسيين . ولما كانت الاعتراضات التى قد يثيرونها شبيهة بتلك التى يثيرها « الفرسان الثلاثة» . ولما كنا قد عالجنا موضوعها من قبل ، فلاحاجة بنا هنا الى التكرار والاعادة . ويجد القارىء بعد أن يطالع هذا الكتاب انه قد رد على مثل هذه الاعتراضات وان كانت الردود قد صدرت فى صورة مبتكرة . ولكن لم تزل هناك بعض جوانب للمشكلة متعلقة بالنظريات الأساسية للمذهبية الماركسية ، ولم نشر اليها بعد .

فلقد اعتبر اينجلز ـ فى نهاية القرن الماضى ـ نزع السلاح أمرا ممكنا واطلق عليه اسم «ضمان السلام» . يضاف الى هذا انه طبقا للمبادىء المقررة للنظرية الماركسية فى معالجة أية مشكلة اجتماعية ، دأب الماركسيون دائما على وضع قضية نزع السلاح ضمن اطار تاريخى معين راعوا فيه خصائص أية حقبة من الحقب .

فلقد رفض لينين باصرار فى عامى ١٩١٥ و ١٩١٦ وابان الحرب العالمية الأولى على سبيل المثال شعار نزع السلاح الذى رفعه آنذاك المرتد كوتسكى ليعارض به مطالبة لينين بتحويل الحرب الامبريالية الى حرب أهلية .

وعاد لينين بعد سنوات قليلة فاعتبر أن نزع السلاح شعار ممكن وصحيح ، وراح يدرج المطالبة به فى جدول أعمال مؤتمر جنوه فى عام ١٩٢٢ وجعله أحد المطالب الأساسية لوجهة النظر السوفياتية السياسية . وكانت هذه نقطة البداية لكفاح الاتحاد السوفياتى الطويل الأمد والمعد من أجل تحقيق نزع السلاح الشامل والكامل .

وقد يعتبر أحد علماء الاجتماع الغيبيين والبورجوازيين الذين يعالجون القضايا بالتعاريف المطلقة مثل هذا التبدل فى موقف لينين دليلا على التقلب وعدم الثبات . ولكن لينين كان متمسكا بالموقف الماركسى طيلة الوقت وكان على حق فى الحالتين فى حين كان كوتسكى يتنكر للماركسية ويخونها . ترى ما السبب فى هذا التغيير ؟ انه يعود الى التبدل الأساسى فى الوضع الذى وقع فى غضون هذه السنوات القليلة » وهو التبدل الذى ادى الى التغيير الكلى فى موقف الماركسيين من موضوع نزع السلاح .

ولا شك فى أن « الفرسان » يضحكون ويسخرون من هذا «التقلب» المزعوم فى النظرية الماركسية ـ اللينينية .

ولو أننا استخدمنا أسلوب « الفرسان » فى مناقشة الأمور ، فان أية آراء معقولة ستبدو مضحكة ومتقلبة . ولقد وجه ان . جى . تشيرنيشفسكى زعيم الديمقراطيين الروس فى القرن الماضى السؤال التالى ... « ما هو المطر ... أهو حسن أم سىء ؟ » . وعاد تشيرنيشفسكى ، فرد على هذا السؤال قائلا ... «ان تقرير الرد يتوقف على الوقت الذى يهطل فيه المطر . فلو سقط المطر فى الخريف أو الربيع ، فهو حسن ، أما اذا سقط فى وقت الحصاد فهو سىء» .

وقد يرى «الفرسان» ان من المضحك المقارنة بين نزع السلاح والمطر . ولكن سخريتهم هذه تقيم الدليل على تجاهلهم للاستراتيجية كتجاهلهم لأولويات المنطق وبدهياته التى يستطيع كل طالب فى المدرسة فهمها . انهم لايكترثون بالحقيقة ، وكل مايهمهم العناية بمصالح سادتهم من ملوك المال .

فلو طالبت الطبقة العاملة فى الوقت المحدد للحرب الامبريالية الأولى وقبل ثورة أكتوبر بنزع السلاح ، فان مطالبتها هذه ، كانت ستعنى رفضها للثورة المسلحة ، وللسيطرة على زمام الأمور فى البلاد . وكانت هذه المطالبة تعنى أيضا رفض الحرب الأهلية ، أى رفض الحصول على السلطة عن طريق الكفاح المسلح ضد البرجوازية المضادة للثورة . ويعنى شعار نزع السلاح فى هذا الوضع المحدد فى الوقت نفسه رفض المطالبة بتحرير المستعمرات عن طريق الثورة المسلحة للاطاحة بالدول المستعمرة واخراجها من مستعمراتها . ويتضح فى هذا أن شعار نزع السلاح يكون فى ذلك الوضع التاريخى مواتيا من الناحية الموضوعية للامبرياليين ، ومن هنا كان رفض لينين له محقا كل الحق .

وعندما صدر اعلان السلام المشهور فور انتصـار ثورة أكتوبر من عام ١٩١٧ . رافعا شعار السلام والصداقة بين الشعوب ، لم يقترح لينين نزع السلاح ـ آنذاك ـ لأنه توقع قيـام الحرب الأهلية الحتمية والعنيفة ، فى ظروف تستطيع فيها الطلائع العمالية المسـلحة أن تلعب دورا حاسما .

وعنـدما انتهت الحرب الأهلية ، لم يكتف لينين باقتراح نزع السـلاح ، وانما اقترح برنامجا أشمل وأوسع لاعادة تنظيم الاقتصـاد العالمى فى فترة التعايش السلمى والتعاون بين الدول الرأسمالية وبين روسيا السوفياتية الاشتراكية .

ومن العسير أن يعثر المرء الآن على ماركسى واحد يشك فى صحة تفكير لينين فى ذلك الوقت . أو لم تكن المهمة الرئيسية لحركة التحرر العالمى تقوية الدولة الاشتراكية الاولى للعمال والفلاحين فى العـالم ؟ ولاشك فى أن هذا التعزيز يقرر على المدى الطويل مصير جميع الحركات والثورات المناهضة للامبريالية . ولعل هـذا هو الذى جعـل برنامج لينين لنزع السلاح يتفق مع الروح الصادقة لأفكار اينجلز فى موضوع التسلح واعتباره «ضمانة السلام» ، كما عبر عنه بالضبط فى تلك الايام ويتفق تمام الاتفاق مع المصالح الاساسية لنضال العمال وجميع الشعوب المضطهدة فى العالم ضد الامبريالية . ولقد اعتبر لينين أن من الضرورى فى ذلك الوقت ، التوحد الى حد ما مع العناصر السـلامية فى البـلاد الرأسمالية . ولقد أيد أيضا فكرة وضع خطة لاعادة تنظيم الاقتصاد العالمى على أساس التعايش السلمى والتعاون بين الدولة السوفياتية وبين البلاد الاخرى .

وبين لينين وهو يؤكد ضرورة الكفاح من أجـل السـلام ونزع السلاح ، ان الاشتباكات العسكرية العنيفة مع الدول الامبريالية تبدو حتمية فى الوقت نفسه وفى ظل هذه الظروف .

وليس ثمة مايدعونا هنا الى التحدث مفصلا عن نضال الاتحـاد السوفياتى وكفاحه لتحقيق نزع شامل وكامل للسلاح فى السنوات التى تلت ذلك الى أن قامت الدول الغربية بتخريب محادثات السلام التى

كانت دائرة فى عصبة الأمم ، وأصبح من الواضح من سير الأحداث فى عام ١٩٣٨ أن ألمانيا الهتلرية وحلفاءها مصممون على شن الحرب ·

ولم يرفع الحزب السوفياتى ابان سنوات الحرب مع الفاشية شعار نزع السلاح بالطبع ، وان ظل هذا النزع يمثل مثلا أعلى للاشتراكية . ودعا الحزب الشعوب الى تركيز جهودها على هزم التحالف الهتلرى الاجرامى .

وادى النجاح الهائل للقوى المحبة للسلام وفى طليعتها الاتحاد السوفياتى الى تحقيق النصر العسكرى للحلف المعادى للهتلرية والى استسلام ألمانيا الفاشية دون قيد أو شرط . ومثل اعلان بوتسدام المشهور عن الغاء العسكرية الالمانية سياسيا ودبلوماتيا هزيمة أحد الاجهزة العسكرية الامبريالية المتناهية القوة فى ذلك الحين . وادت هزيمة ألمانيا الهتلرية والعسكرية اليابانية الى خلق الاوضاع المواتية لتطور الحركات الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى المنتصرة فى فترة مابعد الحرب . وسيكون من واجب المؤرخين تحليل مااتصفت به حركات الشعوب المناضلة من انتصارات وخسائر وذلك من أجل السلام ضد الامبريالية وضد النزعة العسكرية · ويكفى أن نسجل هنا خطئية النظريات المطلقة والغيبية فى معالجتها لمشكلة نزع السلاح . فمن الاجرام أن نعالج الآن مشكلات السلام ونزع السلاح بشىء من الزراية فالمتزمتون العقائديون وحدهم ، هم الذين يشرعون فى الحوار المطلق حول هذه المشكلات دون اية دراسة صادقة لخصائص العهد الحالى ، ودون تقييم محدد للمعنى الحقيقى لهذه الشعارات .

وعندما نتدارس الآن مشكلات الحرب والسلام . ومشكلة نزع السلاح ، يتحتم على الماركسى أن يضع فى عين اعتباره وبكثير من العناية ظرفين حاسمين .

فهناك أولا التوازن الجديد القائم بين القوى العالمية أى بين الامبريالية فى جانب وبين الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى والحركات المناهضة للامبريالية فى الجانب الثانى .

وتتساوى قوات النظامين العالميين المتعارضين حتى فى رأى الامبرياليين أنفسهم فى حين يبين أى تقييم غير متحيز ، ان قوى السلام والاشتراكية هى المتفوقة .

وهناك احتمال فى منع نشوب الحرب العالمية الجديدة فى ظل

هذه الاوضاع . ولايرجع هذا الاحتمال الى أى تغير فى طبيعة الامبريالية أو الى انها غدت أقل عدوانا واستفزازا ، وانما يرجع الى القوةالمتزايدة للاشتراكية وللقوى المناهضة للامبريالية بوجه عام . وأصبحتالشعوب أكثر اهتماما بمنع الحرب والتمتع بسلم دائم . وتتفق السياسة الداخلية والخارجية للدول الاشتراكية بطبيعتها مع تطلعات الشعوب هذه . وتشير المواقف الموضوعية للدول المستقلة التى خرجت الى حيز الوجود مع انهيار النظام الاستعمارى الامبريالى ، الى اهتمامهاالعميق أيضا فى وجود سلام دائم . ويؤدى هذا الى وجود جبهة قوية دائمة النمو والاتساع للبلاد المحبة للسلام وقوى السلام ، تقف صامدة فىوجه القوى الامبريالية المعتدية . ولم تعد الحرب حتمية قاتلة .

وهناك ثانيا وجود الأسلحة النووية - الصاروخية وأسلحة الدمار الشامل . ولم تعد الدول الامبريالية وحدها هى التى تملك هذه الأسلحة ، فالمعسكر الاشتراكي يملكها أيضا ويخلق هذا أثرا كابحا على أكثر الدوائر الامبريالية عدوانا . وفى وسعنا أن نستنتج أن الدوائر الرأسمالية الواسعة النطاق فى الغرب ، أصبحت ذات مصلحة متزايدة فى الحفاظ على السلام .

وكان لينين قد توقع احتمال قيام مثل هذا الوضع التاريخى وكان فى كرهه العاطفى الشديد للحرب ، يحلم بمجىء الوقت الذى تختفى فيه الحروب نهائيا من حياة المجتمع الانسانى . ولقد ذكرت ناديجدا كروبسكايا زوجته الوفية وشريكة حياته ، انه كان يقول دائما ان الحرب ستغدو مدمرة كل الدمار نتيجة التقدم التقنى ، وانها ستصبح تبعا لذلك غير معقولة . وكان يعرب عن ايمانه بان «الاختراعات الجديدة فى العلم والتقنية ستجعل الطاقات الدفاعية فى بلادنا عظيمة الى الحد الذى يجعل كل هجوم عليها عاجزا كل العجز» .

ولاشك فى أن الجهود التى لاتكل ولاتمل من الحكومة السوفياتية والحزب لزيادة الطاقات الدفاعية للاتحاد السوفياتى مع الكفاح المصمم من أجل السلام والتعايش السلمى بين البلاد الاشتراكية والرأسمالية تمثل صحة توقعات لينين . وكان خلق درع صاروخى - نووى - قوى فى الاتحاد السوفياتى عملا عظيما رائعا من الشعب السوفياتى . ولاريب فى ان هذا الدرع الذى بات اليوم أقوى منه فى اى وقت سابق ، هو الذى يساعد فى الدفاع عن السلام العالمى . فهو يقى شعوب البلاد

الاشتراكية والدول التى تناهض الاستعمار ، من اية محاولات تقوم بها قوى العدوان لشن الحرب العالمية . ولا شك فى أن اقتصاد البلاد الاشتراكية القوى يترك مع الأسلحة الحديثة التى تحملها جيوشها اثرا يحمل اولئك الذين يفكرون فى شن حرب عالمية جديدة على التفكير طويلا . ولكن هذه الأسلحة ليست الا وسائل دفاعية بالنسبة الى الدول الاشتراكية وقوى التحرر الوطنى ، وأدوات للحفاظ على حقوق الشعوب المقدسة . فى بناء حياتها على النحو الذى تشاؤه . ونحن لا نؤمن بتصدير الثورات . ولكننا لا نسمح فى الوقت نفسه بتصدير الثورات المضادة ايضا .

وفى وسع المرء أن يلاحظ بسهولة أيضا أن مشكلات السلام ونزع السلاح تعرض فى الوضع التاريخى الجديد ، بطريقة تختلف عن تلك التى كانت تعرض فيها من قبل . وبالرغم من ان خطر نشوب الحرب لم يستبعد حتى الآن بسبب الطبيعة العدوانية للامبريالية ، وتوسع الاستفزازات العسكرية من جانب الولايات المتحدة الامريكية ، مما ادى الى تزايد حرج الوضع مؤخرا ، فان مشكلة تجنب الحرب النووية الحرارية والكفاح من أجل نزع السلاح ، غدت الآن الأمر اليومى بالنسبة الى العالم كله .

وقد يقوم هناك قارىء يقول ولكن أولم تنسوا شيئا كان لينين يفكر به فى عام ١٩١٥ ــ ١٩١٦ عندما حمل على كوتسكى فى موضوع نزع السلاح ؟ أولم تقم الامبريالية بتقسيم الشعوب فى العالم الى ظالمة ومظلومة ؟ فكيف تبررون الآن لأنفسكم الدعوة الى السلام والتعايش السلمى ونزع السلاح فى الوقت الذى مازالت فيه هذه التجزئة موجودة ، وعندما تحاول الشعوب التى تظلمها الامبريالية مواصلة نضالها من أجل تحررها الشامل والنهائى ؟

ليس ثمة من شك فى أن لينين كان يفكر أيضا فى هذا التقسيم المذكور للبلاد ، عندما نادى بنزع السلاح فى عام ١٩٢٢ . ولكن لما كنا نناقش مشكلة سياسية مهمة ونموذجية حسب وجودها فى يومنا هذا ، لا بالنسبة الى وجودها آنذاك ، فان من الأفضل أن نغوص فى بحث الوقائع .

فنحن لا ننكر أن الامبريالية قسمت الأمم والشعوب فى العالم ، الى عدد صغير من الظالمين ، وعدد ضخم وكبير من المظلومين . ولكن

هذه الحقيقة نفسها لاتعطى لنا صورة واضحة عن الوضع الفعلى للأحوال . فهناك ثلاث مجموعات من الدول فى العالم فى الوقت الحاضر ، كما ان أمم العالم مقسمة أيضا الى ثلاث مجموعات لا الى مجموعتين . ولاريب فى أن هذه الحقيقة تحملنا على التفكير بأن المشكلة الوطنية ـ الاستعمارية قد اختلفت الآن عما كانت عليه اختلافا جذريا . وعلينا أن ندرس الآن وبدقة الطريقة التى تم فيها هذا التغير .

فهناك أولا أمم كثيرة فى العالم تحولت الى الاشتراكية . فلقد قضت نهائيا على الظلم الاستعمارى والعنصرى وأصبحت دعامة كفاح التحرر الوطنى للشعوب ودرعه الواقى . وأصبح الاتحاد السوفياتى بوجه خاص نموذج البلاد التى استطاعت ـ فى عملية بناء الاشتراكية والشيوعية ـ حل مشكلة محو التخلف الاقتصادى للأمم والشعوب الكثيرة التى كانت القيصرية تظلمها فى السابق . وهى مشكلة بالغة الصعوبة والتعقيد .

وشرعت الشعوب المضطهدة ثانيا ، متأثرة بانتصارات الاشتراكية فى تدمير الامبراطوريات الاستعمارية العالمية وتحطيمها . وتمكنت مجموعة من الامم التى اضطهدتها الامبريالية وظلمتها من الاطاحةبأصفاد الظلم الاستعمارى السياسى ، وبحكم الادارات الاستعمارية الأجنبية وأقامت دولها القومية أو المتعددة القوميات .

ومضت هذه الأمم منطلقة من المواقف التى وصلت اليها تشن كفاحها من أجل تحقيق تحررها الكامل والنهائى من جميع أصفاد الاستعمار . ولقد شرح برنامج الحزب السوفياتى الموقف الموضوعى لهذه الأمم شرحا طيبا اذ قال : « لا تمت الدول المستقلة الفتية الى نظام الدول الامبريالية ، ولا الى نظام الدول الاشتراكية . ولكن غالبية هذه الدول الغالبة ، لم تستطع حتى الآن التحرر كامل التحرر من الاقتصاد الرأسمالى العالمى وان كانت تحتل مكانة خاصة فيه . فهى تؤلف ذلك الجزء من العالم الذى مازال موضع استغلال الاحتكارات الراسمالية . ومالم تقم هذه الدول بوضع نهاية لاعتمادها الاقتصادى وتبعيتها للامبريالية ، فستظل تلعب دور «الريف العالمى» للامبريالية، وستظل عرضة للاستغلال شبه الاستعمارى (١) .

ويتضح من هذا أن الأمم المقهورة للامبريالية ستظل موضع

---

(١) برنامج الحزب السوفياتى ـ موسكو ١٩٦٤ ـ ص ٤٣ .

الاستغلال شبه الاستعمارى للاقتصاد الرأسمالى العالمى وللاحتكارات الرأسمالية الكبيرة . ولكن الاستقلال السياسى والادارى يخلق لأول مرة الظروف المواتية للتقدم السريع بالنسبة الى الأمم والدول التى بعثت من جديد ، والتى كانت متخلفة اقتصاديا بسبب ظلم الامبريالية . وتوافرت فى الوقت الحاضر المتطلبات الأولية للقوى التقدمية فى هذه الأمم لشن كفاحها ، من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى أقصر وقت ممكن ، وذلك عن طريق خلق الصورة الراسمالية للمجتمع . وتقرر الأوضاع المحلية مراحل التنمية التى ستسير فيها أية بلاد ، قبل الحصول على صورتها الاشتراكية الأصيلة ، ولا شك فى أن من الخطأ كل الخطأ ، القفز على بعض المراحل ابان العملية التى تسير فى طريقها .

ولكن ترى ما الذى يعنى الدول المحررة وشعوبها المعنية بالنسبة الى الأوضاع الدولية لتنميتها ؟

فهى معنية أولا بالسلام وبالتأكد من عدم تدخل الآخرين فى شئونها الداخلية ولا سيما من الدول الامبريالية ، وبالحصول على ضمانات صادقة بحق كل أمة وشعب فى بناء الدولة طبقا لرغبة هذه الأمة أو ذلك الشعب . وفى وسع السلام ونزع السلاح الشامل والكامل ، أن يؤمنا فى ظل الأوضاع الراهنة المحددة ، الشروط الخارجية اللازمة لتنمية الدول الفتية المستقلة . وفى وسع نزع السلاح الشامل والكامل أن يؤمن لهذه البلاد كما سبق لنا أن رأينا ، فرصا اضافية للنضال من أجل التغلب على التخلف الاقتصادى الذى ورثته ، لا فى المستقبل البعيد بل فى حياة الجيل الراهن وفى أوضاع التعايش السلمى بين الدول .

ويتضح من هذا أن المصالح القومية الأصيلة للدول المتحررة ، تتفق مع مصالح البلاد الاشتراكية وجميع الشعوب المحبة للحرية والمصالح الدولية للجنس البشرى التى تمثل فى تجنب الحرب النووية الحرارية ووقف سباق التسلح .

ولكن ألا تحتاج الدول الفتية الى الأسلحة للدفاع عن نفسها ضد المؤامرات والتدخلات من جانب الامبرياليين والاستعماريين ؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذه الحاجة وبين نزع السلاح ؟

فالدول المستقلة الفتية ستبنى أثناء عملية بناء سيادتها وكيانها

كدول ، قواتها الوطنية المسلحة . ولكن برنامج نزع السلاح الشامل والكامل الذى تناولنا بحثه يعالج وجود هذه القوات . فالاقتراحات السوفياتية تظهر أن نزع السلاح لا يتعلق الا بترسانات الدول الكبرى التى جمعت تحت تصرفها الكميات الضخمة من الأسلحة . ولن تفيد شعوب المستعمرات والبلاد المتحررة الا من اتلاف الجهاز العسكرى الامبريالى وتعطيل القواعد العسكرية الامبريالية على أراضيها . وسيؤدى نزع السلاح على المدى الطويل الى تعزيز استقلال الدول القومية الفتية وأمنها . ولو تحقق وقف سباق التسلح فان أموالا ضخمة لابد أن ترصد فورا للدول القومية الفتية لتطويرها اقتصاديا وحضاريا . وسيكون فى وسع الدول الاشتراكية أيضا أن تضاعف الى حد كبير من معوناتها الاقتصادية والعلمية والهندسية الى بلاد آسيا وأفريقية وأمريكا اللاتينية . ولكن فى حين يرفض الامبرياليون نزع أسلحتهم ، يكون من حق الدول الاشتراكية والبلاد المتحررة حديثا من الحكم الاستعمارى أن تعزز طاقاتها الدفاعية .

ولم تظل انجولا وغينيا المسماة بالبرتغالية وموزمبيق وغيرها من البلاد مستعمرات حتى الآن ؟ ولم تحرم شعوبها من حقها فى الانتفاض وحمل السلاح للحصول على حرياتها الوطنية ؟

ان حمل السلاح حق طبيعى لها . فلقد أكد اعلان الأمم المتحدة عن منح الاستقلال للبلاد المستعمرة وشعوبها والصادرة بمبادرة من الاتحاد السوفياتى هذا الحق ، وادان جميع الأفعال التى يقوم بها المستعمرون والموجهة الى استبقاء العبودية المفروضة على المستعمرات ووصفها بأنها من الجرائم الدولية . وهكذا لم يبق ثمة غموض فى هذا الشأن الذى لم يعد موضع تساؤل . فكل شىء واضح كل الوضوح .

ولم تعد البلاد الامبريالية القاهرة للشعوب ثالثا فى وضع يمكنها من تقرير الأجواء الدولية على سطح الأرض . فلقد ضعف مركزها الدولى الى حد كبير ، ولابد أن تستمر فى ضعفها نتيجة كل نصر جديد تحققه الاشتراكية وثورات التحرر الوطنى ، ونتيجة كل نجاح جديد فى ميدان العمالة يحققه الشعب السوفياتى ومواطنو البلاد الاشتراكية الذين يمثلون البناة المخلصين للحياة الجديدة .

وفى وسع المرء داخل البلاد الامبريالية أن يلاحظ الضغط المتزايد ، الذى تفرضه الطبقة العاملة ، والشعب العامل ضد سيطرة الاحتكارات الكبيرة والحركة المتزايدة من أجل السلام ونزع السلاح .

هذه هى صورة الوضع بالنسبة الى علاقة حركات التحرر الوطنى بالنضال الذى تشنه الشعوب من أجل السلام ونزع السلاح والاشتراكية فى عصرنا .

ولكن الا يتناقض شعار السلام ونزع السلاح من ناحية المبدأ مع الكفاح الثورى للشعوب من أجل تحررها من الامبريالية ؟ ـ هذا هو السؤال المطروح .

ولنفترض أننا نرد على هذا السؤال ، بعرض بعض الاسئلة من جانبنا . ترى ما الجانب الذى وقفت حركة السلام ونزع السلاح الى صفه ابان أزمة السويس فى عام ١٩٥٦ ؟ أوقفت الى جانب حركة التحرر الوطنى فى مصر أم الى جانب المعتدين الامبرياليين بزعامة انطونى ايدن وجى موليه وبن جوريون ؟

وهل لعبت حركة السلام والرغبة العارمة لدى الشعوب فى توطيد أركانه دورا ايجابيا فى أزمة البحر الكاريبى فى أكتوبر عام ١٩٦٢ ، ومن كان أكثر حقا فى السخط على هذه الحركة ، الشعب الكورى أم « الرجال العتاة القساة » فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟

لايحتاج المرء أن يكون مؤرخا أو دبلوماسيا ليصدر بالرد الصحيح على هذه الأسئلة ، وفى وسع كل انسان أن يفهم تنوع الأطراف المشتركة فى حركة السلام ونزع السلاح ومدى اتساعها هما اللذان يضفيان عليها قيمتها الخاصة من وجهة نظر ضمان السلام العالمى .

ولو كان لنا أن ندرس النضال السياسى درسا جديا فان من السهل علينا أن نفهم أن برنامج السلام ونزع السلاح الشامل ، لابد أن يستخدما فى النضال ضد النزعة العسكرية والامبريالية ، وأن ظاهرة كالرسالة التى وجهها البابا يوحنا الثالث والعشرون والتى حملت اسم « سلام العالم » ، والخطب التى ألقاها عدد من كبار الشخصيات البرجوازية دفاعا عن السلام ، تعكس اتجاه الطبقات غير البروليتارية من الناس فى البلاد الامبريالية . وتمثل الى حد ما ترياقا مر المذاق « للرجال القساة العتاة » .

ولو حصرنا أنفسنا فى الحجة التى تقول بأن الامبريالية تجعل من نزع السلاح « وهما » ، أو أحسسنا بأن هيئات أركان الحرب فى البلاد الامبريالية وهى تملك القنابل الذرية ، ستكون صاحبة الحق فى تقرير ما اذا كانت الحرب النووية ستنشب ، فان هذا يعنى اخضاع الطبقات

العاملة والشعوب العاملة الى مذهبية ذوى النزعة العسكرية وسياساتهم ،» ولعل هذا ما يريده فرسان النزعة العسكرية وسادتهم . فليس ثمة ما يدعو الى ابتهاجهم أكثر من حمل الشعوب على وقف النضال ضد خطر الحرب وسباق التسلح .

وقد يقول بعض الناس أيضا ، ان ليس من المصلحة التأكيد على الأخطار المرتبطة بالقوة التدميرية للأسلحة الصاروخية ــ النووية ، لأن هذا التأكيد قد يضعف ارادة الشعوب فى نضالها من أجل التحرر الوطنى والاشتراكية . لكن هذا المفهوم خاطىء كل الخطأ . فعلى الشيوعى أن يكون واقعيا . وعليه أن يقيم تقييما صحيحا مثل هذا الوضع الموضوعى فى العالم وأن يوضح ذلك الى الجماهير . ولا يمكن أن يكون ثمة تقييم يفتقر الى التفكير للأسلحة النووية الحرارية . ولا يستطيع ظهور الأسلحة النووية الحرارية أن يوقف بالطبع حركة التاريخ التى تدفع بالجنس البشرى قدما الى الأمام ، أو أن ينقذ الامبريالية . ومن هنا كان التنافس الاقتصادى السلمى بين النظامين عن الأسلحة الهيدروجينية وأن نحتمل نتائج الحرب النووية الحرارية .

ولقد حدث عرضا فى تاريخ الانسانية أن الاشتراكية تسلمت زمام الأمور فى البلاد التى كانت أقل تنمية من الناحية الاقتصادية فى البلاد الامبريالية . ومن هنا كان التنافس الاقتصادى السلمى بين النظامين الاجتماعيين يسير موضوعيا فى ظروف كانت أقل مواتاة للبلادالاشتراكية منها لبعض البلاد الرأسمالية . اذن ، ما المخرج من هذا الوضع أن وجد ؟ ان الرد على هذا السؤال يمثل الجهود الملحة من جانب شعوب البلادالاشتراكية فى اكتساب جميع منجزات الثورة العلمية والهندسية ؛ ورفع مستوى اقتصادها ويعنى هذا بين ما يعنيه من أمور أن الواجب الدولى لشعوب البلاد الاشتراكية يتألف قبل كل شىء من تنظيم البناء الاقتصادى على أساس العلم الحديث والهندسة العصرية .

ومن أهم نظريات الاشتراكية العلمية أن تقسيم المجتمع الى طبقات ، ووجود أنظمة الرق والاقطاع ورأس المال ، كانا مرتبطين بالمستوى الخفيض للقوى المنتجة ، بحيث كان أى تقديم يتحقق على حساب الأغلبية الطاغية من الشعوب العاملة التى كانت تعيش وجودا تعيسا ومنحطا . واستند القهر الاستعمارى للشعوب الى نفس المبدأ أيضا ، ولذا فمن الواضح كل الوضوح أن تدمير المراكز الرئيسية

للحضارة الحديثة بل لبلاد أو قارات بكاملها نتيجة الحرب النووية الحرارية لن يهبط بالناس فى البلاد التى ستنجو من الدمار الى الأوضاع التى كانوا يعيشون فيها منذ أقدم العصور فحسب ، بل سيجعل أحوالهم أسوأ من ذلك بكثير . فلم يكن هناك اشعاعات ذرية أو تلوث ذرى فى الجو فى العصور القديمة .

وبالرغم من أن الشعوب هى التى تضع التاريخ ، الا أنها لاتستطيع أن تصوغه وفق مشيئتها ، وذلك لأن الكثير يعتمد على الأوضاع المادية الاقتصاديه التى تعيش فيها هذه الشعوب . ولعل هذا هو الذى يدفع الشعوب فى مثل هذه الأوضاع الراهنة الى تركيز أهمية خاصة على مشكلة الحفاظ على السلام وتعزيزه ، وعلى تنفيذ نزع السلاح الشامل الكامل وعلى الاشتراكيين فى كل مكان أن يقوموا بتعرية « العتاة القساة » واحباط مكائدهم والنضال ضد سباق التسلح الامبريالى والاستعدادات للحرب التى لا تقود الا الى التبديد الأحمق للثروة الاجتماعية ، وتأكيد الحاجة الى استخدام الأموال التى يوفرها نزع السلاح فى خدمة الأهداف السلمية النافعة اجتماعيا .

وأرى أن نكتفى بهذا الحد من الحجج ، وأن نستأنف الخط الفكرى الذى كنا نسير فيه .

هـ ـ نزع السلاح .. متى ؟

لا شك فى أن مشكلة امكان تحقيق نزع السلاح الشامل والكامل، تهم بصورة طبيعية كل انسان شريف . ولكن تحدث هناك فى الوقت نفسه أمور تدعو الانسان الى الظن بأن نزع السلاح لن يتحقق. فاندفاع الأحداث الدولية ، وتعقد التصادم فى المصالح بين النظامين الاجتماعيين السياسيين المتعارضين واختلاط جوانبه ، والصراعات بين الدول المختلفة ، والنشاطات العدوانية المستمرة التى تقوم بها الدوائر الغربية ذات النزعة العسكرية كلها أمور توحى بأن لا مجال للخلاص من هذا الاضطراب بل ان مجرد المحاولة للخلاص ، أمر يائس لا نفع فيه .

واذا كان ثمة بعض الناس ولاسيما فى البلاد الغربية المتقدمة اقتصاديا يميلون الى مقاومة الأوضاع السائدة فى بلادهم ، فان هذا الميل يتزايد اذا كانوا يملكون بيتا يأوون اليه ، أو عملا يعيشون منه ، أو قطعة أرض يزرعونها أو أى مورد للرزق ، اذ انهم لا يعرفون ما الذى

يخفيه الغـد فى طياته · ولكن ما موقف الآخرين الذين يشاء لهم سوء طالعهم أن يروا الجانب الآخر من القصة ، وهو الجانب المتمثل فى هاوية التخلف والمصائب والآلام التى دفعتهم الامبريالية والاستعمار الى معاناتها ·

وهناك حجة شائعة تقول ان نزع السلاح أمر غير ممـكن بل فكرة خيالية ، وان النضال الطويل من أجله لم يحقق شيئا حتى الآن · ويتناسى بعض النـاس أن هنـــاك مشكلات رئيســـية تاريخية لا يمكن قياسها « بالبوصات » من المنطق · فهذه المشكلات لا تناقش بطريقة محدودة وانما تناقش جدليا أى على أساس ارتباطها بالتطور التاريخى العالمى ·

ويقود الاتحـاد السوفياتى الآن نضالا ملحا من أجل نزع السلاح الشامل والكامل ، انسجاما منه مع تعاليم لينين وليس هذا النضال بالشىء الذى لا يجدى · فلقد سارت وراء هذه الراية مئات الملايين من الناس · واضطرت حتى حكومات الدول الغربية ودبلوماتيوها الى الاهتمام بارادة الشعوب فى تحقيق نزع السلاح · فلم يعد فى وسع هـــذه الحكومات وأولئك الدبلوماتيون أن يقولوا لشعوبهم بشكل قاطع ان نزع الســـلاح الشامل والكامل مجرد حلم أو وهم اذ انهم أنفسهم يدرسون الأوضاع التى تسير فيها المحادثات المتعلقة به فى جنيف ، ويؤكدون لكل النـــاس انهم لا يوفرون جهـــدا من أجل الوصـــول الى اتفـــاق حوله . لأنه أمر مفيد ونافع ·

ولقد كتب لينين كتاباته الخالدة عن حق الأمم والشعوب فى تقرير مصيرها ابان الحرب العالمية الأولى · وهنـــاك بعض الماركسيين أيضـــا من أمثال روزا لوكسمبرج ، الشـــورية الألمانية ، بالاضافة الى كثيرين من الرجعيين ومن المدافعين عن الاســـتعمار كانوا يعتقدون آنذاك أن تقرير المصير للأمم والشعوب أمر غير عملى لأن الامبريالية لن تسمح به ، ولأنه يعدو فى ظل الاشتراكية ، كما زعموا أمرا لا ضرورة له · ولقد انقضى وقت حافل بأعظم التحولات التاريخية ، وأصـــبح اللاعملى ، حقيقة واقعة · وبينما كان لينين وأنصـــاره ، يجدون المنافذ والمخارج حتى عبر أعظم سلاسل الجبال · كان خصومه وأعداؤه يعاملون التلال الصغيرة ، وكأنها جبال شاهقة يستحيل ارتقاؤها · ولقد تحقق الكثير مما توقعه لينين · فلقد أطل عصر جديد مؤمنا للشعوب فرصا جديدة للتنمية تفوق حدود الأحلام البعيدة · وعليها حقا أن تقيم هذه الفرص تقييما واقعيا وألا تقلل لا من قيمة قواتها ولا من قيمة قوات العدو ·

وينمو باطراد التأثير السياسى للبلاد الاشتراكية وأثر سياساتهـا

المحبة للسلام على البلاد الأخرى • يضاف الى هذا أن المذهبية الماركسية اللينينية عن السـلام والصـداقة بين الشعوب تكتسب اقرارا متزايدا فى جميع أرجاء العالم •

وأخيرا فان القدرات الدفاعية للدول الاشتراكية تدفع الامبرياليين الى الخوف والرجفة • ترى هل كان هتلر سيشن حربه لو انه عرف مسبقا أن المطاف سـينتهى به الى الملجـأ الذى انتحر فيه تحت أنقـاض الرايشستاج ؟ •

وتطورت ثورات التحرر الوطنى المناهضة للاستعمار من جانب الأمم التى كانت مضطهدة فى السابق ، الى مراحل أعلى بكثير مما كانت عليه من قبل وأسهمت اسهاما عظيما فى النضال العالمى المشترك من أجل السـلام ونزع السلاح • وهى تقوم الآن بدك أركان قوى الامبريالية واضعافها ، كمـا تقوم بالمزيد من تقويض نفوذ القوى الاسـتعمارية ذات النزعات العسكرية ، وترغم الامبرياليين على التراجع واللجوء الى مختلف صـور التآمر • وتمكنت الشعوب حتى الآن من وضـع نهاية تقريبا للتقسيم السياسى والجغرافى للعالم • على النحو الذى كانت الامبريالية قد قررته فى نهاية القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين • ولقد تلا النضال من أجل وضع نهـاية للتقسيم الاقتصادى للعالم بين الاحتـكارات الامبريالية الكبرى ، تلك المرحلة الأولى •

وأخذت بلاد كثيرة فى آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية تسير قدما الى الأمام ، مهتدية بنجم الاشتراكية ، ومدركة شيئا فشيئا أن الرأسمالية ليست الا الاسم الآخر للاستعمار • وتتزايد المكانة الدولية للدول المحبة للسلام فى هذه القارات الكبرى الثلاث • وتتسع رقعة السلام ، ويزداد نفوذها فى العالم • وليس فى وسع أحد أن يتكهن بالمراحل التى ستمر فيها هذه العملية ، لأنها قضية نضال وكفاح •

ويوضح السـير الكلى للأحـداث التاريخية فى الحقب الأخيرة أن الامبريالية ليست بالصخرة التى ستنهار دفعة واحدة ، وانما هى أشبه بالجبل الذى يتآكل من جميع الجوانب ، لتحمل صخوره مختلف الجداول والأنهار ، التى أصـبح نضـال الجماهير العريضـة فى العالم من أجل السلام ونزع السلاح الشامل والكامل ، يحتل فيها مكانة هامة كبيرة • ولا شك فى أن هذه القضية تؤلف مشكلة هامة فى عصر التحول الذى نعيش فيه •

وتضم التجارب الجماعية المتجمعة للجنس البشرى أساليب متنوعة

جدا للنضال الفعال المناهض للاستعمار بينما الاجتماعات والمظاهرات والاحتجاجات التى يوقعها أكثر من خمسمائة مليون انسان ضد الأسلحة النووية ، وكلها تهدف الى هزم الساسة من ذوى النزعات العسكرية فى الانتخابات البرلمانية ، لاخراجهم من الحكم • وبينما تشترك كل طبقة ، وكل صف من صفوف المجتمع بل كل فرد فى العمل ضد الحرب ، انسجاما مع قوة كل منها وفرصه ، وهى فرص تزايدت الى حد كبير • وأصبح النضال ضد خطر الحرب النووية الحرارية الواجب الأول والرئيسى فى حياة جميع الشعوب •

وتسير شعوب البلاد المختلفة قدما وبطرائقها الخاصة باتجاه الهدف المشترك وهو تعزيز السلام ونزع السلاح العام •

وتعتبر البلاد الاشتراكية أقوى دعائم السلام والصداقة بين الأمم ويعنى النضال من أجل السلام فى هذه البلاد أول ما يعنى ، ما يقوم به كل انسان لدعم الاقتصاد والعلم والثقافة فى بلاده وزيادة الطاقات الدفاعية لمجموعة الدول الاشتراكية كلها .

ويتضح ما تستطيع الدول الكبيرة والصغيرة فى القارات المختلفة اقتصاديا عمله فى النضال من أجل السلام ونزع السلاح الشامل ، من الاجراءات التى يقوم بها ذوو النزعات الحربية انفسهم فليس من الغريب انهم يحاولون أن يبثوا فى نفوس الناس فى هذه البلاد بأنهم ليسوا أكثر من بيادق شطرنج فى الشئون الدولية ، وانهم عاجزون عن مقاومة ملوك المال من رجال الصناعة والعسكريين . ولكن النماذج التى تقدمها بلاد كثيرة ولا سيما الهند وجمهورية مصر العربية وسوريا وتانزانيا التى أيدت وفودها الى الأمم المتحدة صراحة وباصرار البرنامج الاقتصادى لنزع السلاح ، تبين بوضوح أن طاقاتها لأداء دور بناء فى النضال لتعزيز السلام كبيرة وتعتمد الى حد كبير على تفهمها الخاص للواجبات العالمية الراهنة فى هذا المجال .

ونزع السلاح وسيلة واقعية للتغلب على التخلف الاقتصادى للبلاد النامية ، ودفع عجلة التقدم الاقتصادى العام فى العالم • ولقد باتت الشعوب أكثر أدراكا لضرورة النضال المستمر والملح من أجل نزع السلاح • وعندما يتحقق نزع السلاح الشامل والكامل ، فان هذا التحقيق يكون ثمرة النضال ليس الا • ولا شك عندنا فى أن السلاح سيتحقق ، سواء أكان ذلك قبل الاطاحة بالامبريالية أم ابان الاطاحة بها او بعدها • لكن الحقيقة الناصعة تتمثل فى أنه سيتحقق •

ولن يصبح نزع السـلاح بعيدا عن التحقيق الا اذا توقفت البلاد المحبة للسلام عن النضال باصرار من أجل تحقيقه . فالكواكب وحدها هى التى تدور من نفسها ، أما الأحداث التاريخية فلا تقع دون نشاط الشعوب من أجل وقوعها . ولهذا فان جميع الشرفاء فى العالم يفكرون تفكيرا عميقا فى مشكلة نزع السلاح الشامل والكامل ، وفى الأساليب التى تتمكن فيها الشعوب التى سحقتها الامبريالية فى الماضى من السير فى طريق التقدم والحضارة . ولا شك فى أن هـذه القضـايا كلها تؤلف مشكلات ملحة ، ولذا فان من الواجب عمل كل شىء لحلها الآن حتى تتحول الفرص الظاهرة حاليا الى واقع .

خاتمة

يمثل هذا الكتاب محاولة لاستشفاف الغد . وهو يضم أفكارا ، صدرت عن العلماء والمهندسين وعمال الكهرباء والرى والقيادة السياسيين الذين ينادون بالسلام الدائم على الأرض . ونحن نرى أن العقل الانسانى لم يعد عاجزا أو خائفا من الاكتشافات العظيمة فى مجال العلم ، ومن منجزات التاريخ .

وليس ثمة من شك فى أن الجنس البشرى لم يعش حتى الآن الا شطرا من حياته . ولكن لا يمكن الحفاظ على الحضارة الحديثة وتنميتها الا اذا سارت قدما فى طريق السلام فى كل مكان من العالم . ولعل هذا هو السبب فى ان من المهم تقييم المشكلات العالمية من وجهة النظر العريضة للمصالح الحيوية للانسانية فى مجموعها ، لا من زاوية الفوائد للمجموعات الصغيرة والمعزولة .

ولقد رأينا أن الفرصة متاحة لرفع مستوى الاقتصاد العالمى والتقنية الى ذرا عالية لم يسبق لها مثيل . ويمكن تحقيق ذلك فى حياة الجيل الحاضر ، عن طريق الجهد وحده . ويؤلف التعايش السلمى بين الدول ونزع السلاح الشامل والكامل ، الطريق الى تحقيق

ذلك بل الى عالم دون ســــلاح ودون حروب ، ولا شك فى أن لابد من بناء هذا العالم واقامته .

وهناك أخطار ومصاعب كبرى أمامنا . وتتطلب ازالتها الشجاعة بل المزيد منها .

وينكمش الزمن والمدى بسرعة فى العـالم بفضل المنجزات الضخمة فى العلم والتقنية . وليس من الطبيعى فى الأوضاع الراهنة بالنسبة الى متطلبات الشعوب ، ان توجه تنميتها وامنها بطريق بطيئة تشبه سير الجمل فى القافلة ، فالتقـــدم فى حاجة الى سرعة أكبر ، وهذه قضـــية لا تحتاج الى نقاش .

ويقضى القدر على القرن العشرين أن يضع حدا لآلام البشرية . ولا يمكن تحقيق ذلك الا عن طريق النضال من أجل السلام وضد خطر الحرب ، وعن طريق البنـاء الاقتصـادى السـلمى ولمصـلحة جميع الشعوب . ولابد من أن يسيطر الأمل وتنتشر الثقة فى نفـوس جميع الناس . فنشاطهم وحده هو الذى يتغلب على جميع العقبات .

وسيكون فى وسع النـــاس بعد ذلك أن يقولوا : لقـد أصبحت الحرب شيئا من ذكريات الماضى . وسينتهى مع نهـــاية الحروب نفـــوذ أولئك الذين يملكون خزائن لا قلوبا كبيرة ، والذين يتطلعون الى المكاسب الذاتية لا الى حكم العقل والمنطق .

وسيولد هذا الغد فى آلام المخاض وبعـد جهود ضخمة ، مثله فى ذلك مثل كل شىء خير يولد على سطح الأرض .

وسيكون فى وسع العاملين والمضطهدين من الناس فى العالم آنذاك أن يقولوا .. لنعمل معا من أجل الوفرة هنا على الأرض ليتمتع الناس جميعا بنعم الحياة.وسنبحث عن هذه النعم فى حشايا الأرض ، وفى قدرة المياه على رى الأراضى وقدرة الناس على العمل واكتساب المعرفة ، وفى مساعدة الأخ لأخيه فى المجالات الطيبة لا فى سباق التسلح أو الخلافات أو العداء .

وستصبح آنذاك قوانين الأخلاق المبسطة هى المتحكمة فى العلاقات بين الدول . وستوحى الأفكار الجـديدة للناس بالتعاون الأخوى والعمل الانســانى . وستكون جهـــود الســـاسة المعاصرين من رجال الدول

لتقويض السلام وتدمير العالم ، مجسدة فى شكلها الصحيح المعيب ، وسيكون تفكير هؤلاء ، وحكمتهم الكاذبة الزائفة اشبه بالشمعة الصغيرة التى تضىء فى وضح النهار .

فلقد أشرقت شمس المنطق الصحيح على شطر كبير من أنحاء المعمورة . وستصعد الشمس الى كبد السماء شيئا فشيئا لتسطع بنورها فوق كل بلد وكل كوخ على وجه البسيطة .

فهرس

صفحة

تقدمة المعرب ٣

مقدمة المؤلفين ١١

استهلال ١٣

١ ـ فى قصر الأمم ٢٣

٢ ـ الجانب الآخر للقضية ٤١

٣ ـ مشكلة عالمية أخرى ٤٩

٤ ـ التطلعات الاقتصادية فى جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط ٦٥

٥ ـ التطلعات الاقتصادية فى أفريقية ٨٧

٦ ـ تطلعات المستقبل فى أمريكا اللاتينية ١٠٥

٧ ـ بعض الايضاحات ١١٩

٨ ـ المناقشات فى البلاد الغربية ـ أساطير وتطلعات ١٣٧

٩ ـ الاشتراكية ونزع السلاح ١٦١

١٠ ـ حول الحكم المطلق « للفرسان الأمريكيين الثلاثة » ١٧٣

(أ) النهج الجديد مقابل القدرية ١٧٤

(ب) على مقعد ثلاثى الأرجل ١٨٢

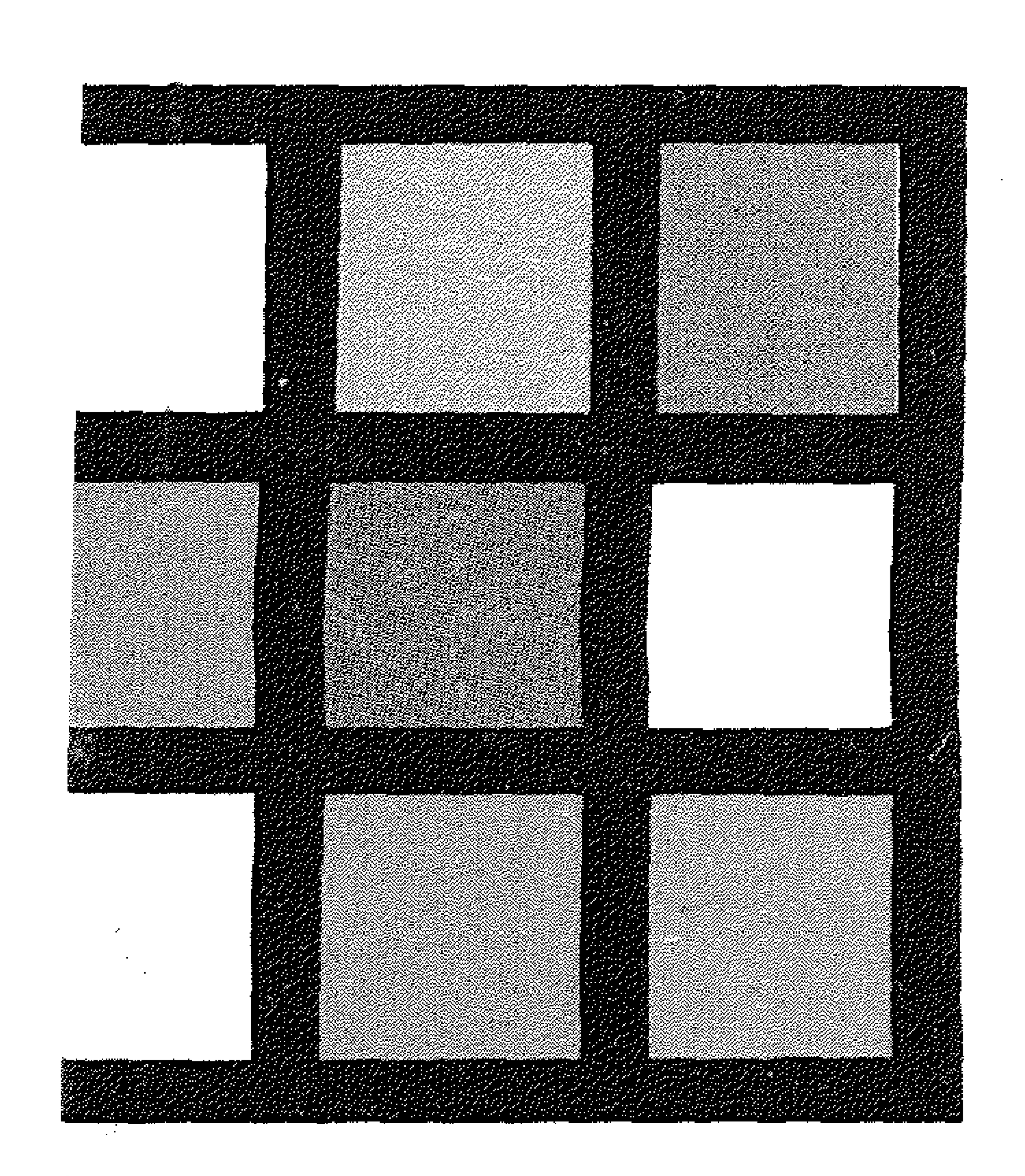
(جـ) ادعاء الفرسان الثلاثة : « انه ليس حكما مطلقا » .. ١٨٦

(د) مشاعر الهنود ١٩٢

الموضوع	الصفحة
(هـ) مشـــكلة الرقابة والاشـــراف	١٩٤
(و) الفـــدية	١٩٧
(ز) حلم جميــــل	١٩٨
١١ ـ حول المذهبية ـ السياسة الخارجية ونزع السلاح	٢٠٣
(أ) المذهبية ـ النزعة العسكرية والسياسة الخارجية	٢٠٣
(ب) الأســـلحة النووية ـ الصـــاروخية ـ الخطط التكتيكية الخاصة بالنزعة العســـكرية والحركة المناهضـــة للحرب	٢١٣
(حـ) واقع نزع الســــلاح	٢١٨
(د) مزيد عن المذهبية	٢٢٣
(هـ) نزع السلاح ... متى ؟	٢٣٤
(و) خـــــاتمة	٢٣٩

مطابع الهيئة المصرية العـامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٥٧٥/١٩٧٣



الثمن ٧٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب